المدخل إلى التفسير التجزيئي

دراسة في الخطوات والأسس والتطبيقات وفق طريقة التفسير الإجمالي

تأليف

الشيخ الدكتور ليث العتابي

أفكار للطباعة

المدخل إلى التفسير التجزيئي

المدخل إلى التفسير التجزيئي

دراسة في الخطوات والأسس والتطبيقات وفق طريقة التفسير الإجمالي

تأليف

الشيخ الدكتور ليث العتابي

أفكار للطباعة

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

© جميع الحقوق محفوظة للناشر
افكار للطباعة

عنوان الكتاب:	مدخل الى التفسير التجزيئي
تأليف:	الشيخ الدكتور ليث العتابي
الناشر:	دار افكار للطباعة والنشر والتوزيع
عدد الصفحات:	٢١٨
القياس:	١٧.٥×٢٥
تصميم الغلاف:	عبدالهادي الكلابي
الإخراج الفني:	عبدالهادي الكلابي
الطبعة الاولى:	١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م

جميع الحقوق محفوظة: لايسمح بإعادة أصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الاشكال دون أذن خطي مسبق من المؤلف.

AII rights reserved. No part of this book be reproduced, stored in a retrieval system. Or transmitted in any from or by any means without prior permission in writing of the author of the book.

تعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف وليس بالضرورة أن تعبر عن آراء المؤسسة أو الدار.

الموقع الالكتروني على الشبكة: afkar printing@gmail.com
رقم الهاتف: ٠٧٨٢٢٨٢٢٦٧٦

العنوان النجف الاشرف ـ سوق الحويش ـ مقابل جامع الحويش الصغير.
تطلب جميع منشوراتنا من مكتبة مداد..

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

إن الخوض في تفسير القرآن الكريم عموماً، وفي أسلوب تفسيري معين يحتاج إلى دقة في التعامل، وبالخصوص في الجانب التطبيقي منه، ذلك ان الجانب النظري سهل يسر، ويمكن فيه الاختصار أو الاطالة، لكن الجانب التطبيقي يحتاج إلى وقفات مهمة لكي يعطى التفسير فيها حقه، ولن ينفع فيها الاختصار المخل ولا الاطالة المسهبة، ذلك ان كليهما يسبب الضرر للكاتب وللقارئ وللدارس على حدٍ سواء.

إن الكتب التعليمية مهمة جداً؛ لمن يريد التعلم، ولمن يريد معرفة كيف تكونت الأشياء، أو كيف حصلت النتائج، فالكتب التعليمية كانت وتبقى، بل وستبقى هي الأساس في وضع المناهج للدارسين وللباحثين عن العلم وعن الفهم والتخصص.

يُعد أمر صناعة أو تأليف الكتب التعليمية من الأمور المهمة من جانب، والصعبة من جانب آخر، والصعوبة هي بسبب خوف الوقوع في الخلل المنهجي، الذي سيؤدي إلى خللٍ معرفي، وكذلك بسبب الخوف من الإفراط أو التفريط، أو بسبب الخوف ان يكون الكتاب ـ التعليمي ـ مجرد تكرار لما سبق واجترار لما مضى، فهذا سيؤدي إلى ضياع الوقت والجهد، وإلى انعدام الإبداع، أو بالدقة (انعدام صناعة الإبداع)، مما سيؤدي إلى نشوء جيل مُقلد فقط، يعيش على التكرار.

إن من المهم جداً في مجال وضع الكتب التي تُعلم (طلاب العلم) أساليب التفسير ان تكون كُتباً تعليمية بحق، ومفيدة نظرياً وتطبيقياً، وتعمل على تطوير طلاب العلم تطويراً حقيقياً ملحوظاً، وتزرع في نفوسهم حب التطور، وتبني فيهم ركائز الابداع، وهذا يحتاج ـ مضافاً إلى الكتاب المناسب ـ إلى أستاذٍ مناسب ـ كذلك ـ يأخذ على عاتقه هذه المهمة الصعبة والشاقة والطويلة، فالصبر والمطاولة مطلوبٌ من الاستاذ والطالب على حدٍ سواء، فتحمل صعوبة بعض المطالب يحتاج دوراً متقابلاً من الأستاذ والطالب، فالأستاذ يستخدم خبرته ليوصل المراد، والطالب يؤمن صابراً بأسلوب الأستاذ في تعليمه بالشكل الصحيح والمفيد والنافع.

لقد وضع المختصون في علم التفسير مناهج واتجاهات وأساليب للعملية التفسيرية، وكان من أساليب التفسير المهمة هو أسلوب (التفسير التجزيئي)، وقد يُطلق عليه اسم (الترتيبي)، أو (التسلسلي)، وهو أسلوبٌ يعتمد على تفسير القرآن الكريم جزءً بعد جزء، وكلمةً بعد كلمة، ووفق ترتيب المصحف وتسلسل السور لما عليه القرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم، والذي يبدأ بسورة (الفاتحة) وينتهي بسورة (الناس)، وهو الأسلوب الأشهر والأقدم، وما عليه أكثر التفاسير الموجودة قديماً وحديثاً.

إن الكتب التعليمية ـ في مجال التفسير خصوصاً ـ لم تتطرق إلى أسلوب (التفسير التجزيئي) بطريقة تعليمية نظرياً وتطبيقياً، ولم يؤلف كتاب متخصص يعلمنا كيفية التفسير وفق هذا الأسلوب؛ لذلك ارتأيت وأنا أُدرس الطلاب في (معهد قرآني تخصصي) أن أكتب كتاباً يهتم بتعليم أسلوب (التفسير التجزيئي)، على أن ابدأ ذلك بمحاضرات أولية للطلبة ممن أقوم بتدريسهم، تعلمهم حقيقة وكيفية التفسير وفق أسلوب (التفسير التجزيئي) نظرياً وتطبيقياً، فكان نتاج تلك المحاضرات هو كتابي (المدخل إلى التفسير التجزيئي)، وهو كتاب تمهيدي وتعليمي، لذلك أطلقت عليه عنوان (المدخل)؛ كونه يشكلُ مدخلاً إلى التفسير عموماً، وإلى أسلوب (التفسير التجزيئي) بشكلٍ خاص، وبطرح سهل يسير مفهوم، ووفق طريقة التفسير الإجمالي.

إن عملي في هذا الكتاب هو تعرضي لأسلوب (التفسير التجزيئي) ضمن قسمين هما:

أولاً: القسم النظري: والذي كان لا بدّ فيه من تعريف التفسير التجزيئي، وذكر تقسيمات مهمة في علم التفسير عن الأساليب والاتجاهات والمناهج التفسيرية، والإطلالة على طبقات المفسرين، وذكر مصادر الاستمداد التفسيري، والكلام عن ثوابت مهمة في تفسير القرآن الكريم، والكلام عن تاريخ ونشأة أسلوب التفسير التجزيئي، وما هي ميزات التفسير التجزيئي وأسباب شيوعه وانتشاره، وآليات التفسير التجزيئي، وطريقة التفسير الإجمالي وفق الأسلوب التجزيئي، وأسباب اختلاف المفسرين في تفسير القرآن الكريم، مع ذكر أمور لا بدّ من مراعاتها في عملية التفسير، وكذلك ذكر ملاحظات عامة على كتب التفسير، والأهداف من تأليف هذا الكتاب، لندخل إلى أيراد خطوات التفسير التجزيئي للسورة وآياتها معاً.

ثانياً: القسم التطبيقي: والذي تناولنا فيه التطبيق لأسلوب التفسير التجزيئي وفق طريقة التفسير الإجمالي، وعلى أمثلة منها: تفسير الاستعاذة وما يتعلق بها، بعدها تفسير البسملة ـ كذلك ـ وما يتعلق بها، ثم دخلنا إلى تفسير السور الكاملة، وبالأخص تفسير السور القصار من الجزء الثلاثين للقرآن الكريم وهي: تفسير سور الفاتحة، وتفسير سورة العلق، وتفسير سورة الإخلاص، ليتم بذلك القسم التطبيقي من كتابنا.

لقد اقتصرنا في القسم التطبيقي على ما ذكرنا؛ وذلك حتى لا تكون هناك إطالة، وحتى نعرف هدف السورة، ونفهم مرادها، وبالتالي نُلم بتفسيرها الماماً مفيداً، وحتى لا يتحول كتابنا إلى تفسيرٍ طويلٍ يتعب المتعلم، وحتى لا يتشعب الكلام إلى ما لا تحمد عقباه، وحتى نتخلص من الإسهاب، ونقضي على الملل، كما واننا تجنبنا في التطبيق تفسير آيات مقتطعة من سورة قرآنية معينة؛ وذلك لأن السورة القرآنية قطعة واحدة، وبناء كلي متكامل، فيها المقدمة (المدخل أو التمهيد)، والحبكة (الموضوع)، والخاتمة (المراد والنتائج)، ومع التقطيع سيضيع كل ذلك، فهذه الطريقة (التقطيعية) سببت ارباكاً في فهم السورة القرآنية فضلاً عن آياتها، وهذا الأمر كذلك موجود في الأحاديث والروايات كما فعل محمد بن الحسن المعروف بالحر

العاملي (ت ١١٠٤هـ) في كتابه وسائل الشيعة عندما قطع الأحاديث والروايات فأضاع المراد الكلي منها.

عملنا في هذا الكتاب، أي: وفق طريقة التفسير الإجمالي هو: إن (التفسير الإجمالي)، هو قرآني بالأساس، استعمله القرآن في عرضه للآيات القرآنية عموماً، ولآيات الأحكام بشكلٍ خاص.

فهو سواء، أكان منهجاً يستعمل في التفسير، أو كان طريقة للتفسير، إذ للمنهج أسسه، وللطريقة اسسها، والجامع المشترك هو أنه تفسير إجمالي لا إطالة وإسهاب يعتريه، ولا اختصار وإجمال فيه، فكان كتابنا هذا يتعرض لأسلوب التفسير التجزيئي بطريقة إجمالية في التفسير.

إن هذا الكتاب هو مجرد مدخل عام لأسلوب (التفسير التجزيئي)، وسبب تأليفه ـ كما نوهنا ـ هو تعليمي بحت، لذا فقد راعينا فيه الاختصار مع الإفادة، وان استعراض جميع المباحث، أو الكلام في كل التفاصيل، أو ذكر جميع التشعبات ليس من اختصاص كتابنا، بل ان تركيزنا هو على الهدف (التعليمي) بقسميه النظري والتطبيقي، كل ذلك في سبيل بناء (طالب علم) يفهم كيفية التفسير، ويستطيع تطبيق ذلك، ليكون في المستقبل القريب مفسراً، أو مشروع صناعة مفسر، يتميز بالإلمام بالتفسير ويفهم ماهية وحقيقة العملية التفسيرية.

إن هذا الكتاب يحتوي على اختزالات لأمورٍ لها قابلية الاتساع، وفيه غضٌ للنظر عن أمور تُعد بديهية عند البعض، ويحتوي على ترقيمٍ معين، ومنهجية معينة، وشرح معين، كل ذلك ـ وغيره ـ في سبيل ان نوضح ونبين خطوات أسلوب (التفسير التجزيئي) ضمن طرح تعليمي مفيد ونافع، ووفق منهجية تدريسية تتناسب مع مرحلة الطالب وتحصيله العلمي، وبطريقة إجمالية في التفسير.

إن المنهجية التي تناولنا فيها هذا الكتاب من الممكن تطويرها، أو اضافة المزيد لها، أو لربما وضع منهجية أخرى، نعم، ان كل ذلك ممكن، وغير ممنوع، إلا اننا قد اقتنعنا بهذه المنهجية بحسب تجربتنا التدريسية مع من درسناهم من الطلبة، إذ قد تبين لنا ان هذه المنهجية ـ ووفق

هذا الطرح ـ هي الأفضل والأكثر فائدة، لذا قررنا أن نوحد الأوراق، ونجمع الصفحات، لنوحدها في كتابٍ واحدٍ؛ ليكون مدخلاً مهماً لأسلوب (التفسير التجزيئي) لتعليم الطلبة والدارسين كيفية التفسير نظرياً وتطبيقياً.

في آخر الكلام نسأله تعالى التوفيق، ونشكره تعالى ان وفقنا لهذا، ونسأله تعالى التوفيق للمزيد، انه سميع الدعاء.

والحمد لله رب العالمين

المؤلف

١٤٤٢هـ

القسم النظري

تعريف التفسير التجزيئي

تفكيك العنوان وتوضيح المصطلحات

سنقف مع تعريف التفسير التجزيئي وما يتعلق به من تعريفات أخرىٰ مهمة لها مدخلية في إيفاء هذا المبحث حقه.

أولاً: التفسير لغة:

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «فسر: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُ علىٰ بيان شيءٍ وإيضاحه. ومن ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرْتُ الشيءَ وفسَّرتُه، والفَسْر والتَّفسِرَة: نظَر الطَّبيب إلىٰ الماء وحُكمهُ فيه»[1].

وقال الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ): «الفَسْرُ: إظْهَارُ المعنىٰ المَعقول، ومنه قيل لِما يُنْبِئُ عنه البَوْلُ: تَفْسِرةٌ، وسُمِّيَ بها قَارُورَةُ الماءِ، والتَّفْسِيرُ في المُبالغَة كالفَسْر، والتَّفْسِيرُ قد يقال فيما يخْتَصُّ بمُفْرَداتِ الألفاظ وغَرِيبها، وفيما يخْتَصُّ بالتأويل»[2].

وقال ابن منظور (ت٧١١هـ): «الفَسْرُ: البيان. فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكسر، ويَفْسُرُه، بالضم، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أبانه، والتَّفْسِيرُ مثله... الفَسْرُ: كشف المُغَطّىٰ، والتفسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل... والفَسْر: نظر الطبيب إلىٰ الماء، وكذلك التَّفْسِرةُ»[3].

---

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، اعتنىٰ به: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ: ٨١٨.

(٢) الاصفهاني، الراغب، مفردات ألفظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، انتشارات ذوي القربىٰ، قم ـ إيران، ط٤، ١٤٢٥هـ: ٦٣٦.

(٣) الأفريقي، ابن منظور، لسان العرب، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين ونضال علي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ: ٢: ٣٠٣٣.

عند التمعن في آراءِ اللغويين حول معنىٰ (التفسير) نلحظ ـ عموماً ـ بروز معنيين اساسيين هما:

١ـ توضيح و شرح المجملات، وكشف المخفيات.

٢ـ كشف المعنىٰ المراد عن طريق التفصيل في المواضيع.

أما التركيز علىٰ الألفاظ الغريبة في شرح معنىٰ مفردة (فسر) فلا دليل عليه، ذلك لأن التفسير من (التفعيل)؛ أي نوع من المبالغة، أي إظهار المعنىٰ وكشفه بصورة جلية، وهذا خلاف الذهاب من البعض إلىٰ المعاني الغريبة والبعيدة، أو قلب الألفاظ أو لي النصوص لإثبات أشياء موجودة في أذهانهم فقط.

إن التفسير اطلاقٌ عام يشمل الظاهر وغير الظاهر، وقد وقع الخلاف في عمومية ذلك من عدمه.

ثانياً: التفسير اصطلاحاً:

إن التَّفْسيرُ اصطلاحاً هو: «توضيح معنىٰ الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة»[١].

أو ان التفسير هو: «بيان ان موضوع معرفة ما متضمن في حقائق مسلم بها أو في مبادئ ليس فقط مسلماً بها بل هي ايضاً واضحة، أي مستندة إلىٰ أحكام ضرورية»[٢].

فالمراد من التفسير هو: «الشرح والبيان»[٣]، أو «إخراج الشيء من مقام الخفاء إلىٰ مقام التجلي»[١].

---

(١) الجرجاني، الشريف (ت٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٤م: ٥٠.

(٢) وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٨م: ٢١٣.

(٣) الزيات، أحمد، المعجم الوسيط، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول ـ تركيا، ط٢، ١٩٧٢م: ٦٨٨.

إن علم التفسير:«هو ذلك العلم الذي يُعرف الإنسان بمعاني ومقاصد الآيات القرآنية، ومصادرها، وأسسها، ومناهجها، ومعاييرها، وقواعدها»[٢].

إن تفسير القرآن الكريم؛ علمٌ من العلوم الإسلامية، يراد منه توضيح معاني القرآن الكريم وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرارٍ وحِكَم، وأحكام، وسلوك وأخلاق[٣].

وبذلك يكون لعلم التفسير موضوع، وهدف، وفائدة أو غاية حاله في ذلك حال جميع العلوم الشرعية، بل تتأتى لعلم التفسير أفضلية على غيره كونه علماً خادماً لكتاب الله تعالى.

ثالثاً: تعريف تفسير القرآن الكريم:

إن التفسير سواء كان بالمعنى اللغوي أو الاصطلاحي أو القرآني أو العرفي أو الشرعي فإنه يدل على الكشف والبيان.

فإن المراد بتفسير القرآن عند الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) هو:«علم معاني القرآن، وفنون أغراضه من القراءة، والمعاني، والإعراب، والكلام على المتشابه، والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وانواع المبطلين»[٤].

اما الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): فإن تفسير القرآن الكريم عنده هو: «كشف المراد من اللفظ المشكل»[٥].

---

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ: ٢٩.

(٢) الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، تعريب أحمد الأزرقي وهاشم أبو خمسين، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٦هـ: ٢٤.

(٣) ظ: الزيات، أحمد، المعجم الوسيط، مصدر سابق: ٦٨٨.

(٤) ظ: الطوسي، أبو جعفر (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، دون طبعة، دون تاريخ: ١: ٢ـ٣.

(٥) الطبرسي، أبو علي (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ: ١: ١١٣.

فالتفسير:«علمٌ يفهم به كتاب الله تعالىٰ المُنزل علىٰ نبيه محمد، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه و حِكَمِه»[1]. وبإطارٍ مجملٍ فإن تفسير القرآن الكريم: هو علم نزول الآية وسورتها واقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وكل ما يتعلق بذلك من أسس وأصول وقواعد[2].

وعموماً و عند تصفح كتب التفسير أو التي تناولت التفسير كعلم من علوم القرآن، يمكننا ان نلحظ بأن مفردة (التفسير) قد استخدمت بثلاثة معانٍ؛ فتارة يراد بها (فِعلُ المفسّر)، وتارة يراد بها (الكتاب) الذي وضع لتوضيح وشرح آيات القرآن الكريم، وتارة ثالثة يراد بها (علم التفسير)[3]. فهذه أنحاء ثلاثة قد تداولها المختصون، ولكل واحدة منها معناها واستعمالها الخاص بها.

رابعاً: تعريف التفسير التجزيئي اصطلاحاً:

إن المراد بالتفسير التجزيئي في الاصطلاح بحسب تعريف السيد محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ) هو: «المنهج الذي يتناول المفسّر ضمن إطاره القرآن الكريم آية فآية وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف»[4].

---

(١) الزركشي، بدر الدين (ت ٧٩٤ هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٦ م:٢٢.

(٢) ظ: الزركشي، بدر الدين (ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٦م:٤١٦.

(٣) ظ: الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، تعريب: أحمد الأزرقي وهاشم ابو خمسين، مركز المصطفىٰ العالمي للترجمة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٦هـ:٢٣

(٤) الصدر، محمد باقر (ت١٤٠٠هـ)، المدرسة القرآنية، مطبعة شريعت، قم ـ إيران، ط٢، ١٤٢٤هـ: ٢٠.

لكن لا بدّ هنا ان نميز ما بين التجزيئي (المُقَطَع)، وما بين التجزيئي (المُرَتَب) أو (المُتَسلسِل).

أو هو: «التركيز على ذات الآيات بما هي وحدة قائمة بنفسها، ومستقلة عن غيرها في التعبير والبيان»[1].

أو هو: «تفسير القرآن آية فآية وسورة فسورة، على حسب ترتيب سور القرآن وآياتها... وهذا النوع من التفسير هو المنهج الشايع»[2].

أو هو: «طريقة المفسرين في التعاطي مع الآيات بالشرح والبيان، والقائمة على أساس تقديم الشروحات للآيات الكريمة آية، آية، وذلك بالتتابع، وعلى وفق تسلسل التدوين الموجود في السورة المباركة»[3].

ولقد سمي التفسير بالتجزيئي؛ لأنه يجزئ السور والآيات، أي أنه يفسر الجمل التامة في السورة القرآنية الواحدة، وفي الآية الواحدة أيضاً، من دون أن يلحظ ما بينها من جهة ارتباط[4].

ووفقاً لذلك يقول الأستاذ محمد فاكر الميبدي: «ويلاحظ عليه؛ ان حصر التفسير التجزيئي (تفسير أجزاء القرآن) بما يوافق تسلسل تدوين الآيات في المصحف في غير محله، إذ إن المفسر لو أراد تفسير آيات منتخبة من سور القرآن مستهدفاً فهم تلك الآيات وحدها لكنه

---

(١) مصطفوي، محمد، المبادئ العامة لدرس القرآن وتفسيره، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٢م: ٣٥.

(٢) المازندراني، علي أكبر، دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ط٣، ١٤٣٦هـ: ١ : ٨٣.

(٣) الناصر، غالب، المشترك الدلالي في السورة القرآنية: الروافد والمقاربات، مطبعة الثقلين، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ٢٠٢٠م: ١ : ٢١٩.

(٤) ظ: الحسن، طلال، مراتب فهم القرآن، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٥م: ١٢٣.

شرع مثلاً بتفسير الآيات الواقعة في وسط القرآن أولاً، ثم ثنى بالآيات الواقعة في أوله ثم ختم بما ورد في آخره، فإنه يصدق على هذا النحو من التفسير بأنه تجزيئي مع أنه لم يكن موافقاً للترتيب الذي ذكره. وإذا أراد تفسير الآيات على وفق ترتيب النزول وانتخب مجموعة سور من القرآن على ما نزل، وحينما كان غير موافق ترتيب المصحف لم يعدّ تفسيراً تجزيئياً. ومن ناحية أخرى بما أنه لم يكن بالدراسة القرآنية لموضوع واحد لم يكن بالتفسير التوحيدي. إذن فيجب ان يحذف قيد (وفقاً لتسلسل تدوين الآيات) أو نبدل الاصطلاح المذكور فيطلق عليه اسم التفسير الترتيبي فيشمل حينئذ تسلسل تدوين الآيات من أول المصحف أو السور وكذلك ترتيب النزول»[1].

وهذه ملاحظات جيدة، وتمييز جيد للتفسير التجزيئي الترتيبي، والتفسير التجزيئي التسلسلي، وفق هذا الطرح من التفريق والتمييز.

وقد قيل عن وظيفة التفسير التجزيئي: «إن الوظيفة الأساسية للتفسير التجزيئي إبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية دون بيان الموقف القرآني الذي تُشكله مجموعة مداليل تفصيلية»[2].

وهذا غير دقيق، وذلك ان الطرح القرآني كان على ثلاثة أساليب هي:

١ـ البيان الكلي: بأن يذكر القواعد والمبادئ العامة التي تكون أساساً لتفريع الأحكام الواردة في القرآن الكريم.

٢ـ الطرح التفصيلي: بأن يذكر القضايا والأحكام وما يتعلق بها بصورة تفصيلية، وبشرح تفصيلي.

٣ـ الطرح الإجمالي: بأن يذكر القضايا والأحكام بصورة مجملة.

---

(١) الميبدي، محمد فاكر، تطور حركة التفسير بين الاتجاهين الموضعي والموضوعي، (بحث)، موقع مجلة نصوص معاصرة، تاريخ النشر (١٧ ـ ١١ ـ ٢٠١٤م)، nosos.net.

(٢) الحسن، طلال، مراتب فهم القرآن، مصدر سابق: ١٢٣.

والمفسر حر في تناولها بأي أسلوب، ووفق أي منهجية يختارها، على ان يراعي تحقيق الفائدة والجدوى من عمله.

يقول السيد محمد باقر الحكيم: «ومع ان التفسير الموضوعي ايضاً يهتم بالواقع الموضوعي ومشاكله، إلا أنه لا يستطيع ان يقوم بهذا الدور، وذلك لأن جوابه يكون جواباً تجريدياً، أي يجرد فيه النص القرآني من خصوصياته بصفته نصاً له سياقه الخاص، وظروفه الخاصة في النزول، وطريقته المعينة في المعالجة من خلال طرح المفاهيم المتعددة، وبصورة متداخلة، ومن مقطع قرآني واحد. ولذا نعتقد ان: دراسة القرآن الكريم دراسة تجزيئية وعلى أساس هذا المنظور سيكون لها دور في إحداث حالة تغييرية في المجتمع، من خلال التفاعل مع المفاهيم القرآنية، ومن خلال معرفة مصاديقها، ومعرفة تطبيقاتها المعاصرة التي نعيشها الآن»[1].

خامساً: توضيح ما يتعلق بالتفسير التجزيئي:

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) يوجد نمطان متداولان من التفسير التجزيئي هما[2]:

النمط الأول: التفسير التجزيئي السرديّ: وهو الذي يكتفي فيه المفسّر بعرض الآراء التفسيريّة فقط، من دون تكبّد عناء التحليل والمناقشة لها. والمفسّر في هذا النمط من التفسير هو مجرّد ناقل، ولا يُطلَق عليه أنّه مفسّر إلا من باب التجوّز.

النمط الثاني: التفسير التجزيئي التحليليّ: وهو الذي يقوم فيه المفسّر بعرض أبرز الآراء التفسيريّة وتحليلها ومناقشتها وتقويمها، ومن ثمّ ترجيح أحدها أو الخروج برأي تفسيريّ جديد.

---

(١) الحكيم، محمد باقر، تفسير سورة الحمد، مجمع الفكر الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٠هـ: ١٠٨.

(٢) ظ: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس ـ تونس، دار سحنون، ط٣، ١٩٩٧م: ١ : ٧.

إن التفسير التجزيئي أسلوب تفسيري عريق، وهو الذي كان متبعاً منذ نزول القرآن الكريم.

سادساً: مصطلحات أخرى تطلق على التفسير التجزيئي:

إن هناك مصطلحات أخرىٰ قد أطلقت علىٰ التفسير التجزيئي هي:

١ـ التفسير الترتيبي: ويراد به تفسير القرآن الكريم وفق ترتيبه المعروف، أي: من سورة الفاتحة وحتىٰ سورة الناس.

٢ـ التفسير التسلسلي: والمراد به تفسير القرآن الكريم علىٰ التسلسل الطبيعي له، وعدم مخالفة هذا التسلسل في التفسير، إذ يبتدئ التسلسل بسورة الفاتحة وهي الأولىٰ في المصحف، وينتهي بسورة الناس وهي الأخيرة في المصحف.

علماً ان هناك من عدها شيئاً واحداً، وهناك من قسمها إلىٰ ثلاثة أقسام، وهذا بالعموم نزاع لفظي ليس فيه أي فائدة، أو اضافة، أو تطور.

٣ـ التفسير المفرداتي: أي ان كل مفردة من مفردات السورة القرآنية هي مادة أولية وأساسية في عملية التفسير، فيتم تفسير كل مفردة علىٰ حدا، لذلك سمي بالتفسير المفرداتي.

٤ـ التفسير الموضعي: لأنه يصب جهده علىٰ الموضع وهو: المقطع الذي يدرسه دون أن يكون في عزمه أن يتتبع الموضوع وتفصيلاته خارج ذلك المقطع و يسمىٰ أيضا بالتجزيئي؛ لأنه يدرس الآيات جزءاً بعد جزء؛ بمعزل عن باقي الآيات التي في الموضوع نفسه لكنها في أماكن ومواضع قرآنية أخرىٰ.

كما وقد يطلق علىٰ التفسير التجزيئي اطلاقات أخرىٰ كـ: تفسير الكلمات، وتفسير المعاني، وتفسير الجمل القرآنية، وتفسير الآيات القرآنية، وما شاكل ذلك.

٥ـ التفسير السنني: وسمي بذلك لأنه السنة المتبعة في التفسير من قبل النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، والأئمة المعصومين عليهم السلام من بعده، والصحابة وغيرهم إلىٰ يومنا هذا.

كما وقد تطلق عليه أسماء ومصطلحات أخرىٰ كـ: اللفظي، التحليلي، المناسباتي، السياقي، العام، التفكيكي، البنائي.

تقسيمات مهمة في علم التفسير

الأساليب والاتجاهات والمناهج التفسيرية

إن تفسير القرآن الكريم ينقسم إلى عدة تقسيمات، منها ما هو على أساس المنهج، ومنها ما هو على أساس الاتجاه، ومنها على أساس الأسلوب، ويمكن بيان ذلك كالآتي:

أولاً: أساليب التفسير:

إن الأسلوب التفسيري هو الكيفية التي اعتمدها المفسر بتفسيره، وتنقسم الأساليب التفسيرية على أساس الترتيب وطريقة الرجوع إلى الآيات القرآنية إلى ثلاثة أساليب هي:

١ـ أسلوب التفسير التجزيئي أو (الترتيبي) أو (التسلسلي).

٢ـ أسلوب التفسير التنزيلي (حسب التنزيل).

٣ـ أسلوب التفسير التقطيعي أو (المَقطعي) أو (الموضوعي).

إذن فإن الأساليب التفسيرية المشهورة والمعمول بها هي ثلاثة: أسلوب التفسير التجزيئي، وأسلوب التفسير التنزيلي، وأسلوب التفسير التقطيعي، أما من حيث التطبيق؛ فإن الأسلوب الأول والثالث هما أكثر ما يُطبق في التفسير، وأما من حيث الشهرة وما عليه الأكثر قديماً وحديثاً؛ فإن الأسلوب الأول هو الأشهر.

وقد يطلق على الأسلوب التفسيري عند البعض اطلاق (اللون) التفسيري، فيسمى اسلوباً، ويسمى لوناً.

ثانياً: الاتجاهات التفسيرية:

إن اتجاهات التفسير «هي الأهداف التخصصية التي يهدف إليها المفسر، وتصبغ تفسيره، كالاتجاه العقدي، أو الفقهي، أو الأدبي، ونحو ذلك، وهي أوسع من المناهج...»[1]، وقيل بأن المراد بالاتجاه التفسيري هو: تأثير الاعتقادات الدينية، الكلامية، الاتجاهات العصرية

---

(١) الشايع، محمد بن عبد الرحمن، معجم مصطلحات علوم القرآن، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٢م: ٩.

وأساليب كتابة التفسير، والتي تتكون على اساس عقائد، واحتياجات وذوق وتخصص المفسر، وتنقسم الاتجاهات التفسيرية من خلال المنهج الحاكم على التفسير إلى ثلاثة اتجاهات هي:

١ـ الاتجاه النقلي (الحديثي).

٢ـ الاتجاه الاصطيادي أو (الرأي).

٣ـ الاتجاه الاجتهادي (الاستنباطي).

إن الاتجاه الأول يُفسر بالنقل وبواسطة الأحاديث فقط، ومع عدم وجود أحاديث فإن المفسر يتوقف ولا يفسر، والاتجاه الثاني هو التفسير بالرأي، ولقد اختلفت المدارس في قبوله ورفضه ما بين مبيح ومحرم له، والاتجاه الثالث هو الاجتهادي الاستنباطي، ولقد وضعت شروط خاصة به حتى لا يصل إلى القول بالرأي، ولا يكون كالاتجاه النقلي في التقييد.

ولقد اختلف الكُتاب والمفسرين في تحديد المراد بالاتجاهات التفسيرية، فما بين خلط بينها، إلى تفريق لا طائل منه عند البعض، ووضع موائز لا تمثل إلا وجهات نظر خاصة فقط.

ثالثاً: المناهج التفسيرية:

إن المراد بالمناهج التفسيرية هي الوسائل والطرق التي يسلكها المفسر لكتاب الله تعالى وفق خطوات منظمة في تناول الآيات القرآنية، بغية بيان معانيها والكشف عن مقاصدها ومداليلها، وقد يختلف من مفسر لآخر، طبقاً لمجموعة من الأصول والقواعد التي يقوم بتطبيقها وابرازها من خلال تفسيره، وتنقسم المناهج التفسيرية إلى:

١ـ منهج تفسير القرآن بالقرآن.

٢ـ منهج التفسير الروائي.

٣ـ منهج التفسير العقلي.

٤ـ منهج التفسير العلمي.

٥ـ منهج التفسير الإشاري (العرفاني) (الصوفي).

إن هذه المناهج الخمسة هي المناهج المشهورة في تفسير القرآن الكريم، وإلا فإن هناك من أضاف مناهج أخرى، كما وقد تعددت المناهج التفسيرية بتعدد المدارس، والمذاهب، والاعتقادات، ومصادر التشريع.

نعم، لقد تداخلت مصطلحات المناهج مع مصطلحات الاتجاهات والأساليب التفسيرية، ويمكن التفريق بينها بحسب الانحاء المبحوثة، أو بحسب السعة والضيق، أو ما يقارب ذلك.

طبقات المفسرين

إطلالة عامة على طبقات المفسرين

إن الكلام عن التفسير عموماً سيقودنا لا محالة إلى الكلام عن تاريخ التفسير، وهو سيقودنا للكلام عن طبقات المفسرين، إذ لا بدّ ـ هنا ـ أن نذكر طبقات المفسرين وهي كالآتي:

أولاً: طبقة الراسخين في العلم:

إن هذه الطبقة تُعد الطبقة الأولى والأعلى، فهي طبقة الراسخين في العلم، وأولهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومن ثم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده باقي الأئمة المعصومين عليهم السلام.

فهم الراسخون في العلم، المخصوصون بعلم تأويل القرآن الكريم وتفسيره، وقد دلت على ذلك النصوص المتواترة الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[1]. كما وأنه قد جُمعت ودوَّنت الروايات في التفاسير المأثورة، ومن ذلك كتاب التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، وتفسير العيّاشي، وتفسير عليّ بن إبراهيم القمي، وتفسير البرهان للبحراني، وتفسير نور الثقلين للحويزي.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «أفضل الراسخين في العلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد علم جميع ما أنزل الله في القرآن من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلم تأويله»[2].

من بعده صلى الله عليه وآله وسلم الأئمة المعصومون عليهم السلام، وعلى رأس أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والذي نروي حديثاً عنه لنتعرف من خلاله على مكانته من القرآن الكريم، وبالتالي مكانته التفسيرية.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٧).

(٢) المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، دار الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ: ٩٢ : ٧٨.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها، وأملاها عليّ فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، ثم وضع يده على صدري، ودعا الله أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً. فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً، ولم يفتني شيء لم اكتبه، أفتتخوف عليّ النسيان فيما بعد. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل»[1].

في رواية صريحة على مكانته عليه السلام في المنظومة الإسلامية عموماً، وفي الشأن القرآني بشكلٍ خاص.

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «أما إنه ليس عند أحد علم ولا حق ولا فتيا إلا شيء أخذ عن علي بن أبي طالب عليه السلام وعنا أهل البيت. وما من قضاء يقضي به بحق و صواب إلا بدء ذلك ومفتاحه وسببه وعلمه من علي عليه السلام ومنا. فإذا اختلف عليهم أمرهم قاسوا وعملوا بالرأي، وكان الخطأ من قبلهم إذا قاسوا، وكان الصواب إذا اتبعوا الآثار من قبل علي عليه السلام»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله علم نبيه التنزيل والتأويل، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام و علمنا، والله»[3].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، الكافي، منشورات الفجر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م:١: ٦٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، البحار، مصدر سابق: ٢ : ٩٥.

(٣) الفتوني، ابو الحسن(ت١١٣٨ هـ)، مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، تحقيق: لجنة من المحققين والعلماء والأخصائيين، الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ: ١٥.

بالتالي وبعد إيراد هذه الأحاديث تتبين المرجعية التفسيرية المتمثلة بخط أئمة أهل البيت عليهم السلام والذي يبتدأ بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ثم يستمر في سلسلة باقي المعصومين عليهم السلام، وهم (الراسخون في العلم) كما نوهنا.

ثانياً: طبقة الصحابة والتابعين:

وهذه الطبقة، أما أن نطلق عليها هذه التسمية تماشياً مع مدارس أهل السنة، أو تسميتها بالطبقة التي روت التفسير عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأخذت العلم منه.

لو نظرنا إلى هذه الطبقة بحد ذاتها، لرأينا فيها تداخلاً وتدافعاً وتزاحماً تكون السبقة فيه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الأئمة من ولده من بعده عليهم السلام.

يقول الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ): «أول من تكلم في تفسير القرآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أعلم المسلمين بكتاب الله وتأويله بلا مدافع، بل هو باب مدينة العلم»[1].

نعم، إن أول المتكلمين في تفسير القرآن الكريم من أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ثم ابن مسعود، ثم أُبي بن كعب، ومن التابعين أشتهر علي بن أبي طلحة، وقيس بن مسلم الكوفي، ومجاهد بن جبر المكي، وقتادة بن دعامة السدوسي، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي، وعكرمة مولى ابن عباس، ثم طاووس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح المكي، وجابر بن يزيد الجعفي، ومحمد بن السائب الكلبي، والحسن البصري، ومالك بن أنس، وعامر الشعبي، وعطاء بن أبي سلمة، وسليمان بن مهران الأعمش، وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، والضحاك بن مزاحم، وعطية بن سعيد العوفي[2].

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١: ٦٨.

(٢) ظ: الطبرسي، أبو علي (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ، مقدمة التحقيق: ١ : ٦٨ـ٦٩.

لقد كان أجلُ الصحابة وأعظمهم وأعلمهم بكتاب الله وتفسيره وتأويله وظاهره، علي بن أبي طالب عليه السلام، كما اعترف بذلك المخالف والمؤالف وعلماء العامة والشيعة، وما صرح به ابن عباس، وابن مسعود، كما ومن المعلوم بأن الصحابة أو التابعين لم يكونوا على مستوى واحد من العلم أو فهم القرآن الكريم أو تفسيره، وهذا التفاوت كان معروفاً بينهم، وقد صرحوا بذلك اجمالاً.

قال السيوطي(ت٩١١هـ): «وأما علي: فروي عنه الكثير، وقد روى معمَّر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني، فوالله لا تسألون عن شيءٍ، إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله. فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليلٍ أم بنهارٍ، أفي سهلٍ أم في جبل»[1].

كذلك يقول محمد حسين الذهبي (ت١٩٧٧م) في كتابه التفسير والمفسرون: «ولهذا نرى الإمساك عن الكلام في شأن أبي بكر وعمر، وعثمان، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، ونتكلم عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب؛ نظراً لكثرة الرواية عنهم في التفسير، كثرةً غذت مدارس الأمصار على اختلافها وكثرتها»[2].

ولقد مرت العملية التفسيرية بمراحل تكوين، وهو التدرج بالحفظ والفهم والتفسير، فعن ابن مسعود: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»[3].

---

(١) السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٣٩٤هـ:٢: ١٨٧.

(٢) الذهبي، محمد حسين (ت١٩٧٧م)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٠م: ١ :٦٩.

(٣) الطبري، ابن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ: ١ : ٦٥.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلّفوها حتىٰ يعملوا بما فيها من العمل. قال: «فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً»[1].

وتأكيداً علىٰ زمن التابعين فقد دون التفسير في زمانهم كذلك، وكان أول كتاب دون في التفسير هو لسعيد بن جبير (ت٩٤هـ)، وإسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي المعروف بالسدي الكبير (ت١٢٧هـ)، ثم محمد بن السائب الكلبي (ت١٤٦هـ)، وكذلك جابر بن يزيد الجعفي (ت١٢٨هـ) وغيرهم ممن عد من أهل المائة الثانية للهجرة.

كما وان منهم: ميثم التمار (ت٦٠هـ)، وجابر بن عبد الله الأنصاري (ت٧٤هـ)، وطاووس بن كيسان (ت١٠٦هـ)، وجابر بن يزيد الجعفي (ت١٢٨هـ)، وإبان بن تغلب (ت١٤٦هـ)، والفضيل بن يسار (ت١٤٧هـ)، وهشام بن سالم الجواليقي (ت١٤٨هـ)، وسليمان بن مهران (ت١٤٨هـ)، وثابت بن دينار المعروف بأبي حمزة الثمالي (ت١٥٠هـ)، ومحمد بن فرات (ت١٥٠هـ).

وجملة مستكثرة من الاسماء، وبحسب المدارس، كما وان بعض المدارس قد أضاف تابعي التابعين للطبقات، واعتبرهم مصدراً من مصادر التفسير، واعتبر أقوالهم حجة، وعامل أحاديثهم معاملة الحديث المرفوع إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

ثالثاً: طبقة أصحاب الأئمة:

ويراد بهم من روىٰ عن الأئمة المعصومين عليهم السلام مباشرة، أي ممن عاصر المعصوم عليه السلام وشاهده وروىٰ عنه، أو من عاصره ولم يشاهده لكنه روىٰ عنه إذ كانت رواياتهم عمن روىٰ وشاهد المعصوم عليه السلام.

---

(١) الطبري، ابن جرير، جامع البيان، مصدر سابق: ١ : ٦٧.

وهم: كالعياشي والحسن ابن خالد البرقي الذي كتب مائة وعشرين مجلدة في التفسير من إملاء الإمام العسكري عليه السلام[1]. وكذلك علي بن إبراهيم القمي ومن في طبقته وفي مقامه، ومحمد بن إبراهيم النعماني (ت٣٦٠هـ).

نعم، يمكن أن نذكر أسماءً ممن يعدون من طبقة أصحاب الأئمة وهم:

يونس بن عبد الرحمن الأسدي (ت٢٠٨هـ)، ويحيى بن زياد المعروف بالفراء (ت٢٠٨هـ)، ومحمد بن أبي عمير (ت٢١٧هـ)، والحسن بن علي بن فضال (ت٢٢٤هـ)، ومحمد بن عيسى بن عبيد (ت٢٢٥هـ)، والحسن بن محبوب (ت٢٢٦هـ)، وعلي بن مهزيار الأحوازي (ت٢٢٩هـ)، وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري (ت٢٣٠هـ)، وافضل بن شاذان النيشابوري (ت٢٦٠هـ)، وسعيد بن عبد الله الأشعري (ت٢٩٩هـ).

وهذه الأسماء هي للمثال، وللأشهر من الأسماء، وليست للحصر، فلمن يريد التدقيق والإحصاء الكلي الرجوع إلى الكتب المختصة للتوسع في ذلك.

رابعاً: طبقة المتأخرين من علماء الشيعة الإمامية من المفسرين:

كالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، والشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، والشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، ومن ثم أبو علي الفضل الطبرسي (ت٥٤٨هـ) مؤلف تفسير مجمع البيان، وبعده الملاّ فتح الله الكاشاني (ت٩٨٨هـ) مؤلف كتاب منهج الصادقين، والملا صدر الدين الشيرازي (ت١٠٥٠هـ)، والملاّ محسن الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ) مؤلف تفسير الصافي، والسيد هاشم البحراني (ت١١٠٩هـ)، والشيخ عبد علي الحويزي (ت١١١٢هـ).

---

(١) ظ: ابن شهرآشوب، أبو جعفر (ت٥٨٨هـ)، معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة، مؤسسة نشر الفقاهة، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٥هـ: ٧٠.

خامساً: طبقة متأخري المتأخرين والمعاصرين من العلماء المحدثين والمفسرين:

وهم: كالشيخ محمد جواد البلاغي (ت١٣٥٢هـ)، والشيخ محمد جواد مغنية (ت١٣٩٩هـ)، والعلامة محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، والسيد الخوئي (ت١٤١٣هـ)، والسيد عبد الاعلى السبزواري (ت١٤١٤هـ)، وجملة من المعاصرين.

نعم، ان هذه الطبقة هي أكثر من ان نحيطها من حيث الأسماء أو المؤلفات، لكننا أوردنا جملة من الأسماء وذلك من باب المثال لا الحصر، ولمن يريد المزيد مراجعة الكتب المختصة بذلك.

مصادر الاستمداد التفسيري

إن من أهم المباحث التي لا بدّ من التوقف عندها هي: بيان مصادر الاستمداد التفسيري، أو مصادر التفسير، أو الأصول المنهجية للتفسير، فإن هذه المصادر قد وقع فيها الأختلاف من حيث التسلسل، ومن حيث كيفية الاعتماد عليها، مع اختلاف كل مدرسة عن الأخرىٰ في كيفية تناول مصادر التفسير.

إن المراد بالأصول المنهجية: «البنىٰ التحتية التي تبتني عليها القواعد الكلية الحاكمة لصياغة أي منهج جديد علىٰ وفق منظومة تشتمل علىٰ فلسفة وإجراءات تهدف للوصول إلىٰ نتيجة متوخاة»[1]. فهي ـ هنا ـ بنىٰ تحتية تبتني عليها القواعد من أجل صياغة منهج جديد وفق منظومة معينة لأجل الوصول إلىٰ نتيجة مفيدة.

وقد يراد بالأصول: (موارد الاستمداد)، والتي يُستمد منها المَعين للإعانة والديمومة، وقد اشار الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) إلىٰ ذلك بقوله: «استمداد العلم يراد به توقفه علىٰ معلومات سابق وجودها علىٰ وجود ذلك العلم عند مدونيه، لتكون عوناً لهم علىٰ إتقان ذلك العلم، وسمي ذلك في الاصطلاح بالاستمداد عن تشبيه احتياج العلم لتلك المعلومات بطلب المدد، والمدد؛ العون والغوث، فقرنوا الفعل بحرفي الطلب وهما؛ السين والتاء، وليس كل ما يُذكر في العلم معدوداً من مدده، بل مدده ما يتوقف عليه تَقَوُّمُه»[2]. فالاستمداد من (المَدَد) أي التعزيز والإضافة، وهو العون المقدم والمضاف في حال الطلب، أو في حال الحاجة والضرورة.

---

(١) الحجار، عدي جواد، الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء ـ العراق، ط١، ٢٠١٢م: ٢٦.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: ١: ١٨.

نعم، يراد بالاستمداد العلمي لعلمٍ معين هو؛ توقفه على معارف يسبق وجودها وجوده، حتى تكون عوناً ومعيناً في إتقان تدوين وتكوين ذلك العلم، وفي تقومه واستقامته، وفي تحقيقه الفائدة المرادة منه.

إننا سنقف هنا مع بيان مهم لمصادر التفسير من حيث تقسيمها إلى ثلاثة أقسام مهمة ومفيدة للباحث مع ذكر تفريعات كل قسم ان وجدت، وهي:

أولاً: المصادر الأولية (الأساسية):

أي: المصادر الأولى للتفسير، والتي كانت الأساس في العملية التفسيرية، فقد كان ينزل القرآن الكريم فيفسر بعضه بعضاً في آيات، ويفسره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بواسطة سنته في آيات أخرى، لذا فإن المصادر الأولية للتفسير، وهي:

١ـ القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو: «كتاب الله تعالى الذي نزل بطريق الوحي لفظاً ومعنى على رسوله محمدﷺ بلسان عربي ونقل إلينا نقلاً متواتراً والذي تضمه دفتا المصحف الشريف البادئ بسورة الفاتحة والمنتهي بسورة الناس وجاء تنزيله منجماً استغرق ثلاثة وعشرين عاماً وتم تدوينه في حياة الرسول الكريم ويحتوي على مائة واربعة عشر سورة توزعت على ثلاثين جزءاً»[1].

ولقد اختلفت الأقوال في تعريف القرآن الكريم، فهو صعب التعريف من جانب، وكذلك لكثرة التسالم بخصوصه من جانب آخر.

---

(١) الزلمي، مصطفى (ت ٢٠١٦م)، وعبد الباقي البكري، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ـ العراق، ط١، ١٩٨٦م: ٦٤.

يقول السيد محمد تقي الحكيم في تعريف القرآن الكريم هو: «كتاب الله عز وجل، الذي أنزله على نبيه محمدﷺ ألفاظاً ومعاني وأسلوباً، واعتبره قرآناً، دون ان يكون للنبيﷺ دخل في انتقاء ألفاظه أو صياغته»[1].

في ردٍ على من ادعى بأن الكليات القرآنية من الله تعالى، والألفاظ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا شطط، وإدعاء باطل لا أساس له، إلا عند أعداء الإسلام.

إن القرآن الكريم هو الأصل المنهجي الأول والأساس والرئيس في التفسير وفي مجمل العملية التفسيرية، ومن دونه لا يمكن الإكتفاء بالفهم الشخصي. فالقرآن الكريم هو أصدق مرجع، وأصح مصدر يرجع إليه في تقنين القوانين، واستخراج الأصول، لأن العربية لم تشهد كتاباً أحيط بالعناية، واكتشف بالرعاية منذ زمن مبكر، فحوفظ على تراكيبه، واحصيت كلماته وحروفه، وكيفية ترتيله بلهجاته، مع إتقان متناهٍ في التلقين، ودقة بالغة في الأخذ والأداء مثل القرآن الكريم[2].

فكان للقرآن الكريم الدور الأساس والرئيس في الحفاظ على اللغة العربية، وهذا واضح، ولا يمكن إنكاره.

كما وإن الاستمداد من القرآن الكريم يقتضي الاستدلال به، والمراد بالاستدلال بالقرآن الكريم هو: «إقامة القرآن دليلاً لتصحيح المعاني وقبولها، أو إبطالها وردها»[3]. وذلك وفق أسس القرآن الكريم نفسه، فهو بحق (السهل الممتنع).

---

(١) الحكيم، محمد تقي (ت١٤٢٣هـ)، الأصول العامة للفقه المقارن، المجمع العالمي لأهل البيت، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٦هـ: ٩٩.

(٢) ظ: المخزومي، مهدي (ت ١٩٩٤م)، مدرسة الكوفة ونهجها في دراسة اللغة والنحو، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة ـ مصر، ط٢، ١٩٥٨م: ٥١.

(٣) الزهراني، نايف بن سعيد، الاستدلال في التفسير: دراسة في منهج ابن جرير الطبري، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط٢، ١٤٣٦هـ: ١٨٦.

إن القرآن الكريم كان مرجعاً تفسيرياً أولياً، وهو مصدر المعارف الأول، ومصدر التشريعات من دون منازع، ثم ان فهمه أو عدم فهمه من قبل البشر لا ولن يؤثر على كونه المصدر الأول، إذ أن لكل موضوع طبيعته الخاصة به، وعدم الفهم عند البعض لن يؤثر على مكانة القرآن الكريم مطلقاً، لكنه سيؤثر في طريقة الفهم الشخصي الخاص، ومن ذلك ـ كمثال ـ ما حصل عند البعض بسبب خلل (جرس) اللفظ و(جرس) السمع، فخلط ما بين الأصلي والمتداول، وفسر البعيد بالقريب، وما شاكل ذلك من أخطاء وقع فيها غير العرب ممن فسروا القرآن الكريم، بما تعلموه وليس بما من المفروض ان يتذوقوه من معين اللغة العربية الأصيلة، فالقرآن الكريم (عربيٌ مبين) وعلى ذلك يكون التفسير الصحيح للقرآن الكريم.

أما عن أهمية جرس السمع وجرس اللفظ فقد قالوا: «والاكتساب يتنافى ومفهوم السليقة العربية، ولا تكون لغة المعلم مطابقة كل المطابقة لغة العربي المتعلم، ولا تشكل، كما يقولون، صورة طبق الأصل عنها...»[1].

إن هذا ما يجب التنبه له؛ حتى لا يكون هناك خلل في فهم المصدر الأول للتشريع من جانب، وحتى لا يقع الخلل في تفسير القرآن الكريم من جانب آخر، وذلك لما له من حساسية ودقة في فهم وتحديد المراد.

٢ـ السنة:

لقد عرفها الشيخ عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ) بأنها: «قول من لا يجوز عليه الكذب والخطأ، وفعله وتقريره، غير قرآن ولا عادي، وما يحكي أحد الثلاثة يسمى: خبراً، وحديثاً»[2].

---

(١) طحان، ريمون، فنون التقعيد وعلوم الألسنية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط١، دون تاريخ: ٢٠.

(٢) المامقاني، عبد الله (ت١٣٥١هـ)، مقباس الهداية في علم الدراية، تحقيق: محمد المامقاني، مطبعة نكارش، قم ـ إيران، ط٢، ١٣٩٣هـ: ١ : ٥٩.

وهذا تعريفٌ من التعاريف للسنة كمصدر مهم في التفسير، والتشريع، وإلا فإن هناك الكثير من التعريفات قد عُرفت بها السنة.

إن المراد بها ـ هنا ـ هي (السنة القطعية)، فقد ذكر علماء المسلمين ولاسيما علماء الأصول أنها ما صدر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير فقالوا: ثبت هذا الحكم بالسنة لا بالكتاب وعليه فإن السنة عند الأصوليين دليل من أدلة الأحكام وعند الفقهاء حكم شرعي يثبت للفعل بالدليل[1].

وقولهم: (قوله أو فعله أو تقريره) يراد به حين صدور الكلام في ذلك الوقت، إذ كان أما بقول، أو بفعل أو بإقرار، فالتقسيم موضوع لطبيعة الحديث أو الفعل الصادر عن النبي الأكرم ﷺ، أما اليوم فما عندنا هو (قوله) فقط، فكل الأحاديث والأفعال تحولت إلى (أقوال) مبثوثة في كتب الحديث، لذلك يجب التنبه إلى هذا الأمر جيداً، أما من قال ان هناك فرقاً ما بين (السنة القولية) و(السنة العملية) فقوله أشد خللاً، ذلك ان ما لدينا في كتب الحديث هو (الأقوال)، والعمل يقتضي المعايشة، ومع عدم المعايشة فلا يبقى إلا الأقوال فقط، فليتنبه لذلك، ولنترك الببغاوية التي يرددها بعض الأشخاص من غير علمٍ ولا إدراكٍ.

إن للسنة المباركة أدواراً متعددة ومهمة بالنسبة إلى القرآن الكريم هي:

١ـ الدور التفسيري: أي تفسير مفاهيم القرآن الكريم، وذلك من حيث العموم، أي أنها ومن حيث الثبوت مفسرة للقرآن الكريم، وهي المرجع في ذلك، بما هي هي.

٢ـ الدور التبييني: وذلك من خلال بيان معاني المفردات الغامضة، وبيان التفاصيل للإجمال القرآني، وبيان جزئيات آيات الأحكام، على سبيل المثال.

---

(١) ظ: الربيعي، حسن، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، المكتبة القانونية، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ٢٠٠٩م: ٤٠.

٣ـ الدور التطبيقي: وذلك من خلال توضيح جملة من التطبيقات التي أوردتها الروايات المباركة، وهي كثيرة لمن أراد تتبعها، أي أنها ومن باب الإثبات مفسرة للقرآن الكريم.

٤ـ الدور التوكيدي: أي توكيد أو تأكيد التأسيس القرآني، وتعزيز الفهم القرآني، وتعميق فهم النص المقروء قرآنياً، معززاً بالسنة المباركة.

٥ـ الدور التعليمي: أي تعليم كيفية تفسير القرآن الكريم، والنصوص حول ذلك كثيرة ومتنوعة.

إن هذه الأدوار الخمسة مهمة جداً للمفسر، فإن عليه معرفتها، والعمل وفقها، فهي طريقه نحو انتاج تفسير أكثر ملائمة علمياً وعملياً.

ثانياً: المصادر المضافة:

ونقصد بها: المصادر التي أضيفت فيما بعد، والتي أضافها المفسرون من أجل الحصول على تفسير كامل أو ناضج أو قريب من المراد، ولقد أضيفت بسبب الحاجة لها، أو النقص في بناءها، أو تقعيدها، أو دقة تخصصها، وهذه المصادر المضافة هي:

١ـ اللغة:

إن اللغة العربية وآدابها تُعد من مصادر الاستمداد المهمة، ذلك ان النص الذي جاءت مصادر الاستمداد من أجله هو نص عربي، ويراد باللغة العربية وآدابها: «علم اللغة، والمعاني والبيان، والصرف والنحو، فإن كثيراً من القواعد مستلهمة منها»[1]. ذلك ان النص المُفَسر عربي.

يقول خالد العك في توضيح ذلك: «معرفة مقاصد العرب من كلامهم، وأدب لغتهم، فإن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه وبدون ذلك يقع الغلط وسوء

---

(١) الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، تعريب أحمد الأزرقي وهاشم أبو خمسين، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٦هـ: ٢١٥ـ٢١٦.

الفهم، والمعنيّ بقواعد العربية؛ مجموع علوم اللسان العربي، وهي فن اللغة والتصريف، والنحو والمعاني والبيان وغير ذلك»[1].

ولا يكفي التدريب بل لا بدّ من السليقة السليمة، ولا يكفي الحفظ بل المراد هو وجود جرس اللفظ وجرس السمع، وخلاف ذلك فإن الوقوع في الخطأ وارد جداً، بل كثير.

إن معاني القرآن ومعارفه العالية ومطالبه الشامخة لا تُدرك و لا تُفهم إلا بطريق العلم بألفاظه ومفرداته والقواعد المبتنية عليها الخطابات والآيات القرآنية.

إن القرآن إنما نُزّل بلسان قوم العرب، حتىٰ يتحقق به تبيين حدود الله وأحكامه وتفهيم المعارف الحقّة الإلهية للناس، فلو لم يكن القرآن بلسان القوم لم يفهموه حتىٰ يهتدوا بهدايته[2].

ولقد تفرعت اللغة من حيث العلوم الخاصة بها كالنحو، والصرف، والبلاغة، وكل علم من علوم اللغة العربية له تفرعاته، وتشعباته، ومصادره، ومراجعه، وكتبه الخاصة، حتىٰ وصل التشعب حد عدم القدرة علىٰ الإحاطة بجملة من المباحث.

إن السبب الرئيس في التأكيد علىٰ درس اللغة العربية، وتدريس مفسر القرآن لها؛ بسبب البعد عن زمان اللسان العربي الصحيح، وبسبب دخول اللغات واللهجات مما أثر علىٰ نقاء اللغة العربية، ولحصول الخلل وبشكلٍ أغلبي في جرس السمع وجرس اللفظ، فهذه الأمور هي التي أدت إلىٰ ضرورة دراسة وتدريس اللغة العربية، والاحاطة بها، وبالخصوص لمفسر القرآن الكريم.

٢ـ أقوال الصحابة:

إن أقول الصحابة، وبالخصوص في مدارس أهل السنة تُعد من مصادر التفسير المهمد عندهم، وذلك وفق أحاديث يستندون إليها، وإجازات ينقلونها، وتفسيرات جرت

---

(١) العك، خالد عبد الرحمن (ت١٤٢٠هـ)، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م: ٤٣.

(٢) ظ: المازندراني، علي أكبر السيفي، دروس تمهيدية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط٣، ١٤٣٦هـ: ١٤٥.

باجتهادهم الذي جاز لهم ان يفعلوه، وبذلك يختلط مصدر (الصحابة) مع مصدرين آخرين هما (الاجتهاد) و(الرأي)، مع العلم ان هناك فرقاً من جانب، وتشابهاً من جانب آخر ما بين الثلاثة المذكورة، أي: (أقوال الصحابي)، و(الاجتهاد)، و(الرأي).

نعم، لقد ذكر جملة من علماء أهل السنة إلى أن ما يُنقل عن الصحابة هو في حكم (الحديث المسند) أو (الموقوف) عن النبي صلى الله عليه وآله إذا لم يسند إلى النبي صلى الله عليه وآله، والمصادر القائلة بذلك كثيرة[1].

وإن قولهم هذا ـ يقيناً ـ إما اجتهاد يفتقر إلى أسس الاجتهاد، أو قولٌ بالرأي الذي لا مستند شرعي له.

يقول محمد حسين الذهبي عن كلام الصحابي في التفسير: «لا يجوز رده اتفاقاً، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال»[2].

وينبثق من تفسير الصحابة، أو يتفرع منه:

أ ـ تفسير التابعين:

فلقد أضاف قسماً الكُتاب والمؤلفين والمفسرين تفسير التابعين كذلك، ليأخذ نفس حكم الصحابي عندهم، وفي مصادر احتجاجهم، وفي كتب تفسيرهم.

يقول خالد بن عبد الرحمن العك: «والتفسير الوارد عن الصحابة الذي عاصروا الوحي وشهدوا أسباب النزول، وعاينوا دواعيه، فكانوا أعلم المسلمين بتفسيره وتأويله، وكذا أدرج علماؤنا تفسير التابعين»[3].

---

(١) ظ: النيسابوري، الحاكم، المستدرك على الصحيحين: ٢ : ٢٥٨ و ٢٦٣، والزركشي، البرهان في علوم القرآن: ٢ : ١٥٦، والعك، خالد بن عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده: ١١١ ـ ١١١٢.

(٢) الذهبي، محمد حسين (ت١٩٧٧م)، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة ـ مصر، ط٢، ١٩٧٦م: ١ : ٩٥.

(٣) العك، خالد بن عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، مصدر سابق: ١١٢.

أي قد أُلحق تفسير التابعي بتفسير الصحابي، وبالتالي يأخذ نفس حكمه، ويتم التعامل معه بنفس الطريقة.

ب ـ تفسير تابعي التابعين:

وهم الطبقة الثانية من التابعين، والتي تُلحق بالتابعين، وقد قَبل البعض الحقاها، ولم يقبل البعض ذلك، وقد وقع الاختلاف في حجيتها في الأحكام والتفسير.

إن هناك من ألحقها بما سبقها، وهناك من لم يلحقها، وبالتالي فهي مصدر تفسيري عند البعض، وليست كذلك عند البعض الآخر.

إن اضافة تابعي التابعين إلى سلسلة (الصحابة) كان لأسباب منها: الأسباب السياسية، والاسباب المذهبية، والاسباب القبلية، والاسباب البلدانية أو المكانية، وكل ذلك جاء لغايات خاصة، وليس لغايات دينية.

ثالثاً: المصادر المستحدثة:

وهي المصادر التي استحدثت فيما بعد، وذلك بعد انقطاع وتباعد الزمن، وذلك بعد ان دخلت العلوم العقلية إلى البلاد الإسلامية، وكثر الاشتغال بالفلسفة والمنطق والقياسات والعقليات، ومن أهم هذه المصادر المستحدثة:

١ ـ العقل:

فقد أُضيف العقل إلى مصادر الاستمداد التفسيري، وقد كانت حجة من جاء به انه أشرف الأدلة، وقيل بأنه قد جيء به في قبال (الرأي) من جانب، وليشار إلى (الاجتهاد الشرعي) به من جانب آخر.

قال أبن فارس في تعريفه للعقل: «العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل عظمه على حبسه في الشيء، أو يقارب الحبسة من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل...»[1].

---

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق: ٣٥٦.

وقال الراغب الأصفهاني: «اللب: العقل الخالص من الشوائب، وسمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان... وقيل: هو ما زكىٰ من العقل، فكل لب عقل، وليس كل عقل لباً، ولهذا علق الله تعالىٰ الأحكام التي لا يدركها إلا العقول الزكية بإولي الألباب»[1].

يقول الماوردي (ت ٤٥٠هـ) عن الاختلاف في وصف وبيان مصدرية العقل: «واختلف الناس في "العقل" وفي صفته علىٰ مذاهب شتىٰ فقال قوم: هو جوهر لطيف يفصل به بين حقائق المعلومات. ومن قال بهذا القول اختلفوا في محله، فقالت طائفة منهم: محله الدماغ، لأن الدماغ محل الحس. وقالت طائفة أخرىٰ منهم: محله القلب لأن القلب معدن الحياة ومادة الحواس... وقال آخرون: العقل هو المدرك للأشياء علىٰ ما هي عليه من حقائق المعنىٰ... وقال آخرون من المتكلمين: العقل هو جملة علوم ضرورية... وقال آخرون وهو القول الصحيح: إن العقل هو العلم بالمدركات الضرورية...»[2].

إن الماوردي هنا يذكر أربعة أقوال للعقل هي: جوهر لطيف، المدرك للأشياء، جملة علوم ضرورية، العلم بالمدركات الضرورية.

فعلىٰ الرغم من هذا التعدد إلا ان ردها إلىٰ مورد واحدٍ ممكن، وذلك من خلال القول بأن ما أورده الماوردي يُعد من معاني وحقائق وتجليات العقل.

وعن حجية العقل يقول الأستاذ محمد تهامي دكير: «وقع الأختلاف بين الفقهاء حول حجية العقل، فمنهم من رفضه مطلقاً، ورفض أي تدخل له في التشريع، وتشبث بنصوص الوحي، والسنة النبوية، والأخبار المنقولة، فيما أعترف آخرون بهذه الحجية خصوصاً في أصول الاعتقادات "إثبات الخالق والمبدأ والتوحيد والنبوة" واعتبروا أن نفي الاعتبار والحجية عن العقل في أصول الدين إنما هو بمثابة إسقاط لاعتبار الدين، لأن هذه الأصول لا تثبت إلا بالعقل. أما في مجال استنباط الأحكام، فهناك إجماع علىٰ مدخلية للعقل في هذا

---

(١) الأصفهاني، الراغب، المفردات، مصدر سابق: ٧٣٣.

(٢) الماوردي، أبو الحسن (ت٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، دار المنهاج، ط١، ١٤٣٤هـ: ٢٠ ـ ٢١.

الاستنباط مع تفاوت بين المجتهدين في حجية العقل في هذا الاستنباط، باستثناء الإخباريين وأهل الظاهر الذين لا يعترفون بالعقل، ويقدمون الأخبار عليه، انطلاقاً من بعض النصوص الحديثية التي تحرم الرأي في الدين...»[1].

فلقد سرت قضية عدم القبول بالعقل إلى مسألة عدم القبول بكونه حجة، وعدم القبول بما تسمى (نتائجه): أي: نتائج العقل، ولقد تشعب النقاش ـ في ذلك ـ يميناً ويساراً، إلى ان استقر الحال عليه عند (الفقهاء) وفي استنباط الأحكام عندهم.

تتفرع على (العقل) كمصدر مصادر أخرى هي:

أ ـ الاجتهاد:

وهو بذل الجهد والوسع لاستخراج الأحكام، وهو متفرع على العقل كمصدر، وقد وضعوا له اسساً وشروطاً، ويسمى العامل به مجتهداً.

ب ـ الاستنباط:

والاستنباط مأخوذ من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2].

فقوله تعالى (يَسْتَنْبِطُونَهُ) يراد به الذين يستخرجونه منهم، وهو اسْتِفْعَالٌ مِنْ: أَنْبَطتُ كذا، والنَّبطُ: الماءُ المُسْتَنْبَطُ[3] أي المُستخرج.

وبذلك يكون المراد من (يَسْتَنْبِطُونَهُ) أي: يعرفونه ويستخرجونه، ولا استخراج من دون معرفة. فأضيف الاستنباط إلى العقل، وقيل بأنه متفرعٌ منه.

---

(١) دكير، محمد تهامي، علم اجتماع المعرفة تاريخ وإشكاليات، ضمن كتاب سوسيولوجيا المعرفة، كتاب المنهاج، مركز الغدير، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م: ١١.

(٢) سورة النساء، الآية (٨٣).

(٣) ظ: الاصفهاني، الراغب، المفردات، مصدر سابق:٧٨٨.

جـ ـ الرأي:

وقد أضافه البعض إلى العقل، أو جعله قباله، أو جعله مكانه، وهناك من قال باستقلاليته كدليل.

إن الرأي ممنوع، بل محرم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال في القرآن بغير علم، أو برأيه، فليتبوّأ مقعده من النار»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[2].

روى أبو جعفر بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله ـ جل جلاله ـ ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي»[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه»[4].

ووفق هذه الأحاديث المتقدمة، فإن الرأي محرم، ومنهي عنه في التفسير والتشريع، ولا يُعد دليلاً، بل هو يصل إلى حد البدعة، أو صناعة البدع، فحُكم بحرمته بحسب أدق الأدلة الحديثية والروائية الصحيحة.

٢ـ الإجماع:

إن الإجماع يُعد مصدراً من مصادر التفسير، ولقد أُشير إليه بكثرة في مدارس أبناء العامة.

---

(١) الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، التوحيد، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ: ٩١.

(٢) أبو داود، السجستاني (ت٢٠٢هـ)، السنن، دار الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ: ٢ : ١٧٧.

(٣) الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤٠٤هـ: ١ : ١٠٧.

(٤) العياشي، محمد بن مسعود (٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣١هـ: ١ : ٢٩.

إلا ان الإشكالات المثارة على الإجماع كثيرة جداً، فلا يمكن القبول بكثير من الإجماعات عموماً، كما ولا يمكن القبول بكثير من الإجماعات في التفسير بشكلٍ خاص.

لقد عُد الإجماع أحد أهم مصادر الفقه، وتم بحثه بشكلٍ مفصل في علم (أصول الفقه)، ومن ثم أصبح محل اهتمام المفسرين في التفسير كذلك، حتى ان الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) كتب في مقدمة تفسيره: «لا ينبغي لأحد ان ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلاً إلا ان يكون التأويل مجمعاً عليه، فيجب اتباعه لمكان الإجماع»[1].

نعم، إن الإجماع يُعد مصدراً تفسيرياً ـ فضلاً عن باقي العلوم ـ في مقام الثبوت، لكنه وفي مقام الإثبات هو أمر لا يمكن القبول به، أو التسليم بنتائجه تسليماً مطلقاً من دون مراجعة أو نقد.

إن مجرد اتفاق الناس، أو أهل العقد والحل، أو علماء الإسلام على أمرٍ ما لا يعني حجيته؛ لأنه لا يوجد دليل على حجية هكذا إجماع، ذلك ان رأي الأفراد ـ وحده ـ لا يمكن أن يكون كاشفاً عن رأي الدين، بل هو رأي، أو هو قرينة، وليس دليلاً مستقلاً بنفسه، إن سلمنا به، أو قبلنا به، فضلاً ان أكثر الإجماعات منقولة بحسن الظن، وليس عن تحقيق أو تحقيب دقيق.

إن إضافة الإجماع كمصدر هو شيء مستحدث بحسب تاريخ الأدلة، وأضيف بعد تأسيس العلوم، وتأليف الكتب، وتكثر أقوال العلماء، فجاء من قال بدليليته، ولا ندري أكان سبب ذلك هو حسن الظن، أم التقليد، أم الجهل؟

إن الجواب يحتاج إلى تحقيق دقيق عن أصل وأسباب نشوء الإجماع، ولماذا جيء به كدليل، وما الغاية من وراء ذلك.

---

(١) الطوسي، أبو جعفر (ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، دون طبعة، دون تاريخ.: ١ : ٦.

٣ـ الإلهام:

وهو مصدر قد أضيف من قبل مدارس التصوف والعرفان وما شاكلها، فأضيف الإلهام لُيجعل مصدراً في التفسير، وهو مصدر ظهر متأخراً مع انتشار مدارس التصوف، والعرفان، وقد عرف التفسير بواسطة ذلك بالتفسير الإشاري.

إن التفسير الإشاري، أو الكشف والشهود، أو التصوف، أو العرفان، لا يُعد حجة مطلقاً، ولو تنزلنا وحاولنا قبول ذلك، فإنه لن يكون حجة إلا على قائله (شخصياً)، ولا يتعدى حتى إلى أفراد مدرسته، بل هو خاص به هو فقط.

إن لمصدر الإلهام عدة تسميات، ولربما عدة مصطلحات تتفرع عنه هي:

أ ـ التصوف:

إشارة إلى منهج الصوفية ممن يلبسون الصوف الخشن، علماً ان أفعالهم مساوقة للرهبانية المحرمة في القرآن الكريم.

ب ـ العرفان:

قيل بأنه مأخوذ من المعرفة، وان من قام برياضات معينة سيصل إلى مرحلة المعرفة، ويسمى عارفاً، وان هذا الطريق يسمى عرفاناً.

جـ ـ الكشف والشهود:

أي ان من يقوم برياضات معينة سيصل إلى مرحلة يكشف له فيها الغطاء، وتكشف الحُجب عن بصره وبصيرته، فيشاهد بعين البصيرة لا بعين البصر.

د ـ الإشراق:

أي ان من يقوم برياضات معينة سوف يصل إلى مرحلة يرى فيها ضوء المعرفة يُشرق عليه، أو تُشرق المعرفة في نفسه.

٤ـ العلوم:

إن العلوم جيء بها كمصدر تفسيري مع دعوات التجديد التفسيري، حتىٰ أُقحمت علوم لا علاقة لها بالتفسير في خضم العملية التفسيرية، حتىٰ وصل ذلك إلىٰ الشطط عند جملة من المفسرين، وأصبحت بعض التفاسير مثار نقد وسخط وتهكم.

ويمكن تقسيم العلوم عموماً كمصدر في التفسير إلىٰ:

أ ـ العلوم القديمة:

إي العلوم التي كانت معروفة قديماً، كعلم الهيئة والنجوم، وعلم الطب، والتعدين، والجبر، والكيمياء، وما شاكلها من علوم قديمة.

ب ـ العلوم التجريبية:

إن العلوم التجريبية هي: العلوم القائمة علىٰ الحسّ والتجربة، مثل العلوم الطبيعية، والعلوم الاجتماعية، في إشارة إلىٰ دور التجربة في تكونها واثباتها.

نعم، لقد استعين بالعلوم في موارد التشريع والتفسير، ولقد استعين بها في تفسير القرآن الكريم، وان جملة من العلماء قد فعل ذلك من أمثال ابن سينا (ت٤٢٧هـ)، وأبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، والفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، ومن شاكلهم قديماً، والشيخ الطنطاوي جوهري (ت١٩٤٠م) صاحب تفسير الجواهر، وسيد قطب (ت ١٩٦٦م) في تفسيره في ظلال القرآن، ومن شاكلهم في العصر الحديث.

جـ ـ العلوم الحديثة:

وهي العلوم المستحدثة أو المعاصرة أو الحديثة، وهي كعلم الفضاء، والجراحة الحديثة، وعلم الأكوان والمجرات، وعلم الأصوات، وعلم المجهريات، وما شاكلها من العلوم الحديثة.

وهذه العلوم قد أدخلها البعض كمصدر في التفسير، وعدها البعض الآخر مساعدة في التفسير، ورفضها آخرون.

٥ـ الدراسات السابقة:

إن المصدر الاستمداي الخامس ضمن المصادر المستحدثة في كتابنا هذا هو (الدراسات السابقة)، إذ ان لها دوراً كبيراً في فتح الأبواب للدارسين الجدد، وهي تشير إلى المصادر والمراجع التي يحتاجها الدارس.

إن المراد بالدراسات السابقة: المصنفات التي أُلفت حول القرآن الكريم، أو حول دراسات قرآنية، وهي التي دعت الحاجة إلى تأليفها، وذلك بعد اختلاط العلوم، والإيمان بضرورة التخصص، والدعوة إلى وجود ضوابط خاصة بكل علم من قبل العلماء وأهل الاختصاص.

يقول الأستاذ عدي الحجار: «بعد شعورهم بالحاجة لاستقلال التدوين للأسس المنهجية، ألف جماعة من أهل العلم كتباً بهذا العلم، مشيرين إلى ضرورة توظيف ضوابط خاصة تحكم العملية التفسيرية من خلال هذه الأسس التي قد وسمها بعضهم بأصول التفسير أو القواعد التفسيرية، ولم تكن هذه المصنفات على نسق واحد من الترتيب، أو من حيث المادة العلمية، إذ أنها كانت بمنزلة إرهاصات العملية التأسيسية، كما هو الحال في أي مشروع بناء نظري لعملية فكرية»[١].

نعم، فإن كل من يتصدى لتأليف كتابٍ ما في موضوعٍ غير مشبع تتملكه حالة حب التوسع فيه[٢]. لذا فإن المصنفات الأولية للعلوم مهمة جداً في بناء العلوم، أو في توضيح كيفية بناء العلوم، وتراكمها سيُكون حصيلة تندرج ضمن عنوان الدراسات السابقة التي سيستفيد منها الدارسون الجدد.

---

(١) الحجار، عدي جواد، الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، مصدر سابق: ٧٢.

(٢) ظ: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: ١: ٤٦.

ثوابت مهمة في تفسير القرآن الكريم

إن لعملية تفسير القرآن الكريم ثوابت مهمة، بل وضرورية، لا بدّ من التعامل معها، وهي تختلف باختلاف المدارس الإسلامية، وسيكون كلامنا عن الثوابت وفق المدرسة الشيعية الإمامية الاثني عشرية، وفق أشهر الثوابت، وذلك بعد استقراء النصوص التفسيرية في أحاديث المعصومين عليهم السلام، وفي جملة من أدق التفسيرات لعلماء التفسير الإمامية، وهذه الثوابت هي:

الثابت الأول: القرآن الكريم:

فهو النور المبين، وهو المحفوظ من كل شيء، وهو من يجب عرض كل شيء عليه، فإذا كانت الأحاديث الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وكذلك الأحاديث الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام تعرض عليه؛ فمن باب أولى ان يعرض عليه كلام باقي البشر العادي، وبالأخص كلام المفسرين وتفسيراتهم، واجتهاداتهم واستنباطاتهم وما شاكلها، لأنه المقياس في القبول والرفض.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

وفي الحديث عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال: أيها الناس ما جائكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جائكم يخالف كتاب الله فلم أقله»[3].

---

(١) سورة الحجر، الآية (٩).

(٢) سورة فصلت، الآية (٤٢).

(٣) الكليني، الكافي، مصدر سابق: ١ : ٦٩.

فإن القرآن الكريم هو الثابت الأول، والمرجعية الأولى، وما وافقه يؤخذ به، وما خالفه يُضرب به عرض الجدار.

ذكر المجلسي عن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كل شيء مردود إلى كتاب الله والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»[1].

كما وأورد الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) قول الإمام الرضا عليه السلام: «فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله، فما كان في كتاب الله موجوداً حلالاً أو حراماً فأتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن في الكتاب فاعرضوه على سنن النبي صلى الله عليه وآله»[2].

لكون سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم موافقة بالأصل للقرآن الكريم، مع ذلك يجري عليها ما نُجريه على باقي النصوص من عرضها عليه، فما وافقه أخذنا به، وما خالفه لا نأخذ به، بل نضرب به عرض الجدار كما في الأحاديث التي صرحت بذلك.

إن القرآن الكريم هو الثابت الأول، فما أسس له، أو أورده، أو ثبته؛ هو الأساس في الانطلاق، وغير ذلك مشكك به ما لم يأت دليل يساوق القرآن الكريم في حجيته، وإلا فلا يُقبل ولا يؤخذ به.

الثابت الثاني: السنة القطعية:

فلا اعتداد بغير السنة القطعية، إذ ان الكذب والوضع في الأحاديث كثير جداً، والسنة تُعد أحد مصادر التفسير، ومن القرائن الخارجية، كما وتوجد فيها نظريات وآراء مختلفة، ما بين متشدد ومتسامح بشأنها.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق: ٢ : ٢٤٢.

(٢) الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنا، ط١، ١٤٠٤هـ: ٢ : ٢٠.

إن حجية السنة ـ وبالخصوص السنة النبوية المباركة، من الأحاديث الواردة عن النبي الأكرم صلىٰ الله عليه وآله ـ جاءت من دليل قرآني يبين أن النبي الأكرم صلىٰ الله عليه وآله هو المفسر الأول والأصدق للقرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

أي: إن النبي الأكرم صلىٰ الله عليه وآله هو المبين للقرآن الكريم، وهو المرجع الأساس في تفسير آيات القرآن الكريم.

ملاحظة مهمة: إذا تعارضت روايتان، وكانت احداهما موافقة للقرآن الكريم، والأخرىٰ مخالفة للقرآن الكريم، وجب ترجيح ما وافق القرآن الكريم، أما ما خالف القرآن الكريم منهما ففاسد.

الثابت الثالث: عصمة المعصوم:

فإن كان المعصوم هو (أفعل تفضيل) في كل شيء، فكيف له أن يخطئ، أو لا يعرف شيئاً، أو تغره الدنيا بغرورها؟

إن عصمة المعصوم من الثوابت المهمة في تفسير القرآن الكريم، ونحن إما ان نقر بعصمته ونقبل بقوله مع تنزيهه من كل منقصة، أو نقبل بوقوع الأخطاء منه، وحينها لن يكون معصوماً، ولن نقبل منه، بل هو مجرد إنسان عادي يخطأ ويصيب، والخطأ ورادٌ عليه، وحينها فهو غير معصوم، ولا نقبل منه إلا ما نقبله من أي إنسان عادي.

وعن صفات الإمام المعصوم يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فثبت أنه لا بدّ من إمام عارف بجميع ما جاء به محمد النبي من كتاب الله تعالىٰ بإقامة المقدم ذكرها؛ يجيب عنها وعن جميع المشكلات، وينفي عن الأمة مواقع الشبهات، لا يزال في حكمه، عارف بدقيق الأشياء وجليلها، يكون فيه ثمان خصال يتميز بها عن المأمومين، أربع منها في نعت نفسه و نسبه، وأربع في صفات ذاته وحالاته.

---

(١) سورة النحل، الآية (٤٤).

فأما التي في نعت نفسه، فإنه ينبغي أن يكون معروف البيت، معروف النسب، منصوصاً عليه من النبي بأمر من الله سبحانه، بمثله تزول دعوىٰ من يدعي منزلته بغير نص من الله سبحانه ورسوله، حتىٰ إذا قدم الطالب من البلد القريب والبعيد أشارت إليه الأمة بالكمال والبيان.

وأما اللواتي في صفات ذاته، فإنه يجب أن يكون أزهد الناس، وأعلم الناس، وأشجع الناس، وأكرم الناس، وما يتبع ذلك لعلل تقتضيه.

لأنه إذا لم يكن زاهداً في الدنيا وزخرفها دخل في المحظورات من المعاصي، فاضطره ذلك إلىٰ أن يكتم علىٰ نفسه، فيخون الله تعالىٰ في عباده، فيحتاج إلىٰ من يطهره بإقامة الحد عليه، فهو حينئذ إمام مأموم.

وإما إذا لم يكن عالماً بجميع ما فرضه الله تعالىٰ في كتابه وغيره قلب الفرائض، فأحل ما حرم الله و حرم ما أحل الله، فضل وأضل.

وإذا لم يكن أشجع الناس سقط فرض إمامته؛ لأنه في الحرب فئةٌ للمسلمين، فلو فرّ لدخل فيمن قال الله تعالىٰ: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[1].

وإذا لم يكن أكرم الناس نفساً دعاه البخل والشح إلىٰ أن يمد يده فيأخذ في‌ء المسلمين، لأنه خازنهم وأمينهم علىٰ جميع أموالهم من الغنائم والخراج والجزية والفي‌ء.

فلهذه العلل يتميز من سائر الأمة، ولم يكن الله ليأمر بطاعة من لا يعرف أوامره ونواهيه، ولا أن يولي عليهم الجاهل الذي لا علم له، ولا ليجعل الناقص حجة علىٰ الفاضل.

ولو كان ذلك لجاز لأهل العلل والأسقام أن يأخذوا الأدوية ممن ليس بعارف منافع الأجساد ومضارها، فتتلف أنفسهم. و لو أن رجلاً أراد أن يشتري ما يصلح له من متاع

---

(١) سورة الأنفال، الآية (١٦).

وغيره لكان من حزم الرأي أن يستعين بالرجل التاجر البصير بالتجارة، فيكون ذلك أحوط عليه.

وإذا كان جميع ذلك لا يصلح في هذه الأشياء الدّنيوية، فأحرىٰ أن يقصد الإمام العادل في الأسباب كلها التي يتوسل بها إلىٰ أمور الآخرة، فيمتاز بين الإمام العالم والجاهل»[1].

بذلك تتوضح صفات الإمام المعصوم، والتي تميزه عن غيره من باقي الناس، وإلا فما فائدة وصفه بالمعصوم وهو غير معصوم؟!

فإما أن يكون معصوماً أو لا، ووفق ذلك نأخذ منه القول أو نرفضه.

ملاحظة: المراد بالقول، هو القول التفسيري أو التشريعي، أو الدلالة علىٰ الحلال والحرام، وليس مطلق القول.

الثابت الرابع: عدم مخالفة الواقع (تاريخي ـ محسوس):

إي الواقع بقيد (التاريخ) وما هو (محسوس)، فلا يمكن ان نفسر بما يخالف التاريخ، أو يخالف علم الآثار، ولا يمكن أن نفسر بما يخالف المحسوسات، الواضحات، البديهيات، الطبيعيات.

فهناك وقائع تاريخية إما محسوسة، وإما متفق عليها، ومنها ما آثارها موجودة وشاخصة، أو هناك أدلة عليها من مخطوطات وكتابات قديمة، وما شاكل ذلك.

فإن كانت هناك أدلة (تاريخية محسوسة) فلا يمكن ـ حينها ـ مخالفتها، ولا يمكن تأويلها بالخلاف، بل يجب الأخذ بها، والاعتراف بمضمونها، والعمل وفقها، كونها أدلة لا يمكن الطعن بها وفق هذا المستوىٰ من الطرح.

---

(١) المرتضىٰ، الشريف (ت٤٣٦هـ)، رسالة المحكم والمتشابه، تحقيق: عبد الحسين الغريفي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد ـ إيران، ط٢، ١٤٢٨هـ: ١١٢ ـ ١١٤.

الثابت الخامس: عدم مخالفة القضايا العقلية عدى المعجزات:

إن الله سبحانه وتعالى شاء أن يجري الأمور على أسبابها، وبالتالي فإن القضايا العقلية (لا تختلف ولا تتخلف)، ولا يخرج من هذه القاعدة إلا (المعجزات)، وأمرها موكل إلى أبحاثها الخاصة بها.

فإن القضايا العقلية معروفٌ عنها أنها لا تختلف ولا تتخلف، كقابلية النار على الإحراق، ودلالات الأشياء، كدلالة الدخان على النار، وما شاكل ذلك، ويخرج منها ما يتعلق بالمعجزات فقط، لأن المعجزة خارقة للعادة.

الثابت السادس: عدم مخالفة اللغة العربية (عربي مبين):

إذ لا بدّ في ذلك من مراعاة السياق (السياق الخاص) للآية القرآنية، وهنا لا بدّ ان نتكلم عن (السياق) وعن (لغة القرآن الكريم) ليتوضح لنا ما نريد بيانه في هذا الثابت السادس من الثوابت المهمة في تفسير القرآن الكريم.

١ـ السياق:

عن أهمية السياق قالوا: إن للسياق دوراً مهماً في فهم النصوص عموماً، وفي فهم النص القرآني بشكلٍ خاص، وله أهمية في تحديد المعاني، وفي ضبط الدلالات، وتظهر أهمية السياق فيما يلي[1]:

أ ـ إن السياق يعين على بيان المعنى وعلى تحديده.

ب ـ إن للسياق أهمية في بيان صحة التفسير، والترجيح في حال الاختلاف.

جـ ـ إن السياق مهم في بيان المناسبات على اختلاف أنواعها، كمناسبات السور، ومناسبات الآيات، ومناسبات القصص القرآني، ومناسبات أسماء السور القرآنية.

---

(١) ظ: باحوريث، تهاني بنت سالم، أثر دراسة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى: ١٤٢٨هـ: ٥٧ـ٧٠.

د ـ إن السياق يعين على تحديد أسلوب الكلام، وبالخصوص في موارد مخالفة الظاهر، أو التردد ما بين الوضوح والخفاء، أو الإعلام والإبهام.

كما وان السياق القرآني يتسم عن السياق البشري العادي بعدة سمات منها:

أولاً: الضبط: فـ«ضبط السياق القرآني لفهم المتلقي؛ فالسياق هو صاحب السلطة في تحديد دلالة الألفاظ ومعانيها المقصودة، فهو الضابط لفهم المتلقي، ذلك ان الألفاظ إذا تركت على عواهنها دون عقال، حملت ما يراد وما لا يراد من معان، لذا كان السياق القرآني مقيداً ومحدداً للمعاني»[1].

ثانياً: منع التفكك والتجزئ: فـ«القرآن يتسم بالترابط والتشابك بين آياته، فلا انفصال، ولا انقطاع، وذلك يعود لترابط المعاني وتتابعها ـ ولا ريب ـ فالقرآن كلام واحد وسياق متواصل من أوله إلى آخره»[2].

ثالثاً: المرونة والحيوية: فإن السياق «يتمتع باحتمالية عدة معان، ذلك ان دلالاته متنوعة، ومرونة السياق مظهر إيجابي يدعو إلى إذكاء عقل المجتهد، وعدم قصره على معنى واحد لا غير، وفي الوقت نفسه يضبط بضابط السياق؛ إذ يعطيه مجالاً محدداً في المعاني والمفاهيم، وهذه المرونة والحيوية هي ما عُرف فيما بعد بعلم التأويل»[3].

٢ـ لغة القرآن الكريم:

أما عن الآراء في لغة القرآن الكريم فقد قالوا:

أ ـ رأي يقول بأن احتواء القرآن الكريم على لغات متعددة منها الأعجمي وغير العربي؛ هو دلالة على عالميته.

---

(١) محمود، المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر، الأردن ـ عمان، ط١، ٢٠٠٨م :٥٤.

(٢) محمود، المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، مصدر سابق:٥٤.

(٣) محمود، المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، مصدر سابق:٥٤.

ب ـ رأي يقول بأن احتواء القرآن الكريم على لغات أخرى هو لتأثره بها وذلك وفق نظرية (الأثر و التأثر)، التي قال بها المستشرقون.

جـ ـ رأي يقول بأنه ليس في القرآن الكريم ما هو غير عربي، فإن وجد ذلك فإن اصله و مرده إلى أصول عربية أصيلة قد هُجرت.

د ـ رأي يقول بأن وجود ألفاظ غير عربية (أعجمية) في القرآن الكريم كأسماء الأعلام هو من باب الأمانة العلمية، وبالخصوص في الأسماء، إذ ان تلفظها وتداولها يكون واحداً في كل اللغات، فـ(جون) يبقى اسمه كذلك واقعاً وتلفظاً في كل اللغات، وكذلك (زيد) و(عمرو)، وما شاكل ذلك.

نعم، إن هناك أسساً مهمة في اللغة العربية، فالسير في مسائل اللغة العربية عموماً واللغة القرآنية خصوصاً يحتاج إلى أمرين مهمين لا بدّ من التنبه لهما:

أ ـ التوليد أو الألفاظ المُوَلدةَ، والتي تُطلق على المُحدث من كلام الناس، مما ليس له أصالة في العربية.

ب ـ أهمية جرس اللفظ وجرس السمع، وهذا لا يكون إلا عند العربي أصلاً وأصالة، وذوقاً وكلاماً وولادة، وفهماً وتعاملاً.

إن هذين الأمرين من الأمور المهمة التي لا بدّ من التنبه لهما من قبل مفسر القرآن الكريم، والدارس لقواعد التفسير.

إن اللغة تُعدُّ مصدراً وكذلك منهجاً في عملية التفسير، إذ ان لها أثراً مهماً في إدارة عملية التفسير ومن ثمَ بناءها وتطويرها، ومن المعلوم بأن مجمل العمل التفسيري يقع على عاتق اللغة التي تعد الأصل في الدرس القرآني.

فالتفسير يحتاج إلى (علم اللغة) لأن القرآن الكريم نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[1]. وبذلك فلا سبيل إلى معرفته إلا من خلال قواعد اللغة، وتحديد طريقة التعاطي معها.

---

(١) سورة الشعراء، الآية (١٩٥).

نعم، إن قواعد اللغة العربية وآدابها تعد ضرورية في عملية فهم وتفسير القرآن الكريم[1]، لكن على ان لا تكون حاكمة على القرآن الكريم، بل ان القرآن الكريم هو الحاكم والمهيمن عليها.

يقول الأستاذ عبد الأمير زاهد: «ان القرآن منذ اللحظات الأولى لإشراقات نزوله أحدث حركة فكرية شاملة عند العرب، وقدم لهم مضامينه العقلية الجديدة ومنظومته القانونية وهرم قيمه الأخلاقية المتماسكة، في أرقى أسلوب من أساليب التعبير وأعلى شكل من أشكال البيان فجمع بين دقة وعمق وكونية المضمون المعرفي، وأعلى جمالية في الأسلوب والشكل، ويعتقد الكثير من علماء اللغة العربية أن قضايا اللغة وآدابها وعلومها نشأت وتطورت في ظل القرآن الكريم، ناهيك عمن يرى إن عموم الثقافة العربية الإسلامية كان مصدرها ذلك النص المقدس»[2].

هنا كلام دقيق هو: ان قواعد النحو كُتبت بعد القرآن الكريم، والمعاجم والقواميس كتبت بعد القرآن الكريم، والصرف والبلاغة كتبت بعد القرآن الكريم، فكيف لشيء كتب بعد القرآن الكريم يكون حاكماً عليه!؟

ثم ان المشكلة الكبرى في قضية الشواهد على القواعد، والتي تارة ما تكون بيت شعر قاله شخص مخمور، أو كلمة لم يقل بها قائل لا قبل ولا بعد قولها، أو لفظة قيل بأن قائلها قوم لا وجود لهم، وهكذا.. فهل من المعقول ان تكون مثل هكذا شواهد حاكمة على اللغة العربية وعلى القرآن الكريم؟!

يقيناً لا يُقبل ذلك، بل من الخطأ القبول به، وهذا هو سبب من أسباب تجميد العقل والتفكير، والاعتماد على قوالب ليست قوالب حقيقية، بل من المفترض تركها، إذ لا مانع

---

(١) ظ: الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، مصدر سابق: ٢٧٤.

(٢) زاهد، عبد الأمير، قضايا لغوية قرآنية، العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠١١م: ٢٥.

عقلي أو شرعي من تركها والانتقال إلى غيرها، فلماذا هذا التقليد الأعمى لقواعد غير معصومة، وجريانها على النص المعصوم؟

أسئلة كثيرة على من يقول انه مختص الإجابة عنها، وإلا فمن العيب ان يدعي الاختصاص من يقلد وديدنه التقليد من دون ابداع أو اعمال عقل.

وعن أصل اللغة العربية يقول الأستاذ أحمد عبد الستار الجواري: «والقرآن في ما اشتمل عليه من معالجات أدبية متنوعة متعددة قد أسس للأساليب والتراكيب التي استطاعت بعد ان قامت أركان الحضارة، أن تستوعب أفكارها ومعانيها، وان تكون تلك الأساليب والتراكيب وعاء للعلم والفلسفة وسائر ألوان الحياة الجديدة، فوق كونها أداة التعبير الأدبي المؤثر البليغ. والقرآن في صورته الطلقة الحرة من كل قيد، هو الذي خرج بالأساليب العربية من حدودها، وهو الذي أطلقها من قيودها فصارت أداة التعبير الفنية عن الحياة والحضارة في جوانبها وأجزائها المختلفة. والقرآن إذن هو الخليق بأن تكون أساليبه وتراكيبه المثال الذي يقتدى به وينحى نحوه، ويهتدى به»[1]. وهذا هو المفروض، والأصح، والأولى والأفضل كما أسلفنا.

لكنه يقول بعد ذلك متأسفاً: «ولكن الذي كان ممن وضعوا النحو في أول الأمر، غير ذلك بل عكس ذلك من بعض الوجوه، فقد اشتطت بهم السبل وعميت عليهم المسالك، فتنكبوا سبل القصد، واعتمدوا في وضع قواعد النحو على ما بلغهم من كلام العرب شعره ورجزه ومثله. أو آثروا جانب المنطق، فتصوروا القاعدة قبل استقراء المادة اللغوية، وركبوا مركب الشطط، فحاولوا أن يجعلوا للقواعد المجردة سلطاناً على المروي المأثور، يحكمونها فيه ويحسبون ان ذلك هو الصواب، وما هو إلا مجانبة الصواب»[2].

---

(١) الجواري، أحمد عبد الستار، نحو القرآن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ـ العراق، ط١، ١٩٧٤م: ٧.

(٢) الجواري، أحمد عبد الستار، نحو القرآن، مصدر سابق: ٧.

بذلك يتم الثابت السادس من الثوابت المهمة في تفسير القرآن الكريم، وهي ثوابت استقرائية، تم استقراءها من خلال النصوص، ويمكن وضع ثوابت أخرىٰ لتصبح أكثر مما ذكرنا، أو تقلل بأقل مما ذكرنا، فذلك خاضع لسعة اطلاع الباحث وللمنهج الذي يتبعه، ووفق الأسس التي يعتمد عليها في الحصول علىٰ النتائج.

تاريخ ونشأة أسلوب التفسير التجزيئي

إن تفسير النص القرآني ـ تاريخياً ـ كان مقترناً بنزوله، فكانت الآيات ما ان تنزل حتىٰ يُباشر إلىٰ حفظها وفهمها، ثم يُنتَقل إلىٰ غيرها، وهكذا الحال في جميع القرآن الكريم. وبذلك يتبين مدىٰ الاعتناء الفائق بالنص القرآني من حيث التدوين، والحفظ، والتفسير، وهذا سَيردُ الكثير من الدعوات المغايرة لذلك.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلّفوها حتىٰ يعملوا بما فيها من العمل. قال: «فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً»[1].

لقد كان اهتمام النبي الأكرمﷺ بتوضيح مرادات القرآن الكريم، وتفسير نصوصه واضحاً جداً، دلت علىٰ ذلك آيات القرآن الكريم، والأحاديث الواردة عنهﷺ، وعن أئمة أهل البيتعليهم السلام.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[3].

إن البحث عن تاريخ ونشأة أسلوب التفسير التجزيئي هو ذاته البحث عن تاريخ التفسير عموماً، ثم انه كأسلوب يُعد الأول، بل الأشهر، والأكثر استعمالاً حتىٰ في يومنا هذا.

يقول السيد محمد باقر الصدر: «وكان بدأ في عصر الصحابة والتابعين علىٰ مستوىٰ شرح تجزيئي لبعض الآيات القرآنية وتفسير لمفرداتها، وكلما امتد الزمن ازدادت الحاجة إلىٰ تفسير المزيد من الآيات، إلىٰ ان انتهىٰ إلىٰ الصورة التي قدم فيها ابن ماجة والطبري وغيرهما كتبهم في التفسير في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، وكانت تمثل أوسع صورة من المنهج

---

(١) الطبري، ابن جرير، جامع البيان، مصدر سابق: ١ : ٦٧.

(٢) سورة النحل، لآية (٤٤).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٣٣).

التجزيئي في التفسير. فالمنهج التجزيئي في التفسير حيث إنه كان يستهدف فهم مدلول اللفظ، وحيث إن فهم مدلول اللفظ كان في البداية متيسراً لعدد كبير من الناس، ثم بدأ اللفظ يتعقد من حيث المعنى بمرور الزمن وازدياد الفاصل وتراكم القدرات والتجارب وتطور الأحداث والأوضاع. من هنا توسع التفسير التجزيئي تبعاً لما اعترض النص القرآني من غموض ومن شك في تحديد مفهوم اللفظ حتى تكامل في الطريقة التي نراها في موسوعات التفسير...»[1].

فكان للبعد الزماني، وغموض الألفاظ، وتطور الأحداث والأوضاع، وتوسع العلوم، وتكثر اللغات واللهجات، واختلاط الألسنة، وتعدد المدارس على مستوى الحديث، والعقائد، والفقه، والتفسير، كان السبب في نشأة الاتجاه التجزيئي في التفسير.

ويقول الشيخ جعفر السبحاني: «إن التفسير الرائج في الأجيال الماضية هو تفسير القرآن حسب السور والآيات الواردة في كل سورة، فمنهم من سنحت له الفرصة أن يفسر آيات القرآن برمتها، ومنهم من لم يسعفه الحظ إلا بتفسير بعض السور، وهذا النوع من التفسير الذي يطلق عليه اسم التفسير الترتيبي، يَنتفع به أكثر شرائح المجتمع الإسلامي، وكلٌ حسب استعداده وقابليته»[2].

نعم، إن هناك نحواً من أنحاء (التفسير الترتيبي) وهو تفسير القرآن الكريم وفق ترتيب (النزول) وهذا ما عُرف به مصحف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد عُرف بأن مصحفه مُفسر وفق (ترتيب النزول) ولم يأت مصحف آخر بعده فسر القرآن الكريم بهذا النحو من التفسير.

---

(١) الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، التعارف للمطبوعات بيروت – لبنان ،ط٢، ١٤٠١هـ: ٢١ ـ ٢٢.

(٢) السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ: ١ : ٨.

إن أسلوب (التفسير الأول) كان بيانياً وتوضيحياً، أي انه تجزيئي بصورة بيانية وتوضيحية، ومن الأمثلة على ذلك:

١ـ لما نزل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[١].

سأل عدي بن حاتم رسول الله ﷺ: أهما الخيطان المعروفان؟

قال رسول الله ﷺ في جوابه: «هما سواد الليل وبياض النهار»[٢].

٢ـ لما نزل قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[٣].

لقد فسر النبي الأكرم ﷺ الرزق بـ«الشكر»[٤].

٣ـ لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[٥].

ففسر النبي الأكرم ﷺ الظلم بأنه هو «الشرك»[٦].

إن هذا يؤكد ما جاءت به الآية (٤٤) من سورة النحل المباركة، والتي أشارت إلى دور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في (تبيين) القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٧].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٧).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٢، ١٩٩٩م: ١ : ٥١٣.

(٣) سورة الواقعة، الآية (٨٢).

(٤) القنوجي، صديق حسن خان (ت ١٢٤٨هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ: ٦ : ٥٤٤.

(٥) سورة الأنعام، الآية (٨٢).

(٦) ابن كثير، أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق: ٣ : ٢٩٤.

(٧) سورة النحل، الآية (٤٤).

إن البحث عن تاريخ نشأة أسلوب التفسير التجزيئي هو بحق بحثٌ عن تاريخ القرآن الكريم وما يتعلق به، فيحتاج ذلك إلى دقة في التتبع والنقل؛ خوفاً من الخلط ما بين مباحثه.

إلا انه من المهم الإشارة إلى أمور تتعلق بأسلوب التفسير التجزيئي، وبالخصوص ما وجه له من نقد من قبل متبني أسلوب التفسير الموضوعي.

نقول: إن كان البناء التفسيري لأسلوب التفسير التجزيئي لم يتم، ولا يمكن ـ وفقاً لذلك ـ اطلاق الأحكام النهائية عليه، فمن باب أولى يجب ان لا نطلق أحكام المدح على أسلوب التفسير الموضوعي، والذي لازال في أولى خطواته، إذ لم تتضح ملامحه، ولم يصل إلى مرحلة الاتفاق على مباحثه، ولم تتوضح خطواته، وطرقه، وأسلوب أو أساليب التعامل معه، في سبيل الوصول إلى أسلوب تفسيري تام وواضح ومقبول.

إن الملاحظات المثارة على أسلوب التفسير التجزيئي لا تعدوا كونها ملاحظات جزئية، ولا يحق للمنتقد تعميمها على كل التفسير التجزيئي، ولا يحق لهم التصريح بها دائماً (خطابياً) وفي كل مكان، وكأنهم حققوا ما لم يحققه غيرهم، فمن الانصاف احترام أسلوب تفسيري كان أسلوباً عمل به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة عليهم السلام من بعده، والصحابة النجباء، والعلماء، والمختصون.

إن أسلوب التفسير التجزيئي هو أسلوبٌ شائعٌ وقديم، وله فوائده التي حققها على مدار قرون، أما أسلوب التفسير الموضوعي فهو أسلوب جديد وحديث لا يخلو من فائدة، لكنه لن يكون أفضل من التفسير التجزيئي، وذلك لأسباب كثيرة جداً، وكذلك بحسب ما نتبناه من طرح في مجال أساليب التفسير.

مراحل التفسير التجزيئي

يمكننا هنا بيان مرحلتين مهمتين من مراحل التفسير التجزيئي وهما:

الأولى: مرحلة الرواية (المرحلة الشفوية): إذ كان التفسير في هذه المرحلة يُتداول شفوياً دون أي كتابة، فتتلقاه الآذان من أفواه القائلين والناقلين له مباشرة دون تدوين أو كتابة.

ففي عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كانت البدايات الأولى للأخذ بهذا الشكل من التلقي التفسيري، حيث كان صلى الله عليه وآله وسلم يبين للناس ما يحتاجونه من فهم وتوضيح وتبيين لآيات القرآن الكريم، بما في ذلك من معانٍ وأحكامٍ وحِكمٍ وغير ذلك، فقد كان بعض الصحابة أو بعض الأعراب يسأل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عما يستشكل عليهم.

استمر ذلك في عصر الصحابة، فكانت التفسيرات المنقولة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أو عبد الله بن مسعود، أو أُبي بن كعب، أو عبد الله بن عباس وغيرهم، إلا ان المرجعية تبقى للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

يقول عبد الله بن مسعود: (لو علمت أن أحداً أعلم مني بكتاب الله لضربت إليه آباط الإبل، قال علقمة: فقال رجل من الحلقة: ألقيتَ علياً؟ قال: نعم، قد لقيته، وأخذت عنه، واستفدت منه، وقرأت عليه، وكان خير الناس، وأعلمهم بعد رسول الله، ولقد رأيتهُ ثبج بحر يسيل سيلاً)[1].

ويقول عبد الله بن عباس: (جلّ ما تعلمت من التفسير من علي بن أبي طالب)[2].

كما استمر ذلك في عهد التابعين، فتتلمذ على يد أمير المؤمنين عليه السلام جماعة، منهم: الأصبغ ابن نباتة، وهكذا الحال بالنسبة إلى من تتلمذ على يد عبد الله بن مسعود، وعلى يد عبد الله بن عباس، وعلى يد أُبي بن كعب.

---

(١) المجلسي، البحار: ٨٩: ١٠٥.

(٢) المجلسي، البحار: ٨٩: ١٠٥.

الثانية: مرحلة التدوين (المرحلة الكتابية): إذ بعد اجتياز مرحلة الرواية الشفوية جاءت مرحلة التدوين والكتابة، إذ قد بادر بعض التابعين إلى كتابة وتدوين التفسير، كعلي بن أبي طلحة، ومجاهد بن جبر، اللذان قاما بتدوين آراء عبد الله بن عباس.

أما أول تفسير للقرآن الكريم من أول سورة الفاتحة إلى ختام سورة الناس، فيذهب ابن النديم (ت٤٣٨هـ) في (الفهرست) إلى انه كتاب (معاني القرآن) للفراء (ت٢٠٧هـ).

والظاهر ان في كلام ابن النديم مبالغة؛ إذ الناظر في تفسير الفراء (معاني القرآن) يجد أنه لا يعدو أن يكون تفسيراً لبعض ما أشكل من آي القرآن الكريم سورة فسورة، وكتابه هذا أشبه بكتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيد معمر بن المثنى (ت٢٠٨هـ) الذي تناول فيه ما أشكل من القرآن الكريم فقط.

كما وكتب عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ) ـ معاصر للفراء ـ تفسيراً شاملاً لكل آي القرآن الكريم، وما يزال هذا التفسير مخطوطاً، وتوجد قطعة منه في دار الكتب المصرية.

كما كتب أبان بن تغلب (ت١٤١هـ) تفسيره المعنون بـ(الغريب في القرآن)، أو (تفسير غريب القرآن)، وهو أسبق من الفراء وعبد الرزاق بن همام وأبي عبيدة، فقد قال عنه خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ): (ولعله أول من صنف في هذا الموضوع)[1].

لعل أبرز نموذجين قديمين للتفسير التجزيئي اكتملا في صورة تفسير كامل هما:

١ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ).

٢ـ التبيان في تفسير القرآن، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ).

---

(١) الزركلي، خير الدين، الأعلام: ١ : ٢٦ـ٢٧.

ميزات التفسير التجزيئي وأسباب شيوعه وانتشاره

إن البحث عن ميزات التفسير التجزيئي من جانب، وأسباب شيوعه وانتشاره من جانب آخر يُعد أمراً مهماً لا بدّ من الوقوف عنده، فكان من اللازم ان نقف عند هذين الأمرين المهمين:

أولاً: ميزات التفسير التجزيئي:

إن من أهم ميزات التفسير التجزيئي ما أورده السيد محمد باقر الصدر في كتابه المدرسة القرآنية، وهذه الميزات هي[1]:

١ـ إن المفسر في إطار هذا المنهج يسير مع المصحف ويفسر قطعاته تدريجاً بما يؤمن به من أدوات ووسائل للتفسير.

٢ـ ينتقل المفسر في المنهج التجزيئي من الظهور أو المأثور من الأحاديث أو العقل أو الآيات الأخرىٰ التي تشترك مع تلك الآية في مصطلح أو مفهوم بالقدر الذي يلقي ضواءً علىٰ مدلول القطعة القرآنية التي يراد تفسيرها.

٣ـ الاهتمام بالسياق الذي وقعت تلك القطعة ضمنه والأخذ بعين الاعتبار كل تلك الحالات.

فهذه ميزاتٌ ثلاث أوردها السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) للتفسير التجزيئي، ولقد سار علىٰ ذلك كل من جاء بعده من علماء الشيعة، وقلدوه في ذكر هذه الميزات من غير زيادة أو نقصان.

نعم، يمكن ذكر ميزات أخرىٰ للتفسير التجزيئي، والميزات المضافة ستتضح فيما لو ابتعدنا عن مقارنته بالتفسير الموضوعي، إذ ان جملة ممن كتبوا، وفي سبيل إظهار أهمية وميزات التفسير الموضوعي قللوا من شأن التفسير التجزيئي.

---

(١) ظ: الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، مصدر سابق: ٢٠ ـ ٢١.

إن إظهار الحقيقة يحتاج إلى عقد مباحث للمقارنة من أجل فك التداخل، وتوضيح اللبس، وإفراد الميزات بشكلٍ صحيح.

لذلك يضيف السيد محمد باقر الحكيم ميزات مهمة للتفسير التجزيئي هي:

١ـ يمكن من خلال هذا المنهج معرفة الحالة التي كان يعيشها المجتمع في عصر النزول بشكلٍ دقيق، وكذلك بعض الحالات الخاصة بالمجتمعات الأخرى[١].

٢ـ معرفة طريقة واسلوب معالجة القرآن الكريم لتلك الظواهر والحالات الاجتماعية الخاطئة؛ من خلال دراسة المقطع القرآني الذي تعرّض لهذه الحالات، واستهداف معالجتها وتغييرها. وهذا لا يمكن ان يتم من خلال دراسة موضوع الاسلوب القرآني إلا إذا كانت دراسة مستوعبة لكل الآيات أو ما يشبه هذا النوع من الاستيعاب[٢].

٣ـ تطبيق تلك الحالة المشخصة وطريقة معالجتها على الواقع المعاش في هذا العصر، وذلك لأن حركة التاريخ محكومة بسنن تاريخية ثابتة جعلها الله تعالى مسيطرة على حركة الإنسان وحاكمة عليها وعلى طول خط حركة البشرية، ولذا أثار القرآن الكريم القضايا والقصص المعاشة في القرون السابقة من أجل استخلاص وانتزاع الموعظة والعبرة منها[٣].

وكما قلنا قد أضيفت ميزات أخرى لشيوع التفسير التجزيئي، يمكن ايرادها في جملة نقاط هي[٤]:

١ـ قدسية ترتيب آيات القرآن الكريم: فالقرآن الكريم بصفته كتاباً مقدساً وضع بترتيب ونص معين من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويبدأ هذا الترتيب بسورة (الفاتحة)، ويختم بسورة (الناس).

---

(١) ظ: الحكيم، محمد باقر، تفسير سورة الحمد، مجمع الفكر الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٠هـ: ١٠٧ـ١٠٨.

(٢) ظ: الحكيم، محمد باقر، تفسير سورة الحمد، مصدر سابق: ١٠٨.

(٣) ظ: الحكيم، محمد باقر، تفسير سورة الحمد، مصدر سابق: ١٠٨.

(٤) ظ: آل موسى، علي، التدبر الموضوعي في القرآن الكريم: ١٢٨.

٢ـ سيطرة النزعة الروائية والحديثية في التفاسير: كون نشأت التفاسير كانت في حضن علم الحديث والرواية، وما كانت التفاسير الأولى إلا جمعاً للأحاديث والروايات حول سورة معينة أو آية معينة، تُعرض فيها أقوال المعصومين عليهم السلام المتعلقة بهذه الآية فحسب.

٣ـ غلبة التفسير اللفظي للمفردات القرآنية: ذلك ان أغلب هذه التفاسير يدور حول توضيح معاني الكلمات، وبيان معنى مفردة بمفردة ثانية أسهل وأقرب للفهم ومتناول العرف.

ثانياً: أسباب شيوع وانتشار التفسير التجزيئي:

لقد ساهمت عدة أمور (تاريخياً) في شيوع التفسير التجزيئي، سيما النمط السردي والنقلي منه بين مفسري القرآن الكريم، وهذه الأمور لها جذورها المعرفية، والتقليدية على حدٍ سواء.

نعم، عند الكلام عن أسباب شيوع النمط التجزيئي في التفسير، فإنه توجد مجموعة من العوامل التي ساهمت في تعزيز النزعة التجزيئية في التفسير، ولعلّ أبرزها الآتي[1]:

١ـ النزعة الحديثيّة التي كانت سائدة في المراحل الأولى لعلم التفسير والتي امتدّت إلى مراحل لاحقة.

فلقد كان المفسرون الأوائل بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين كلهم من رواة الحديث.

٢ـ النزعة التوقيفيّة في التفسير بالأثر، والتي سادت في القرون الأولى وشكّلت موقفاً نظريّاً وعمليّاً لدى عدد كبير من المفسّرين إلى قرون قريبة.

فلقد كان عدد كبير من الرواة والمفسرين الأوائل يفضلون الاحتياط الشديد في قضايا الدين، بما في ذلك موضوع فهم الآيات القرآنية وتفسيرها، ولم يتخطوا في ذلك دائرة المنقول حتى في تفسير القرآن الكريم إلا (التوقيفي) الذي نقل إليهم، وهذه النزعة (التوقيفية) لدى المفسرين أدت إلى اعتماد التفسير التجزيئي المبني على المنقول عند عدد كبير من المفسرين.

---

(١) ظ: الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، مصدر سابق: ٢٤ـ ٢٥.

٣ـ شيوع الأمّيّة لدىٰ العرب في القرون الأولىٰ، ما أدّىٰ إلىٰ الاعتماد في التفسير علىٰ النقل بالأثر.

فدارت العملية التفسيرية عند الأوائل مدار المنقول، ولم تتطور حينها لعدم توفر أرضية مناسبة عند الكل، فكان ان تداولوا ما تعلموه نقلاً محضاً، لذلك اكتسب التفسير التجزيئي هذه السمة وصار هو المتداول.

٤ـ إن أغلب المرويات الحديثيّة جاءت جواباً عن أسئلة تفسيريّة جزئيّة عن معنىٰ كلمة أو آية في القرآن الكريم، وإنْ كان معظم هذه الأحاديث قد أسس فيه المعصومونﷺ قواعد تفسيريّة عامّة، استنبط علماء التفسير منها ما أفادهم في العملية التفسيرية.

إن هذا عموماً ما يمكن ان نذكره حول ميزات التفسير التجزيئي، وكذلك الحال بالنسبة لأسباب شيوعه وانتشاره، وإلا فإننا لو بسطنا الكلام عن الميزات من جانب، وعن أسباب الانتشار من جانب آخر، لطال بنا الكلام، ولتوسع بنا السرد إلىٰ حد تجاوز المجلد الواحد، لكن وبما ان كتابنا هو تعليمي، وهدفه الفائدة مع الإيجاز، لذلك اقتصرنا علىٰ ما ذكرنا، وإن من يريد المزيد عليه بالكتب المختصة بذلك، إذ يمكنه الرجوع إليها للاستزادة.

آليات التفسير التجزيئي

إن لكل علم آلياته، ومن خلال هذه الآليات تُعرف تطبيقات العلم المدروس، فالآلية والتطبيق والمثال من أهم الأساسيات في التعرف على العلم أكثر، وفهمه أكثر، والإبداع فيه أكثر.

نعم، وكما علمنا سابقاً، بأن من أساليب تفسير القرآن الكريم هو أسلوب التفسير التجزيئي، وهذا الأسلوب من التفسير له عدة آليات هي:

١ـ تفسير الكلمة: بأن تُفسر كلمة فكلمة، وهكذا، وهذه الآلية متبعة في التفاسير التجزيئية الخاصة بتوضيح المعاني، أو تفاسير المعاني، وهي تجزيئية، تدخل ضمن الأسلوب التجزيئي.

إن تفسير الكلمة مهم جداً في كل أنواع التفسير، فتوضيح معنى الكلمة مطلوب في جميع المناهج والاتجاهات والأساليب، إذ لا يمكن تفسير آية ما لم تُفسر كلماتها، وتفكك الكلمات، ليُعرف المراد من كل كلمة من حيث المعنى، والموقع، والدلالة.

٢ـ تفسير المقطع: فتقطع الآية القرآنية إلى مقاطع لتُفسر، سواء أكانت هذه المقاطع تامة الدلالة أو لا، وهذه آلية مشهورة في التفسير التجزيئي، وما عليه أكثر المفسرين في تفسيرهم للقرآن الكريم بالأسلوب التجزيئي.

إن تفسير المقاطع أعم من تفسير الجمل، والتي سنتطرق لبيانها، والمقاطع أكثر سعة من الجمل، وفي القرآن الكريم توجد مقاطع صغيرة، وأخرى كبيرة، وهنا سيبرز دور المفسر في كيفية التعامل معها، وتفسيرها بالشكل المناسب والصحيح.

٣ـ تفسير الجمل: أي تفسير مقاطع الآية بحسب الجمل، سواء أكان المراد بها الجملة العربية، أو المراد بها الجملة القرآنية، والجملة القرآنية تارة تكون مختصرة، وتارة تكون طويلة أطول من الجملة العربية بكثير.

ولقد بُحثت الجمل القرآنية في مباحث خاصة بها، تحت مصطلح (الجملة القرآنية)، وهي تارة تشابه الجملة العربية، وتارة تكون أكثر منها أو أعم منها.

٤ـ تفسير الآية: وذلك بأن تفسر آية ثم آية، وهذه الآلية تستخدم في السور القصار، أو في السور ذات الآيات القصيرة، بل هي الأساس في أسلوب التفسير التجزيئي خصوصاً، وباقي الأساليب التفسيرية بشكلٍ عام.

إن تفسير الآية القرآنية يضمن للمفسر الإحاطة بكلمات وألفاظ الآية، إلا ان هناك ما قد يلاقيه في بعض الآيات، كالآية القصيرة جداً والتي تحتوي على كلمة واحدة فقط، أو الآية الطويلة جداً والتي تعادل سورة من السور القصار في القرآن الكريم.

٥ـ تفسير سورة كاملة من سور القرآن الكريم: بأن يأخذ سورة كاملة واحدة فقط فيفسرها وفق أسلوب تجزيئي، ولا يتناول غيرها.

إن هذه الآلية هي الأشهر في بداية العمل بالتفسير عن الأوائل من المفسرين، فكانت تفاسيرهم عبارة عن تفاسير لسور قرآنية معينة، فهم يعتنون بالسورة المفسرة، ويبحثون عن معاني كلماتها، وعن أحكامها، وما يستفيدونه منها في مجال العمل، وفي المجال الأخلاقي، والعبادي.

بذلك يتم ذكر خمسة آليات من آليات التفسير التجزيئي، والتي هي الأشهر ما بين المفسرين.

طريقة التفسير الإجمالي وفق الأسلوب التجزيئي

إن لمناهج بيان آيات وسور القرآن الكريم عدة أساليب وطرق، إلا ان المشهور منها هو ثلاثة طرق رئيسية، وهي مستمدة من كيفية معالجة القرآن الكريم للقضايا والأحكام، فتارة يعالج القرآن الكريم القضايا والأحكام الواردة به بصورة كليه من خلال ذكر القواعد العامة التي تكون الأساس في تفريع الأحكام، وتارة يعالج القرآن الكريم القضايا والأحكام بصورة تفصيلية، وتارة يعالج القضايا والأحكام بصورة إجمالية، ومن خلال ذلك يتبين ان مناهج بيان القضايا والأحكام في الآيات والسور القرآنية هو ثلاثة طرق:

١ـ طريقة البيان الكلي: وهو أن يذكر القواعد والمبادئ العامة التي تكون أساساً لتفريع الأحكام الواردة في القرآن الكريم، فلقد وردت في القرآن الكريم جملة من الأحكام التي جاءت على هيئة (قواعد كلية)، لا تفصيل فيها، أي أتت بصورة ذكر المبادئ العامة التي تكون أساساً لتفريع الأحكام منها، ومن أمثلة ذلك: الأمر بالشورى[١]، والأمر بالعدل والحكم به[٢]، وعدم سؤال الإنسان عن ذنب غيره[٣]، وكون العقوبة بقدر الجريمة[٤]، ومسألة حرمان مال الغير[٥]، والتعاون على الخير وما فيه من نفع للأمة[٦]، والوفاء بالالتزامات[٧]، ولا حرج ولا ضيق في الدين[٨]، وان الضرورات تبيح المحظورات[٩]، وما شاكل ذلك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

(٢) سورة النحل، الآية (٩٠)، وسورة النساء، الآية (٥٨).

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٦٤).

(٤) سورة الشورى، الآية (٤٠).

(٥) سورة البقرة، الآية (١٨٨).

(٦) سورة المائدة، الآية (٢).

(٧) سورة المائدة، الآية (١).

(٨) سورة الحج، الآية (٧٨)، وسورة البقرة، الآية (١٨٥).

(٩) سورة البقرة، الآية (١٧٣).

٢ـ طريقة التفسير التفصيلي: وهو أن يذكر القضايا والأحكام وما يتعلق بها بصورة تفصيلية، وبشرح تفصيلي، واستعراض لكل ما يتعلق بالآية المتناولة (المفسرة)، فقد تعرض القرآن الكريم لآيات الأحكام ـ على سبيل المثال ـ بصورة مفصلة واضحة في نفسها ولا إجمال فيها، ومن أمثلة ذلك: أحكام المواريث[١]، والمحرمات من النساء في النكاح[٢]، وغير ذلك من الأحكام التفصيلية التي أوردتها السور القرآنية، وتناولها القرآن الكريم.

٣ـ طريقة التفسير الإجمالي: وهو أن يذكر القضايا والأحكام بصورة مجملة، من دون أي تفصيل، أي وفق طريق إجمالي يركز على تبيين الآية أو الحكم على وجه العموم، أو تبيين نتيجة الآية أو الحكم المتعلق بالموضوع المبحوث من دون أي تفصيل للأسباب أو للمسببات، أو يوردها من دون التعرض للمباحث الجانبية فيها مطلقاً.

نعم، لقد تناول القرآن الكريم آيات الأحكام ـ على سبيل المثال ـ بصورة إجمالية وترك تفصيلها للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والذي جعله الله سبحانه وتعالى المبين للقرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

إن الله سبحانه وتعالى قد أمر بإقامة الصلاة[٤]، وحث عليها، وأوجبها، وذكر أوقاتها ـ عموماً ـ في كتابه الكريم، لكنه تعالى لم يبين عدد ركعات كل صلاة، ولا كيفية تأديتها، ولا أركانها، وأجزائها، وشروطها، وشرائطها.

إن هذا كان على عاتق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، إذ قد بين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله عدد الركعات من خلال أحاديثه، ومن خلال أفعاله، فقد قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «صلوا كما

---

(١) سورة النساء، الآية (١١).

(٢) سورة النساء، الآيات (٢٢) ـ (٢٤).

(٣) سورة النحل، الآية (٤٤).

(٤) سورة النور، الآية (٥٦).

رأيتموني أصلي»[1]، كذلك في مناسك الحج، إذ قال ﷺ: «خذوا عني مناسككم»[2]. وكذلك الحال في ذكر: الزكاة[3]، والقصاص[4]، والسرقة[5]، وحلية البيع وحرمة الربا[6]، وما شاكل ذلك من آيات قرآنية مباركة ذُكرت بالإجمال، وكانت السنة والأحاديث هي المبينة لها، من (اقواله)، و(أفعاله) صلوات الله وسلامه عليه، يلحقه في ذلك الأئمة المعصومين عليهم السلام المشار إليهم بطاعتهم في النص الإلهي وعلى لسانه ﷺ.

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق: رقم (٦٣١)، والإحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، مصدر سابق: ٣ : ٨٥، والكليني، الكافي، مصدر سابق: ٣ : ٣١١.

(٢) مسلم، كتاب الصحيح، مصدر سابق: رقم (١٢٩٧)، والكليني، الكافي، مصدر سابق:١ :٤٠٣، والحراني، تحف العقول:٣٠.

(٣) سورة النور، الآية (٥٦).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٧٨).

(٥) سورة المائدة، الآية (٣٨).

(٦) سورة البقرة، الآية (٢٧٥).

أسباب اختلاف المفسرين في تفسير القرآن الكريم

إن من الحري بالباحث في الشأن القرآني عموماً، وفي تفسير آيات القرآن الكريم وفق الأسلوب التجزيئي بشكلٍ خاص؛ أن يحيط ولو اجمالاً بأسباب الاختلاف ما بين المفسرين في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، ويمكن لنا ـ عموماً ـ ذكر أهم أسباب الاختلاف في تفسير آيات القرآن الكريم وهي:

١ـ مذهب المفسر الفقهي:

إن لمذهب المفسر الفقهي أثره البالغ والواضح في اختلاف التفسير، وبالخصوص عند المذاهب الفقهية المتفرقة والمتكثرة.

٢ـ مذهب المفسر العقدي:

إن لمذهب المفسر العقدي (العقائدي) أثره الواضح في اختلاف التفسير، وتغير التوجه في بيان الآيات القرآنية وفق الطرح العقائدي المهيمن على المفسر.

٣ـ عصر المفسر:

إن لعصر المفسر أثره في اختلاف التفسير وذلك من حيث الفهم، والمستجدات أو المستحدثات، والإشكاليات، والمعطيات، والمؤثرات، والعلوم، والمشاكل والأزمات، والأوضاع العامة، وما شاكل ذلك.

٤ـ أسباب النزول:

إن لأسباب النزول الأثر الواضح في اختلاف المفسرين، فتجد سبباً للنزول عند مذهب أو طائفة يختلف عن طائفة أخرى، وقد تجد ترجيحاً لسبب لا يرجحه أحد آخر، وقد تجد عناية بسبب النزول عند بعض، وعناية بشأن النزول عند آخرين، وتوقف التفسير على ضرورة وجود سبب نزول، وعدم توقف ذلك عند آخرين، وهكذا.

٥ـ معاني الألفاظ القرآنية:

إن من المفسرين من يفسر(الألفاظ القرآنية) بحسب سياقها، ومنهم من يفسرها باستعمالها الجاهلي القديم، ومنهم من يفسرها بما يراد منها في عصر النزول، ومنهم من يفسرها بما موجود في القواميس والمعاجم اللغوية، ومنهم من يفسرها بما هو المتعارف والمتداول، وهكذا.

٦ـ القراءات وأثرها في اختلاف التفسير:

إن للقراءات القرآنية التي تعددت عند البعض وتوسعت لتصل إلى أكثر من (سبع) قراءات، أو انحصرت بواحدة عند غيرهم أثراً بالغاً في اختلاف التفسير في آيات القرآن الكريم.

٧ـ السياق وأثره في اختلاف التفسير:

إن السياق عند البعض حاكم، وعند غيرهم غير حاكم، وكذلك فإن البعض يعده قاعدة تفسيرية مهمة، وغيرهم لا يقبل بذلك، وبعضهم لم يفرق ما بين السياق كنظرية، وما بين السياق كدليل.

٨ـ الناسخ والمنسوخ:

إن احتمالية وجود الناسخ والمنسوخ لها الأثر البالغ في اختلاف التفسير، فهناك من يقول بوجود ناسخ ومنسوخ في القرآن الكريم، وهناك من لا يقبل بذلك، ومن قال بالنسخ اختلفت الآيات عنده في عددها وفي نوع النسخ الواقع فيها، ذلك ان موضوع الناسخ والمنسوخ من المواضيع التي وقع الاختلاف فيها كثيراً.

٩ـ العموم والخصوص:

إن لمورد العموم والخصوص في القرآن الكريم الأثر البالغ في اختلاف المفسرين، وقد اختلف فيه، فالبعض ألحقه بمورد النسخ، والبعض جعله مستقلاً، والبعض قال به، والبعض رفضه.

١٠ـ الحقيقة والمجاز:

إن لمسألة وجود مجاز في القرآن الكريم وما هو نوعه، وما هو المراد به الأثر الواضح في اختلاف المفسرين، فهناك من قال بوجود مجاز في القرآن الكريم، وهناك من جعله مجازاً خاصاً بالقرآن الكريم لا يشبه المجاز العادي وأطلق عليه مصطلح (المجاز القرآني).

١١ـ الإجمال والتبيين:

إن لمبحث الإجمال والتبيين الدور الواضح في اختلاف التفسير، فإن للإجمال اسباباً منها: (الاشتراك، والحذف، واختلاف مرجع الضمير، واحتمال العطف والاستئناف، وعدم كثرة الاستعمال، والتقديم والتأخير، وقلب المنقول، والتكرير القاطع لوصل الكلام في الظاهر)[١].

١٢ـ الإطلاق والتقييد:

إن للإطلاق والتقييد الأثر الواضح في اختلاف التفسير، فإن للمطلق والمقيد اقسام هي:

أ ـ اتحاد السبب والحكم: وهو ان يكون المطلق والمقيد متحداً في السبب و الحكم[٢].

ب ـ اتحاد السبب واختلاف الحكم: إذا كان حكم المطلق مخالفاً لحكم المقيد، لم يحمل المطلق عليه[٣].

جـ ـ اختلاف السبب واتحاد الحكم: وهو ان يكون حكم المطلق والمقيد متحداً والسبب فيهما مختلف[٤].

د ـ اختلاف السبب واختلاف الحكم: وهو ان يختلف المطلق والمقيد في الحكم والسبب[١].

---

(١) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق: ٤٥٨ ـ ٤٥٩ .

(٢) ظ: الطوسي، التبيان، مصدر سابق: ٤: ١٤، الآمدي، الاحكام، مصدر سابق: ٣ : ٤.

(٣) ظ: الحلي، العلامة (ت٧٢٦هـ)، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.: ١٥١.

(٤) ظ: الحلي، العلامة، مبادئ الوصول، مصدر سابق: ١٥٢.

١٣ـ الظاهر والباطن القرآني:

إذ ان وجود ظاهر فقط، أو وجود باطن فقط، أو وجود ظاهر وباطن في القرآن الكريم، له الأثر الكبير في اختلاف التفسير.

إن من اللازم على المفسر تبيين وتوضيح مسألة الظاهر والباطن، وشرح مسألة (البطون) في القرآن الكريم، ذلك انها من المسائل المختلف فيها من حيث الثبوت ومن حيث الإثبات.

١٤ـ الآيات المتشابهة:

إن بحث المحكم والمتشابه يعد من البحوث المهمة جداً، وبالخصوص بحث المتشابه، وما وقع من اختلاف في تحديد المراد بالمتشابه.

ولقد ذهب أكثر المحققين والعلماء إلى أن بعض الآيات محكمة والبعض الآخر متشابهة، أي وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، مستدلين على ذلك بالآية السابعة من سورة آل عمران[٢]، هذا من جانب، ومن جانب آخر كان لموضوع (التشابه) الأثر في اختلاف التفسير والمفسرين.

١٥ـ الأحاديث التفسيرية:

إن للأحاديث التفسيرية و(بحسب المدرسة) أثراً كبيراً في اختلاف التفسير، فإن هناك مدرسة قديمة تبنت مبدأ (الاعتبار وعدم الاعتبار) في محاكمة الأحاديث، وهناك مدرسة حديثة تبنت (التقسيم الرباعي) للأحاديث، ثم ان هناك مبدأ السند التفسيري إذ يوجد من يقبل كل حديث وارد عن جماعة معينة وذلك لأنه يعتقد بتقديسهم، كما وإن هناك من يقدس كتباً معينة ويعتبر كل ما فيها صحيحاً، وبالتالي فإن المشاكل الموجودة في الأحاديث المنقولة لنا عموماً، والأحاديث التفسيرية بشكلٍ خاص كثيرة جداً، تحتاج إلى منهج تحقيقي

---

(١) ظ: الزركشي، بدر الدين (ت٧٩٤هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤١٤هـ: ٣ : ٦ .

(٢) ظ: الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، مصدر سابق: ٣٣٨.

رصين؛ وذلك لأن الوضع في الأحاديث كثير، وله غاياته ودوافعه، مما سبب حالة من التشكيك العام في كل الكتب والمصادر الحديثية.

أمورٌ لا بدّ من مراعاتها في التفسير

إن هناك أموراً لا بدّ للمفسر من مراعاتها، أو الالتفات لها عموماً، وفي تفسيره للقرآن الكريم وفق الأسلوب التجزيئي، وهي:

١ـ وضع الخطة التفسيرية:

إن على المفسر أن يضع، وأن يبين خطته التفسيرية التي سيسير عليها، وإن من اللازم عليه إيضاح خطواتها، على ان تكون الخطة مناسبة للمنهج، أو الاتجاه، أو الأسلوب التفسيري الذي يسير عليه المفسر، ويمكن هنا أن نذكر أبرز خطوات الخطة التفسيرية والتي هي:

أ ـ تحديد الأهداف المطلوبة من التفسير: من خلال تحديد الأهداف من وراء تفسيره، وماذا يريد منه، وما الإضافة التي سيضيفها، وما هي ميزات تفسيره عن باقي التفاسير، وكذلك تحديد كيفية إيصال الخطاب الإلهي بأجلى صورة، وبأحلى التعابير الممكنة.

ب ـ تحديد مسارات العمل: من خلال تحديد الطرق التي ستساعده في تحقيق الأهداف.

جـ ـ دراسة الإمكانيات والقدرات اللازمة لتحقيق الأهداف: فلا بدّ من دراسة الإمكانيات المتوفرة، ومعرفة القدرات اللازم توافرها، وذلك من اجل تحقيق الأهداف المرسومة.

د ـ وضع خطة تنفيذية: أي خطة تنفيذية لكافة المراحل التي سيتبعها أو سيسير عليها المفسر من أجل تحقيق أهدافه.

هـ ـ تأمين وتوفير متطلبات الخطة التفسيرية: فمن دون توفير جميع مستلزمات ومتطلبات الخطة التفسيرية سيكون مصير العمل التأخر الطويل أو الفشل.

و ـ تقييم وتقويم النتائج التفسيرية: فبعد الانتهاء من عملية التفسير، أو بعد الانتهاء من كل مطلب أو مبحث أو فصل، على المفسر تقييم عمله بنفسه أولاً، أو من خلال عرضه على خبيرٍ بذلك، ومن ثم تقويمه وتصحيحه إن كان يحتاج إلى ذلك. فالأساس في التفسير؛ كونه ينسجم مع روح ورسالة القرآن الكريم، ويتوافق مع أهدافه وغاياته ومبادئه الأساسية.

٢ـ الاهتمام بمعاني القرآن الكريم:

إذ لا بدّ من تفسير القرآن الكريم بأصله العربي المبين، بالتوافق مع المراد (الجِدي) القرآني، وليس مع المتعارف أو الاستعمال العرفي، أو المعنى المتداول.

إن الاهتمام بالمعاني العربية للقرآن الكريم سيعطي المفسر سعة كبيرة في الاستيعاب والفهم، كما وان تاريخ تحولات وتبدلات وتغيرات الألفاظ مهم ايضاً، فالجمود على معنى اللفظ المقيد بتاريخ معين سيسبب خللاً في الفهم، ومن ذلك إسقاط معاني معاصرة للمفسر على ألفاظ قديمة ظناً منه بأنها شيء واحد، فذلك سيسبب خللاً في السير بالآية إلى مبتغاها، نعم عمومات المعاني قابلة، لكن اللفظ المحدد بمعنى يحكمه السياق أو القرائن، لا يمكن توسيعه من دون دليلٍ على ذلك، وإن في القرآن الكريم كونه نص بلاغي إعجازي توجد معاني أولية، ومعاني ثانوية لا بدّ من الالتفات لها ومعرفتها.

يقول الشيخ محمّد جواد مغنيّة: «وهنا شيء آخر يحتاج إليه المفسِّر، وهو أهمّ وأعظم من كلّ ما ذكره المفسِّرون في مقدّمة تفاسيرهم لأنّه الأساس والركيزة الأولى لتفهُّم كلامه جلّ وعلا. ولم أر من أشار إليه... وهو أنّ معاني القرآن لا يدركها، ولن يدركها على حقيقتها، ويعرف عظمتها إلّا من يحسّها في أعماقه، ويسلّم معها بقلبه وعقله، ويختلط إيمانه بها بدمه ولحمه، وهنا يكمن السرّ في قول أمير المؤمنين عليه السلام: ذاك القرآن الصامت وأنا القرآن الناطق»[1].

إن هذا يحتاج إلى خبرة، وإلى مصادر موثوقة يعتمد عليها في توضيح معاني الألفاظ حتى يصح النقل عنها، إذ ليس مطلق النقل صحيح، وليست كل المعاجم مختصة بجذور الكلمات وبالخصوص جذور الكلمات القرآنية، خصوصاً إن كل المعاجم قد أُلفت بعد نزول القرآن الكريم بفترة بعيدة جداً.

---

(١) مغنية، محمد جواد (ت١٤٠٠هـ)، التفسير الكاشف، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٢٦هـ: ١ : المقدمة.

إن دراسة ألفاظ ومعاني القرآن الكريم يحتاج إلى دراسة (المفاهيم)، و(المصطلحات) القرآنية، وهو ما لم يعطَ الأهمية التي يحتاجها، فمن خلال (المفاهيم)، و(المصطلحات) القرآنية ووضع قاموس مختص لها يمكن القضاء على الكثير من الأخطاء، وإبراز الكثير من المشتركات المفيدة. والعمل ضمن منظومة مفيداً جداً، فـ«إن عزل أي مفهوم عن منظومته المعرفية التي يَتبعُ لها سيؤدي إلى حدوث انقطاع بينه وبين المصطلح الذي يُعَبِر عنه، وسيؤدي لحدوث تباين بين لفظ المصطلح ومضمونه الحقيقي، وبذلك يقع اللبس، وعدم الفهم، المؤدي للتأويل الخاطئ»[1].

نعم، تتركز وتتحتم الأهمية عندما يكون البحث تاريخياً، فعلينا حينها إتقان فهم تلك المفاهيم التاريخية والتراثية؛ لنبتعد عن الخطأ واللبس ،لكي تتحقق الجدوى المعرفية المرادة من البحث العلمي. «فعلى الباحث في المفاهيم التاريخية والتراثية بيان أسس هذه المفاهيم وأصولها، ومن ثم تطور استعمالاتها على مر العصور ليمكنه ان يكشف التحولات الطارئة على تلك المفاهيم التي بنيت عليها أصول العقائد أو أصول القانون وقواعده، إن متابعة أصل الانطلاق ثم التحول والقبول أو الرفض يكشف للباحث مراحل تطور تلك المفاهيم»[2]. وهذا مهم جداً، ومن الأولى الانتباه له.

٣ـ الإلمام بتحولات المعنى الوضعية:

إن على المفسر الإلمام بتحولات معاني الألفاظ من مجال الوضع سواء أكان (المعجمي) أو (الاستعمالي)، فهناك معنى (حقيقي)، وقد يتحول هذا المعنى الحقيقي بواسطة القرائن والأدلة إلى معنى (مجازي)، وهنا يتحتم على المفسر الإلمام بكل ذلك، كي لا يختلط عليه المعنى المجازي بالمعنى الحقيقي.

---

(١) العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م: ٢٠٦.

(٢) الربيعي، حسن، البحث المعرفي، مصدر سابق: ٣٤ .

إن البحث عن تحولا معاني الألفاظ يقودنا إلى أمور أربعة خاصة به هي:

١ـ التوسعة: فإن هناك ألفاظاً كانت معانيها محدودة، إلا انها توسعت بمرور الزمن بسبب كثرة الاستعمال، وما شاكل ذلك من أسباب.

٢ـ التضييق: فإن هناك ألفاظاً كانت معانيها واسعة، إلا انها تضيقت بمرور الزمن بسبب قلة الاستعمال، أو ما شاكل ذلك من أسباب.

٣ـ الهجران: فإن هناك ألفاظاً قد هُجرت وطواها الزمن، ولا تُذكر إلا في كتب التاريخ.

٤ـ الانبثاق: فإن هناك ألفاظاً قد انبثقت واستُحدثت ووجدت، إذ لم تكن موجودة مسبقاً، وجاءت بسبب لغة، أو علم، أو كتاب، أو ما شاكل ذلك من أسباب.

٤ـ الاهتمام بأسباب النزول:

إن معرفة أسباب النزول يعد من ضروريات وركائز التفسير، فعلى المفسر الإلمام بأسباب النزول في الآيات التي يوجد فيها أسباب نزول، ذلك أنه ليس كل آيات القرآن الكريم تحتوي على أسباب النزول، ومع عدم وجود سبب نزول ينتقل إلى شأن النزول.

كما وان هناك سبب نزول عام، وهناك سبب نزول خاص، كل ذلك يتطلب الاحاطة بأسباب النزول وكل ما يتعلق بها.

يتوضح مما تقدم ان هناك أسباب نزول، وهناك شأن نزول، وهناك خصائص نزول، كل ذلك يحتاج من المفسر الإلمام بها، لأنها الطريق الأول والأساس في عمله التفسيري.

٥ـ الإلمام بفقه التركيب اللغوي:

وذلك من خلال علاقة المفردة بما شاكلها من المفردات التي تكون معها (جملة)، وهذا يحتم على المفسر ضبط قواعد النحو، والدلالات وما يتعلق بها، وشؤون الجملة البلاغية، وكل ما يتعلق بذلك.

إن المراد بفقه التركيب اللغوي؛ (فقه اللغة)، وهناك كتب كثيرة قد كتبت عن فقه اللغة وما يتعلق به، كما وان هناك كتباً قد تناولت علم اللغة كذلك، فضلاً عن نحو اللغة وما شاكل ذلك مما يتعلق بفقه التركيب اللغوي.

٦ـ الاهتمام بمضمون النص القرآني:

نحن إذا حاولنا تحليل مضمون النص القرآني نجد بأن هناك ثلاثة منظومات أساسية تشكل المحتوىٰ هي:

الأولىٰ: التصور العقائدي للكون والوجود والحياة، والذي تشكله آيات العقيدة التي نشأ عنها علم العقيدة، أو علم الكلام.

والثانية: المعيارية الأخلاقية القيمية للفضيلة، التي تشكلها آيات الإرشاد والأخلاق التي نتج عنها علم الأخلاق، وتفرع عنها علم التصوف والعرفان.

والثالثة: المضمون التشريعي الذي وضع قواعد السلوك الفردي، والمجتمعي، والدولي تحت قاعدة الحلال والحرام، والتي نتج عنها علم آيات الأحكام، ثم الفقه الإسلامي، ثم منهج ذلك الفقه المسمىٰ بأصول الفقه[1].

إن هذه التصورات، أو المضامين، مهمة جداً لفهم النص القرآني، فهي مضامين أساسية تشرح التصورات الأساسية في القرآن الكريم، العقائدية، والأخلاقية، والتشريعية.

٧ـ الاهتمام بالقرائن:

إنّ العناية بالقرائن أسلوب عقلائيّ معتمد في مقام التفهيم والتفاهم عند جميع الثقافات، بهدف فهم مراد المتكلّم من قِبَل المخاطبين من جهة، وإيصال مراده إلىٰ أذهانهم من جهة ثانية. وقد قامت سيرة العقلاء فيما بينهم علىٰ مراعاة جميع القرائن المحتف بها كلام المتكلّم في عمليّة فهمهم لمراده الجدّي من كلامه. ولأنّ القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب جرياً علىٰ أسلوبهم في مقام التفهيم والتفاهم، ولأنّه لم يخترع طريقة أخرىٰ في هذا الصدد، ولم يردع عنها، بل جرىٰ وفقها، نستفيد بذلك ضرورة العناية ببحث القرائن في فهم أفضل للقرآن الكريم.

---

(١) ظ: زاهد، عبد الأمير، محاضرات في تفسير آيات الأحكام، العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ٢٤.

إن القرائن في اللغة: «جمع قرينة، وهي جمع شيء إلى شيء»[1].

وفي الاصطلاح هي: «كلّ ما ارتبط بالكلام، وكان له أثر فاعل في استيعاب الكلام وفهم مراد المتكلّم، سواء أكان متّصلاً بالكلام أم منقطعاً عنه، وسواء أكان من سنخ الألفاظ أم من غير سنخ الألفاظ»[2].

إن المتأمّل في التعريف الاصطلاحي للقرائن، يستشف منه انقسامها بلحاظات عدّة[3] هي:

أ ـ قرائن معيّنة وقرائن صارفة (بدلالة قيد: له أثر فاعل في استيعاب الكلام وفهم مراد المتكلّم).

ب ـ قرائن متّصلة وقرائن منفصلة (بدلالة قيد: متّصلاً بالكلام أم منقطعاً عنه).

جـ ـ قرائن لفظيّة وقرائن غير لفظيّة (بدلالة قيد: من سنخ الألفاظ أم من غير سنخ الألفاظ).

كل ذلك يبحث في مبحث القرائن التفسيرية، بعد الاطلاع على مبحث القرائن بشكلٍ عام، ومعرفة ما هي القرائن، وماذا يراد بها، وكيفية عملها.

٨ـ الاهتمام بالسياق القرآني:

إن للسياق دوراً كبيرة في تحقق التفسير الصحيح، وذلك من خلال رصد ما لدلالة السياق القرآني من دور في إعطاء معنى محدد للمفردة، ومعنى محدد للمركب أو للتركيب، ومعنى آخر للكل أو للمجموع، فالسياق مهم، وله نظرية قائمة به بحد ذاتها، لها شروطها واسسها، وعلى من يتبناها ان لا يخلط بينها وبين غيرها من نظريات مخالفة.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥، مادّة (قَرَنَ)، ص٧٦-٧٧، والأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادّة (قَرَنَ)، مصدر سابق: ٦٦٧-٦٦٨.

(٢) الرجبي، محمود، بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م: ٩٦-٩٧.

(٣) ظ: الرجبي، محمود، بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، مصدر سابق: ٩٧-١٧٨.

إن من الأمور الّتي تُعين المفسِّر على تحديد المراد دلالة السياق، فإنّها من أعظم القرائن الدّالة على مُراد المتكلِّم، فمن أهمله فَقَدَ واحدة من أهمّ الدلالات ووقع في الخطأ في كثير من الموارد، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ دلالة السياق إنّما تؤثِّر في الدلالة على المراد ما لم تقم قرينة أقوى منها على خلافها، كما هو الحال في آية التطهير على سبيل المثال.

كما وان هناك فرقاً ما بين السياق كنظرية بحد ذاتها، والسياق كدليل، إذ يقسم إلى قسمين من حيث الدلالة العامة، ومن حيث الدلالة الخاصة، فلا بدّ من التنبه إلى ذلك.

على سبيل المثال أنظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[1].

فمع هذا (القطع) يأتي احتمال أن المراد هو التكريم لشخص عزيز وكريم، لكن لو قرأنا الآية كاملة بكامل (سياقها) سيتوضح لنا عكس ذلك، أو يتبين لنا شيء آخر. فنجد أنّ سياق الآيات يدلّ على أنّ المراد من العزيز الكريم هو (الذليل الحقير).

قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ* ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[2].

تكمن حجّيّة السياق في جريان سيرة العقلاء في مقام التفهيم والتفاهم على مراعاته، مع عدم ردع الشارع عن هذه الطريقة في فهم الناس لكلامه، وعدم اختراعه لطريقة أخرى غير هذه الطريقة التي جرى عليها العقلاء، بل جريان الشارع نفسه على هذه الطريقة في مقام إيصال مراده.

إن على المفسر الاطلاع على النظريات ووجهات النظر بشأن السياق، فهو حاكمٌ عند بعض، وغير حاكم عند البعض الآخر، وبين بين عند آخرين، وهذا يتطلب إلماماً كاملاً بكل ما يتعلق بالسياق، وتقسيماته، وموارده، ومدى حاكميته، ثم جريانه على الكلمة، والجملة، والمقطع الكامل.

---

(١) سورة الدخان، الآية ٤٩.

(٢) سورة الدخان، الآيات ٤٧ـ٤٩.

٩ـ العرض على القرآن الكريم:

ليس العرض مقيداً بالأعمال، أو بالأحاديث، أو غير ذلك لمعرفة الصحيح من السقيم فيها، بل لا بدّ من عرض المستجدات من وقائع وإشكاليات ونظريات جديدة على النص القرآني، لاكتشاف حكمها ولو من حيث العموم، لأن الحياة تتطور وتتجدد، ولا بدّ من التوسع لاستنتاج الواقع العملي بخصوص المستجدات، لأن القرآن الكريم لا يحد بزمان أو مكان مطلقاً.

إن على المفسر والباحث والقارئ معرفة أن أهم ثابت من ثوابت الإسلام ومن ثوابت العملية التفسيرية هو القرآن الكريم، لذا فإن العرض عليه ممكن التصور من خلال أمرين هما:

أ ـ الأمر الأول: العرض التقييمي: فيعرض عليه ما كُتب، وكل ما خالفه يضرب به عرض الجدار.

ب ـ الأمر الثاني: العرض التقويمي: فيعرض عليه حتى لا يخرج المفسر عن روحية القرآن الكريم.

إن العرض على القرآن الكريم ثابت من ثوابت التفسير، وعلى مفسر القرآن الكريم الانتباه له، بل الإيمان بيه، والعمل وفقه، ان أراد تفسيراً لا يخالف ما ورد في القرآن الكريم نفسه.

إن أصل التشريع الإسلامي الأول هو القرآن الكريم، ومع مخالفته سيخالف الإسلام، ولا يمكن الاستعاضة عن القرآن الكريم، إذ حينها لن يكون ذلك إسلاماً مطلقاً، بل سيكون ديناً آخر، ديناً مبتدعاً ومخترعاً، بل ومخالفاً للدين الإسلامي.

١٠ـ الاهتمام بأغراض ومقاصد الآية أو السورة القرآنية:

إن لكل آية وسورة قرآنية تم تفسيرها اغراضاً، ومقاصد مهمة، لا بدّ للمفسر الإشارة لها، وتنبيه القارئ إليها، فهي تشكل الملخص للتفسير من جانب، والدرس المراد من جانب آخر، وموضع العبرة والاعتبار فيها من جانب ثالث.

إن إيراد أغراض ومقاصد الآيات والسور القرآنية من الأمور المهمة جداً، ذلك ان القرآن الكريم قائم على مجموعة أهداف، وأغراض، ومقاصد، يراد إيصالها لبني الإنسان بشكلٍ عام، ولمن يريد الاستفادة بشكلٍ خاص، وبمعرفة ذلك يتم أخذ العبرة، والتفكر، والتدبر.

ملاحظات عامة على كتب التفسير

إن أي كتاب من كتب التفسير لا يخلو من وجود ملاحظات عليه، ولن نجد كتاباً كاملاً، وإننا ـ هنا ـ سنذكر ملاحظاتٍ علمية، أي الملاحظات التي لا بدّ من التنبه لها؛ وذلك في سبيل كتابة تفسير يتصف بنوع من التكامل العلمي والمعرفي، لكي يكون مفيداً في العمل والتطبيق، ويحقق الإفادة والاستفادة، ومن هذه الملاحظات:

١ـ إن أكثر المفسرين ينطلق بإسهاب وتشعب وتفصيل في بداية تفسيره، إلى ان تبدأ هذه الأمور تَقلُ، وذلك في أوائل النصف الثاني من تفسيره نزولاً، إلى ان تكاد تنعدم في آخر تفسيره.

٢ـ يركز المفسر على أشياء لا فائدة علمية منها، أو لا فائدة عملية منها، ولربما الاثنان معاً، وهذا مما يكثر في باقي المؤلفات، فضلاً عن كتب التفسير، فعلى المفسر ان يأتي بالمفيد والنافع، ويترك غير النافع.

٣ـ انطلاق المفسر من أحكام مسبقة، وعقائد مسبقة، وأمور يريد بكل صورة اثباتها، حتى لو سبب (ليّ) النص (ليّاً)؛ في سبيل اثبات عقيدته ومبتغاه بكل صورة كانت، وهذا الأسلوب مخالف للأمانة العلمية، ومخالف لأساسيات الإسلام في الإنصاف من النفس، وقول الحق، والاعتراف بالخطأ.

٤ـ الخلط المنهجي عند أغلب المفسرين، والخلط المنهجي سيؤدي إلى الوقوع في الخلل، والخلل المنهجي سيسبب خللاً معرفياً، وهذا ما سيضر بالتفسير والعملية التفسيرية، وسيؤدي إلى نتائج خاطئة، وإلى نهايات غير صحيحة.

٥ـ التداخل ما بين الأدلة عند التفسير، فالدليل الأول هو ـ بالاتفاق ـ الدليل العقلي، وبعده يأتي الدليل النقلي، وتارة يقدم النقلي على العقلي لسبب أو غاية معينة، ومن بعدهما تأتي الأدلة الأخرى، ليكون التحشيد الخطابي آخر الكلام، إلا اننا نلاحظ بأن جملة من المفسرين يبدؤون بالتحشيد الخطابي ـ أو ما يسمى عند البعض بالدليل الخطابي ـ ، علماً ان التحشيد

الخطابي هو أقرب للطرح العرفي ولذوق الناس العام منه إلى الدليل المعتبر أو المعتد به أو العلمي، بل انه ممنوع في المواضيع المصيرية كـ(الأحكام) و(العقائد) وفي (التفسير) للآيات القرآنية، إلا اننا ومع شديد الأسف نرى بأن (التحشيد الخطابي) يطغى على كثيرٍ من كتابات المؤلفين، ومنها كتب التفسير!

إن على الكاتب عموماً، وعلى المفسر بشكلٍ خاص ان يرتب الأدلة، وان يسير وفق نهج ثابت بعيد كل البعد عن (التحشيد الخطابي)، وان يكون علمياً في طرحه للأدلة وفق نهج علمي رصين ومعتد به.

٦ـ كثرة النقل، فنشاهد المفسر مجرد ناقل وفي موارد كثيرة من تفسيره، فأين هو الإبداع؟

إن التفسير إذا كثر فيه النقل فإنه سيكون مجرد تكرار واجترار لأفكار الآخرين، ولن تكون فيه أي فائدة تُذكر، ولا أي اضافة معرفية أو نوعية تُذكر، فليس من الإبداع أو من العلم طرح آراء الآخرين في كتاب تفسيري يُصرف عليه الوقت والجهد والورق والطباعة ليُعيد ذكر المكررات!

إن المفسر لا بدّ ان يكون مبدعاً، ولا بدّ ان يحتوي كتاب التفسير على الإضافات النوعية الواضحة والجلية والمفيدة علمياً وعملياً، وبخلاف ذلك لن يكون إلا تكراراً رتيباً لما سبقه.

إن هذا الكلام لا نعني به ان يصبح الإبداع (بدعة)، ولا ان تصبح الإضافة طرحاً لما هب ودب، بل ان يكون كل ذلك بشرطه وشروطه، ووفق المنهجية الصحيحة.

٧ـ إن التعريف الحقيقي، أي: (الجامع والمانع) هو التعريف بـ(الحد التام)، وهو صعبٌ، وليس من اليسير تحصيله، لذلك تم اللجوء إلى التعريف (اللفظي) حتى يسهل التعامل مع قضية توضيح أو تعريف مصطلحٍ ما، أو لفظٍ ما، كما وانه لا يتم اللجوء إلى (التوصيف)، أو إلى (التعريف الوصفي)؛ لأنه خاص بالبسطاء من الناس، وهو نوع من الوصف للأشياء يستخدمه الناس في حياتهم اليومية، لكن ومع شديد الأسف ان نقرأ لمفسرين يُعرفون المصطلحات والألفاظ القرآنية بتعاريف وصفية!؟

ولم يكتفِ البعض من خلطهم ما بين التعريف اللغوي والاصطلاحي، لنشاهده يعرف المصطلحات والألفاظ القرآنية بتعاريف وصفية، وهذا مما يؤسف له من جانب، ومما يجب التنبه له من جانب آخر.

٨ـ إن المراد بالتفسير هو (الكشف)، وهو مصطلح عام جداً، فلم نشاهد احداً من المفسرين يوضح لنا طبيعة هذا الكشف، وهل هو الكشف مطلقاً؟ أم الكشف عن الأمر المشكل حصراً؟ وهل هذا الأمر المشكل هو الثابت قديماً وحديثاً؟ أم المستجد والمستحدث والغريب عند المعاصرين؟ أم المشكل عند أهل الاختصاص حصراً؟ أم هو مشكل عند عوام الناس؟ تساؤلات كثيرة ومشروعة، لم يبينها لنا المفسرون، ولم يطابقوا ما بين طرحهم للمراد بالكشف نظرياً وعملياً، ولم يوضحوا لنا كيفية ذلك بأمثلة واضحة.

٩ـ في موضوع (معاني الكلمات)، نشاهد البعض من المفسرين يوضحها لغةً، وبعضهم يوضحها اصطلاحاً، وبعضهم يوضحها بحسب استخدامها القرآني (الوجوه القرآنية) حصراً، ولم نشاهد احداً يتبع منهجاً ثابتاً ـ بكل ما للثبات من معنىٰ ـ في توضيح المعاني، أو أن يذكر طريقته في توضيح المعاني، حتىٰ يسهل علىٰ القارئ معرفة معنىٰ الكلمة في أصل اللغة، وماذا يراد منها في الاصطلاح، وعلىٰ ماذا تدل وفق السياق القرآني، وهذا أمرٌ مغفولٌ عنه كثيراً.

١٠ـ الخلط الواضح عند بعض المفسرين ما بين معنىٰ الكلمة في أصل اللغة، وما بين معناها المتداول عند الناس أو في المجتمع، فهناك فرقٌ شاسعٌ ما بين أصل الكلمة، وبين ما يراد منها، وما بين تحولاتها لتصبح مرادة في شيء معين عند المتداولين بها، ولربما سيكون شيئاً ـ أي عند المتداولين بها ـ مغاير لأصل الوضع.

إن هذا سيؤثر كثيراً في تفسير القرآن الكريم، بل وعلىٰ ما يترتب علىٰ الآية القرآنية، خصوصاً لو كانت آية من آيات الأحكام.

الأهداف من تأليف هذا الكتاب

إن لتأليف أي كتاب هدف، ومن دون ذلك يصبح التأليف تكراراً، أو قد يصل إلى حدِ الإضرار.

يروى عن شمس الدين البابلي (ت١٠٧٧هـ) قوله حول الداعي إلى تأليف الكتب: «لا يؤلف أحد كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يمكن التأليف في غيرها، وهي: اما أن يؤلف من شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره، دون أن يخل بشيء في معانيه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه، أو شيء مفرق يجمعه»[1].

ووفق هذا النصيحة، لا بدّ ان يكون التأليف، على ان لا يخرج عن الأمور السبعة المذكورة عقلاً.

إن عدم توضيح حقيقية أسلوب التفسير التجزيئي، وعدم إتمام أبحاث ذُكرت عنه، وعدم توضيح خطواته وأسسه وتطبيقاته، وعدم بيان الطرق المتبعة في التطبيق، كل ذلك دعانا إلى تأليف كتابنا هذا، لكننا مع ذلك سنذكر أهدافاً مهمة لتأليف كتابنا هذا وهي:

١ـ تعليم الطالب طريقة تفسيرية، إذ لم يُكتب كتاب تعليمي في التفسير، أو كتاب خاص بخطوات التفسير، وكأنها أسرار لا يجوز البوح بها!؟

لذا ارتأينا أن نكتب كتاباً تعليمياً، يُعلم الطالب طريقة التفسير الإجمالي، وضمن أسلوب التفسير التجزيئي، وهذا مهم جداً، يفيد الطالب في مجال الفقه، والأصول، والعقائد، ويفيده في مجال الاستدلال والمناظرة، ويفيده في مجال الكتابة والتأليف.

٢ـ إن من أهداف تأليف هذا الكتاب هو الإحاطة بتفسير السور القرآنية، وذلك بطريقة سهلة، فارتأينا طريقة التفسير الإجمالي، وهذه الطريقة لها أربعة ميزات هي:

---

(١) المحبي، محمد أمين (١١١١هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ: ٤ : ٤١.

أ ـ الاستيعاب: فهي تستوعب كل ما يتعلق بالسورة القرآنية المفسرة، ولا يترك أي لفظة أو كلمة من دون المرور على تفسيرها، وتبيين خوافيها، وتوضيح المراد بها.

ب ـ الإيجاز: إذ كان الطرح التفسيري موجزاً، فالإسهاب لن يجرنا إلا إلى التشتت، والقتر لن يؤدي إلا إلى الشح.

جـ ـ التوصيل: إذ لا بدّ من طريقة توصل المراد، وهذه الطريقة لا بدّ ان يكون لها أسسها حتى تحقق المراد منها، فمن دون إيصال المراد لا توجد أي قيمة تُذكر للبحث، ويكون مجرد تعب فقط.

د ـ الإفادة: فبعد أن يُستوعب المراد، ويُطرح بصورة موجزة، ويتم إيصاله بالشكل الصحيح، لا بدّ ان تكون هناك فائدة (جدوى) من طرحه، وهي النتيجة النهائية والحقيقية، وهذه هي الميزة الرابعة والمهمة، والتي لا بدّ منها كذلك.

٣ـ إن وضوح معالم أي شيء مدعاة لفهمه، ولحفظه، ولتبنيه، وصعوبة معالم أي شيء مدعاة للنفور منه، وتركه، والإعراض عنه.

إن واجبنا هو تحبيب الناس بالقرآن الكريم، ووضع التفسير القرآني الموافق مع أسس وثوابت القرآن الكريم، وبطريقة سهلة يسيره كطريقة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وطريقة الائمة المعصومين عليه السلام، فكانوا يعاملون القرآن الكريم معاملة الدواء، فيشفون به الناس، فهو الدواء الإلهي في كلماته، وألفاظه، وحين تلاوته، وحين سماعه، وفي ذلك كلام طويل يصل إلى حد الذهول من خواصه.

إن كتابنا هذا جاء واضحاً بيناً، اتبع خطوات المعصومين عليهم السلام في كيفية تفسير القرآن الكريم، وطريقة جذب الناس إلى هذا الكتاب العظيم، مع غاية تحقيق الهدف المرجو منه، وهو ـ كما ذكرنا ـ صناعة مفسر للقرآن الكريم.

٤ـ التنبيه والتنويه إلى ضرورة وجود خطوات لأي أسلوب تفسيري، بما في ذلك أسلوب التفسير التجزيئي، فلقد أوردنا لهذا التفسير (١٥) عشر خطوة، هي أقصى خطوات تفسيره، أي من الممكن أن تكون أقل، لكن لن تكون أكثر من ذلك.

إن توضيح خطوات كل عمل سيكون له الأثر المفيد في حفظه وتعلمه والاستفادة منه، وهدفنا هو تحقيق الفائدة الكاملة من تفسير القرآن الكريم.

٥ـ التطرق لمباحث، ومصطلحات، ومفاهيم مهمة، تفيد مفسر القرآن الكريم، وهناك غفلة عن ذكرها في الكثير من الكتب التفسيرية، بل اننا قد أكدنا على جملة منها، وذلك لفائدتها الكبيرة في مجال فهم وتفسير القرآن الكريم.

خطوات أسلوب التفسير التجزيئي

خطوات تفسير السورة وآياتها بشكلٍ كامل

إن الوصول إلى ذكر الخطوات التفسيرية شيءٌ مهم وضروري جداً، فمن هنا يبدأ العمل الحقيقي، ومن هنا ينطلق الجهد، ففي هذا المبحث سنتطرق إلى كيفية تفسير الآيات والسورة معاً، وإن الخطوات هي:

الخطوة الأولى: هل السورة مكية أم مدنية:

إذ نبين من خلال ذلك مكية أو مدنية السورة المفسرة، أو الآراء فيها، وما يتعلق بذلك من مباحث.

إن على المفسر توضيح هل ان السورة مكية أو مدنية، ويدخل ذلك في علم (المكي والمدني)، أم انها مختلف عليها، مع ذكر الآراء ان وجدت، مع الالتفات إلى أهمية ما يترتب وسيترتب على كون السورة مكية أو مدنية، وكذلك في حال كون جملة من آياتها مكية وجملة أخرى من الآيات مدنية على سبيل المثال، كل ذلك مهم جداً في التفسير والعملية التفسيرية.

لقد وضعت فوارق للتمييز ما بين الآيات المكية والمدنية، وهذه الفوارق قد أختُلف فيها، بل وصل الحال في جملة منها إلى الشطط، ودخل إليها الاجتهاد الخاطئ، وذلك ضمن استقراء ناقص لا اساس علمي له.

الخطوة الثانية: بيان عدد آيات السورة والاختلاف في ذلك:

فإن عدد آيات كل سورة اختلف بسبب اختلاف المصاحف، ولا بدّ من توضيح عدد كل مصحف، ومن ثم بيان المشهور والمتعارف بحسب المصحف المتداول اليوم بين أيدي المسلمين.

فلقد دأب المفسرون على ذكر عدد آيات السورة القرآنية، وبالخصوص لو ان هناك اختلافاً حاصلاً فيها.

إن هناك اختلافاً كبيراً في عدّ آيات القرآن الكريم بالنسبة لمصاحف الأمصار، فلقد وقع الاختلاف فيها، ولم يكن هناك أي إجماع يُذكر.

نعم، المصحف الحالي يكاد يكون متفقاً عليه عند جميع المسلمين، إلا ان موضوع الاختلاف في عدد آي القرآن من الأمور المهمة التي على المفسر الانتباه والالتفات لها، وهنا سنبين بعض اختلافات مصاحف الأمصار والتي هي[1]:

١ـ العدّ البصري: وهو ما رواه عطاء بن يسار وعاصم الجحدري، وعدد آيات القرآن الكريم عند أهل هذا العدد (٦٢٠٤).

٢ـ العدّ الحمصي: وهو ما انفرد به شريح بن يزيد الحضرمي، وعدد الآيات عند أهل هذا العدد (٦٢٣٢).

٣ـ العدّ الدمشقي: وهو ما رواه يحيى الذماري عن عبد الله بن عامر عن أبي الدرداء، وهذا العدد منسوب إلى عثمان بن عفان، وعدد آيات القرآن الكريم عند أهل هذا العدد (٦٢٢٧) أو (٦٢٢٦).

٤ـ العدّ الكوفي: وهو ما رواه حمزة عن أبن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذا رواه سفيان عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وعدد آيات القرآن الكريم عند أهل هذا العدد (٦٢٣٦).

تجدر الإشارة إلى ان المصاحف التي بين أيدي جماهير المسلمين اليوم تتبع في عدّ آياتها طريقة الكوفيين.

يقول الشيخ الطبرسي: «اعلم أن عدد أهل الكوفة أصح الأعداد وأعلاها إسناداً؛ لأنه مأخوذ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وتعضده الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

---

(١) ظ: الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق ـ سوريا، ط١، ٢٠٠١م: ١٩٠ـ١٩٢.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١ : ٧٧.

٥ـ العدّ المدني الأخير: والمدني الأخير هو ما رواه إسماعيل بن جعفر عن سليمان بن جماز عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح، وعدد آيات القرآن الكريم عند أهل هذا العدد (٦٢١٤).

٦ـ العدّ المدني الأول: والمدني الأول هو ما رواه نافع عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح، وهذا هو ما رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة بدون تعيين أحد منهم، وعدد آيات القرآن الكريم وفق هذه الرواية (٦٢١٧).

وأما وفق رواية أهل البصرة عن ورش عن نافع عن أبي جعفر وشيبة يكون عدد الآيات (٦٢١٤).

٧ـ العدّ المكي: وهو ما رواه أبو عمرو الداني بسنده عن عبد الله بن كثير عن مجاهد بن جبر عن ابن عباس عن أُبي بن كعب، وعدد آيات القرآن الكريم في العدّ المكي (٦٢١٠).

الخطوة الثالثة: أسماء السورة القرآنية:

لقد تعددت أسماء كل سورة، وليس للسورة القرآنية اسم واحد، فأقل عدد أسماء ينطلق من اسمين حتى يصل إلى ما يقارب العشرات من الاسماء، فإن لبعض السور القرآنية عدة أسماء، فقد تصل إلى ثلاثة أو اربعة أسماء لسورة واحدة، وهذا قد يختلط على البعض، لذا فإن على المفسر بيان ذلك وتوضيحه.

وقيل بأن أسماء السور القرآنية: «هي الأسماء التوقيفية والاصطلاحية الواردة لسور القرآن الكريم، حيث سميت كل سورة من سور القرآن باسم تُعرف به في المصاحف، وكتب التفسير، والسنة، وجرت على الألسنة، وقد لا يعرف للسورة غير اسم واحد مثل سورة الرعد، وإبراهيم، والحجر، حيث لا يُعرف لها غيرها، وقد تزيد الأسماء إلى نيف وعشرين اسماً؛ كأسماء سورة الفاتحة، وبعضها أوصاف اشتهرت بها حتى صارت علماً عليها فصار اسماً لها، وورد لكثير من هذه التسميات آثار تدل عليها لا يخلو من ضعف أو وضع. وقد

اختلف في كون هذه التسميات توقيفية أو اجتهادية، والصحيح أن بعضها توقيفي ثابت عن الرسول وبعضها اجتهاد سابق استقر الأمر عليه ولم يزد فيه»[1].

شكلت أسماء السور القرآنية حيزاً عند المفسرين في تفسيرهم للسور القرآنية، وفي هذه الخطوة يجب عدم الإسهاب؛ لكي لا يخرج الكلام عن نطاقه الصحيح.

ولقد «سميت السور القرآنية؛ ليسهل التعرف عليها، ولتتميز كل سورة عما عداها من سور المصحف»[2].

نحن يجب ان نقتصر على ذلك في التفسير، أو ذكر الملائم والمناسب، وان لا نخرج عن المتعارف، فنقوم بتعقيد البحوث حول أسماء السورة، ونترك الضروري فيها.

الخطوة الرابعة: فضل السورة القرآنية:

إن الأحاديث والروايات قد أوردت فضل كل سورة، فإن لكل سورة قرآنية فضل خاص بها، يختلف بجوانب معينة عن السور الأخرى، وإلا فإن القرآن ككل هو رحمة للعالمين، وكله فضل وخير وبركة.

نعم، لقد وضعت أحاديث كثيرة في فضل السور القرآنية، ومنها ما تسمى بـ(الرقائق)، والتي في أصلها أحاديث مكذوبة هدف من وضعها ـ بحسب الزعم ـ ترغيب الناس بالقرآن الكريم، عن طريق ترقيق قلوبهم، فظهرت كتب تنشر أحاديث الرقائق، وتبالغ في الوضع، وترمي على السور القرآنية أشياء لا أساس لها من الصحة، إنما هي مجرد أحاديث موضوعة كاذبة.

---

(١) الشايع، محمد بن عبد الرحمن، معجم مصطلحات علوم القرآن، مصدر سابق: ٢٥ـ٢٦.

(٢) عويس، عبد الحليم، مصطلحات علوم القرآن، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٧م: ١ : ١٧٤.

قال القرطبي: «ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبةً كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال. كما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، ومحمد بن عكاشة الكرماني، وأحمد بن عبد الله الجويباري وأمثالهم.

قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس، في فضل سور القرآن سورة سورة؟

فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبةً»[1].

نعم، إن هناك فضلاً للقرآن الكريم، وفضلاً للسور القرآنية تبعاً لذلك، إلا ان فضل السور القرآنية المتكثر والمبالغ فيه يجب ان يُنقح، ويُصحح، ويُمنهج من جديد.

الخطوة الخامسة: الاختلاف في القراءات وبيان العلل:

إن القراءات قد تعددت ما بين (سبعة)، و(عشرة)، وأكثر من ذلك، فكانت هناك أكثر من قراءة، ولربما قراءات لكل لفظة قرآنية، وهذا أمر مهم لا بدّ من التعرض له، وبحثه إجمالاً.

إن هذه الخطوة تتعرض لمسألة القراءات والوقوف عندها، وذلك لأهميتها، في هل ان القراءة واحدة، أم أنها سبع قراءات، أم هي عشر، وما دار حول ذلك من أخذ ورد وأدلة وحجج، فالهدف من هذه الخطوة التعرف على تأثير القراءة الصحيحة في توجيه المعنى.

نعم، «إن من الأمور الواضحة ان اللازم هو أن يُقرأ القرآن الكريم على نفس النهج والأسلوب والطريقة التي كان النبي ﷺ وأصحابه وأهل بيته يقرؤونه بها. وقد تلقى أصحابه هذه الطريقة منه ﷺ شفاهاً وسماعاً ـ لا كتابةً ـ إذ أن ما كُتب آنئذٍ لم يكن له نُقط ولا حركات إعرابية. والذي كان يقرأه النبي ﷺ وتلقّاه عنه أصحابه هو القرآن الذي هو

---

(١) القرطبي، شمس الدين (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م: ١ : ٧٨ـ٧٩.

اسمٌ للألفاظ القرآنية بموادّها وصورها، فلا يقال لبعض كلماته الفاقدة للصورة أو للمادّة أنّها قرآن»[1].

جراء ذلك جاءت أهمية مبحث القراءات، علماً ان العلماء من كلا المدرستين قد تناولوا الموضوع بالبحث المطول جداً، إذ لا تجد كتاباً في علوم القرآن أو في التفسير إلا وكان مبحث القراءات له حظه من البحث قلة أو كثرة؛ دلالة على أهميته العلمية والعملية، وعلى الباحث عند بحثه عن القراءات ان يبينها علمياً، ثم يبين الموقف العملي التكليفي منها، حتى يوضح للقارئ وللمكلف موقفه منها.

يقول السيد الخوئي (ت١٤١٣هـ) عن القراءات: «لقد اختلفت الآراء حول القراءات السبع المشهورة بين الناس، فذهب جمع من علماء أهل السنة إلى تواترها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وربما يُنسب هذا القول إلى المشهور بينهم. ونُقل عن السبكي القول بتواتر القراءات العشر، وأفرط بعضهم فزعم ان من قال ان القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر فقوله كفر. ونُسب هذا الرأي إلى مفتي البلاد الاندلسية أبي سعيد فرج ابن لب. والمعروف عند الشيعة أنها غير متواترة، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ وبين ما هو منقول بخبر الواحد. واختار هذا القول جماعة من المحققين من علماء أهل السنة. وغير بعيد ان يكون هذا هو المشهور بينهم... وهذا القول هو الصحيح»[2].

لقد استعرض السيد الخوئي الآراء في مسألة القراءات بحسب أقوال علماء المدارس الإسلامية ككل، ولخصها بقول مفيدٍ جداً يسهل على القارئ فهم المسألة عموماً، وبذلك أدى السيد الخوئي أمانة الطرح العلمي، لينتقل بعدها إلى تفصيلات فيه، وإلى إعطاء الرأي وفق مبناه، ولمن يريد المزيد مراجعة كتابه (البيان) ففيه تفصيلات أكثر وأوضح.

---

(١) الزرندي، أبو الفضل، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٠هـ: ١٦٤.

(٢) الخوئي، أبو القاسم (ت١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة احياء آثار الإمام الخوئي، موسوعة المؤلفات الكاملة، قم ـ إيران، بلا طبعة، بلا تاريخ مصدر سابق: ١٢٣.

الخطوة السادسة: هل في السورة ألفاظ غير عربية والآراء في ذلك:

أي: هل في الآية ألفاظ غير عربية أو غير واضحة كـ(الغريب، المشكل، المهمل) والآراء في ذلك.

فإن الآراء في وجود غير العربي قد تعدد بتعدد المفسرين، وتعدد المذاهب، إذ ان جملة من المفسرين يقولون بوجود الأعجمي والغريب والمُعرّب في القرآن الكريم.

وهنا نقف عند هذه المصطلحات الثلاثة وهي:

١ـ غريب القرآن الكريم: «هي الألفاظ التي يخفىٰ معناها ويدق علىٰ العامة دون الخاصة، وذلك في بيئة معينة بسبب وفودها من بيئة مكانية غريبة، أو بسبب استعمالها في غير المعنىٰ الذي وضعت له»[١]. وقد أوردوا عدة أسباب للغرابة، ذكرتها الكتب المختصة بذلك، يمكن الرجوع إليها للتوسع.

٢ـ اللفظ المشكل في القرآن الكريم: «ما أشكل فهمه علىٰ الناس، وسمي بذلك لأنه دخل شكل غيره فأشبهه وشاكله»[٢].

٣ـ الألفاظ المبهمة في القرآن الكريم: «هي ما أبهم من أسماء الأشخاص والأماكن والآماد والأعداد الواردة في كتاب الله تعالىٰ»[٣].

إن بيان (الغريب) و(المشكل) و(المهمل) أمرٌ مهم، إذ علىٰ المفسر بيان ذلك وتوضيحه، والخطوة السادسة خطوة تفسيرية مهمة جداً، كما وانها مهمة للقُراء، كما ولا بدّ ان نعلم بأن اللفظ (الغريب) و(المشكل) و(المهمل) هو بالنسبة للقارئ، وليس في أصله، وإلا فإن القرآن الكريم (عربيٌ مبين)، إلا انه وبسبب اختلاط الألسنة، وتباعد الأزمنة، وتكثر

---

(١) الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، مصدر سابق: ١٩٧.

(٢) الطبري، ابن جرير، تفسير الطبري، مصدر سابق: ١١ : ١٢.

(٣) الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، مصدر سابق: ٢٣٨.

اللغات واللهجات واختلاطها معاً من غير تمييز حصل ذلك، وهنا يأتي دور المفسر في حل الإشكاليات، وتوضيح المراد بأسها الطرق وأيسر الأساليب.

الخطوة السابعة: إعراب السورة مع بيان إشكالات الإعراب:

إن إعراب السورة القرآنية كلمة بعد كلمة مهم جداً، وبالخصوص في أسلوب التفسير التجزيئي، والإعراب مهم لتوضيح المعاني، ولمعرفة التفسير الأدق والأصح.

فإن القرآن الكريم نزل بلسانٍ عربي مبين[1]، وذلك انطلاقاً من مبدأ عام ورد في القرآن الكريم.

والمراد بإعراب القرآن الكريم هو «إبانة حروفه، وإجادة ترتيله، وتحسين حلاوته، وعد اللحن فيه، على الوجه المتلقى تواتراً عن رسول الله، مع التفكر والتدبر»[2].

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[3].

إن المقصود من لسان القوم الألفاظ التي تحمل المفاهيم والثقافة معها، ومهمّتها نقل المفاهيم وإيجاد التواصل المعرفي بين المخاطبين. فعليه يشمل لسان القوم (اللغة) و(المفاهيم) التي تُنقل عبر اللغة، وهناك تفسيرات ثلاثة لـ(لسان القوم) هي:

التفسير الأول: استعمال لسان القوم يعني الاستعانة بلغتهم، بمعنى أنّ الناس إن كانت لغتهم العبرية، فالرسول يتكلّم معهم باللغة العبرية، وهكذا.

التفسير الثاني: استعمال لسان القوم يعني ملاحظة مستواهم الثقافي والفكري، كما ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نكلم الناس إلا بقدر عقولهم»[1].

---

(١) يراجع لذلك: سورة النحل، الآية ١٠٣، سورة الشعراء، الآية ١٩٥، سورة يوسف، الآية ٢، سورة طه، الآية ١١٣، سورة الزمر، الآية ٢٨، سورة فصّلت، الآية ٣٠ سورة الشورى، الآية ٧، سورة الزخرف، الآية ٣.

(٢) الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق ـ سوريا، ط١، ٢٠٠١م: ٤٠.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٤.

عليه، فإن الألفاظ والكلمات والمعاني يلاحظ فيها المستوىٰ المعرفي والخبرات التي تتّفق مع مستوىٰ الناس. فلغة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي اللغة المسكوبة في قوالب مفاهيمية تتّفق مع المستوىٰ المعرفي لأمّته.

التفسير الثالث: يرىٰ أنّ لسان القوم يلاحظ فيه، إضافة إلىٰ لغة الأمّة ومستواهم الفكري والثقافي، الهوية الاجتماعية وخصائص العصر، والرسول الأكرم صلىٰ الله عليه وآله وسلم مأمور أن يكلّم الناس انطلاقاً من تلك الخصائص ونظراً إلىٰ الهوية الاجتماعية القائمة.

وعلىٰ هذا الأساس، فإنّ اللغة لها إطار خارجي وتعكس الهوية الاجتماعية وخصائص العصر، وعلىٰ ما بيّنا فإنّ لسان القوم هو اللغة الدارجة والتي يتكلّم بها عامّة الناس. ولم تدخل فيها خصوصيات علم معيّن، واصطلاحاته الخاصّة إلا فيما إذا أصبحت من الكلمات المتداولة لدىٰ العموم.

إن من المعلوم بأنّ المفسّر أو الذي يسعىٰ إلىٰ فهم القرآن ومعرفة معاني آياته، يحتاج إلىٰ مجموعة من العلوم والمعارف، علىٰ رأسها علم اللغة. أما سبب احتياج التفسير إلىٰ (علم اللغة) فهو أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، ولا سبيل إلىٰ معرفته إلا من خلال القواعد التي تحكم هذه اللغة.

يقول الشاطبي: «من أراد تفهّم القرآن، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلىٰ طلب فهمه من غير هذه الجهة»[٢].

أما دور علم النحو في العملية التفسيرية ففي غاية الوضوح، حيث إنّ المعنىٰ التركيبي للكلمات لا يتضح إلاّ من خلال معرفة دور كلّ كلمة في الجملة، فمن لا يعرف أن الكلمة في موضع الابتداء أو الخبر، أو الفاعل، أو المفعول، أو الظرف، أو الصفة، أو الحال وما إلىٰ

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، الكافي، منشورات الفجر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م: ١ : ٢٣.

(٢) الشاطبي، ابو اسحاق (ت٧٩٠هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ: ٢ : ٦٤.

ذلك فليس بمقدوره أن يحدّد مفهوم الجملة بشكل دقيق، ويقع في الجهالة والخبط في تحديد المراد من الآية.

لذا يقول الصابوني: «وإذا لم يفهم الإنسان قواعد اللغة، ولا أصول العربية تخبط خبط عشواء، وكان عليل الرأي سقيم الفهم، وكذلك من لم يفهم غرض الشرع وقع في الجهالة والضلالة»[1].

لذلك كان من اللازم على المفسر ان يكون ملماً بالنحو عموماً، وبـ(إعراب) الكلمات بشكلٍ خاص، حتى يؤدي عملاً تفسيرياً متميزاً، لذا كانت مسألة الإعراب خطوة تفسيرية مهمة من خطوات أسلوب التفسير التجزيئي.

الخطوة الثامنة: سبب النزول:

إن الخطوة الثامنة هي معرفة سبب النزول ان وجد، وإلا ننتقل إلى شأن النزول، أو ننتقل إلى خصائص النزول، وهنا لا بدّ من التفريق ما بين سبب النزول، وما بين شأن النزول، وخصائص النزول، فنقول:

١ـ سبب النزول: هو: «ما نزلت من أجله آية أو أكثر، مجيبة عنه، أو حاكية له، أو مبينة حكمه»[2]. أو هو: «السبب الداعي والعلة الموجبة لنزول قرآن بشأنها»[3].

٢ـ شأن النزول: هو: «الأمر الذي نزل القرآن ـ آية أو سورة ـ لتعالج شأنه بياناً وشرحاً أو اعتباراً بمواضع اعتباره»[4].

٣ـ خصائص النزول: هو الموضوع الخاص الذي نزلت فيه آية قرآنية تتحدث عنه وعن ما يتعلق به من حكم أو أحكام كالزكاة أو الصلاة أو الصوم أو الجهاد.

---

(١) الصابوني، محمد علي، التبيان في علوم القرآن، مصدر سابق: ١٧٦.

(٢) العطار، داود، موجز علوم القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٩٩٥م: ١٢٤.

(٣) معرفة، محمد هادي، تلخيص التمهيد، مؤسسة التمهيد، قم ـ إيران، ط٣، ٢٠١٣م: ١ : ١١٠.

(٤) معرفة، محمد هادي، تلخيص التمهيد، مصدر سابق: ١ : ١١٠.

إن معرفة سبب النزول يعين على تبيّن الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، وذلك من خلال تصور واقع التنزيل وحيثياته، فيستفاد من استحضار سبب النزول في استنباط الأحكام، ويمكن لنا أن نجمل أهمية معرفة سبب النزول بعدة نقاط هي:

أ ـ إن لمعرفة سبب النزول أهمية في التعرف على الأسباب التي أنزلت الآية من أجلها، وما يتعلق بها تاريخياً، وتشريعياً، وعقائدياً، وسلوكياً.

ب ـ التعرف على أسباب النزول يعد أكبر معين للمفسر في تفسيره، وكذلك للفقيه، والنحوي، كلٌ بحسبه.

جـ ـ لمعرفة أسباب النزول أهمية في تحديد (المكي) و(المدني).

د ـ معرفة أسباب النزول مهمة، وذلك لمعرفة مكان ومحل الآية والسورة، وكذلك معرفة (أول ما نزل) و(آخر ما نزل).

هـ ـ معرفة أسباب النزول مهمة لمعرفة (الناسخ) و(المنسوخ) وما يتعلق بذلك من مباحث.

و ـ معرفة أسباب النزول مهمة، من أجل التعرف على موارد الحكمة الإلهية فيما يتعلق بالتشريعات والأحكام.

نعم، لا تحتوي كل آيات القرآن على أسباب نزول، وقد يلجئ إلى شأن النزول، أو خصائص النزول، أو الأحاديث، أو التاريخ للتعرف على المراد منها.

الخطوة التاسعة: معاني الألفاظ:

وذلك من خلال توضيح (المفردات) وشرح (المصطلحات) وتبيين (المفاهيم) القرآنية، ذلك ان الألفاظ القرآنية تحتوي على (مفردات)، و(مصطلحات)، و(مفاهيم)، وقد وضحت في كتب أخرى تهتم بذلك. في هذه الخطوة المهمة لا بدّ من الوقوف عند مبحثين مهمين هما:

أولاً: ما يتعلق بالمعنى:

وهنا مبحثين مهمين لا بدّ من التطرق لهما، وذلك لأهميتهما، وهما:

المبحث الأول: معرفة المعنى الأولي والمعنى الثانوي:

١ـ المعنىٰ الأولي: ويسمىٰ بالحقيقة، وهو: معنىٰ اللفظ الحقيقي الذي اشتُرك في فهمه، واستعمله الذهن العام. فهو: «اللفظ المستخدم في موضعه الأصلي، وأُقر في الاستعمال علىٰ هذا الوضع»[١]، فالمعنىٰ الأول للجملة يراد به: «ربط محتوىٰ الكلمة بالحقائق الخارجية، أي تمثيل وظيفة اللغة في المجتمع»[٢]. ويتحقق ذلك من خلال اتصال المفردة بسياق الحال(المقام)، أي ان المعنىٰ العام أو الأول للنص لا يفهم ما لم يتحدد فيه: حال المخاطب، وحال المتكلم، وموضوع الكلام.

٢ـ المعنىٰ الثانوي: هو المعنىٰ الاضافي الذي أضيف علىٰ معنىٰ سابق له، تختلف دلالته تارة اختلافاً جزئياً، وتارة اختلافاً كلياً.

لقد لاحظ اللغويون بأن معاني المفردات لا تبقىٰ علىٰ ثباتها، بل تتبدل دلالتها علىٰ مستوىٰ الكلمة المفردة، وعلىٰ مستوىٰ التركيب في الجملة، فاطلقوا عليها (المجاز العقلي). وهنا يكون السياق هو الموجه الأكثر فاعلية للمعاني، وذلك لما يفرضه من معنىٰ أكثر فائدة في الكلام وفي الاستعمال. ويتمظهر المعنىٰ الثانوي عند اللغويين في عدة ظهورات أهمها: التعميم، والتخصيص، والانتقال الدلالي.

مثال: هنا لا بدّ من ان نضرب مثالاً علىٰ المعنىٰ الأولي والمعنىٰ الثانوي:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[٣].

فلو أخذنا لفظة (ضَرَبْتُمْ)، فإن أجرينا عليها معرفة معناها الأولي ومعنها الثانوي يتبين لنا:

---

(١) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ: ١ : ٣٥٥.

(٢) أحمد، يحيىٰ، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢، العدد ٤ ، ١٩٨٩م: ٧٥.

(٣) سورة النساء، الآية (١٠١).

أ ـ المعنىٰ الأولي: المراد به الضرب، أي فعل الضرب، وقد يتبادر أن المراد به (ضرب) القدم علىٰ الأرض مثلاً.

ب ـ المعنىٰ الثانوي: والمراد بها بحسب مراد الآية هو (السفر).

ومن هنا يتوضح الفرق ما بين المعنىٰ الأولي، والمعنىٰ الثانوي، ودلالة كل واحد، والمراد من كل واحد، والنتيجة المترتبة علىٰ كل واحد.

المبحث الثاني: ألفاظ القرآن الكريم وتوسع معانيها ودلالاتها:

لا بدّ من البحث عن ألفاظ القرآن الكريم علىٰ مستوىٰ (المفردة)؛ لما لذلك من أهمية في معرفة خصوصيات كل مفردة، وتاريخ كل مفردة، وميزات كل مفردة، وقابليات كل مفردة.

إن البحث عن الألفاظ القرآنية يعطينا نتيجة مفادها: ان الألفاظ القرآنية ـ عموماً ـ تقسم إلىٰ قسمين هما:

١ـ ألفاظ جديدة صنعها القرآن الكريم: مثل: (الجاهلية، جهنم، الحواريون، الترتيل، الرهبانية، الزكاة، السحت، الطامة، التغابن، الفرقان، الفسوق، القصاص، الكفارة، النفاق).

٢ـ ألفاظ أضفىٰ عليها القرآن الكريم دلالات جديدة: مثل: (الأمة، التيمم، التبتل، الجحيم، الحج، الأحزاب، الحاقة، الحلف والقسم، الركوع، السجود، السبت، الأسباط، الصابئون، الصّاخة، الصلاة، الصيام، الأعراف، العقاب والعذاب، الغيث والمطر، الفؤاد والقلب، الفلاح والفوز، القرآن والكتاب، القارعة، يلحدون، النصر والفتح، التهجد، الميزان).

وقد ركزنا هنا علىٰ ذكر الألفاظ دون ذكر التراكيب، لأن التراكيب لها موردها الخاص، ويمكن ان تدرس في مباحث خاصة بذلك.

ثانياً: كيفية توضيح المعاني:

إن توضيح معاني الكلمات القرآنية من الأمور المهمة في تفسر القرآن الكريم، وهنا لا بدّ من الالتفات إلى مبحثين مهمين هما:

المبحث الأول: التمييز ما بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

إذ ان كثيراً من المفسرين يقع عندهم الخلط ما بين المعنى اللغوي وما بين المعنى الاصطلاحي، وهذا له اسبابه التي منها: عدم وجود علم خاص بالمصطلح يستطيع من خلاله التمييز ما بين أوضاع اللفظ من وضع لغوي إلى آخر اصطلاحي، لذلك فمن اللازم الاهتمام بذلك من أجل تقليل الوقوع في الأخطاء.

المبحث الثاني: تعيين طريقة معينة في بيان المعاني اللغوية:

إذ لا بدّ من تعيين واستعمال طريقة معينة ومحددة في بيان المعاني اللغوية للآية القرآنية، فهناك طريقة تعتمد على المتداول والمتعارف للمعاني زمن النزول، وهناك طريقة تعتمد على أقدم المعاجم اللغوية، وهناك طريقة تعتمد على المعاجم القرآنية، وهناك طريقة ـ كذلك ـ تعتمد على الأحاديث التفسيرية، فعلى المفسر ان يختار طريقة يعتمد عليها في بيان معاني الألفاظ، ويبينها للقارئ، مع تبيين مصادرها ومستنداتها.

الخطوة العاشرة: الأحكام الموجودة في السورة:

إن بيان الأحكام، وبالخصوص الأحكام التشريعية في الآيات والسور القرآنية أمرٌ مهم لا بدّ من التوقف عنده وبيانه وتوضيحه، وتوضيح ما يتعلق به، وتوضيح ما يراد من المكلفين بخصوصه.

على المفسر عموماً، ومن يفسر بأسلوب التفسير التجزيئي، بيان الأحكام الموجودة في الآية أو السورة المفسرة، وتوضيح المراد منها، فإن بيان الأحكام الموجودة خطوة تفسيرية مهمة، لا بدّ من ذكرها، وعدم اغفالها.

إن بيان الأحكام في السور القرآنية عموماً، وفي السور القرآنية التي تحتوي على آيات الأحكام هو من المور المهمة جداً، والضرورية كثيراً، والتي لا بدّ من التطرق لها، وبيانها، وتوضيحها بما يتوافق معها، وبالخصوص لو كان البحث يختص بآيات الأحكام.

الخطوة الحادية عشر: القصص والأمثال الموجودة في السورة:

إن كان هناك قصة قرآنية، أو مثل قرآني، فإن على المفسر بيانه وتوضيحه، لأن فيه فائدة، والله سبحانه وتعالى قد أمر بأخذ العبرة منه، فالقصة عبرة، والمثل تفكر، ووفق ذلك يدور الفهم والعمل.

إن أصل القصّ في اللغة هو: تَتَبُّع الأثر، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾[1].

فالقصة مجموعة من الأخبار المتعلقة بالأحوال والشؤون والأحداث المُتَتَبَّعة لقومٍ ما، أو لرجل أو لامرأة أو لقرية أو غير ذلك. وطبقاً للاشتقاق اللغوي هي أخبار لأحداث مطابقة للواقع الملموس دون زيادة أو نقص، وعلى ضوء هذا المعنى اللغوي وردت قصص القرآن الكريم، لذا فقد نعتها الله سبحانه وتعالى بأنها الحق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾[2].

إن قصص القرآن الكريم لم تخضع للعناصر الفنية الخاصة بالقصة، لا قديماً ولا حديثاً، بل كانت أحداثها كلها حقاً لا مراء فيه؛ لأن مصدرها هو الله تعالى الحق.

أما المثل في اللغة فهو: الشبيه والنظير، ولقد أورد القرآن الكريم (الأمثال) وضربها للفائدة والذكرى.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الكهف، الآية (٦٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٦٢).

(٣) سورة الزمر، الآية (٢٧).

إن مجال الأمثال في القرآن الكريم يتسع ليشمل التشريع، والعقيدة، والقيم. لذا فإن على المفسر تبيين ذلك وتوضيحه، ووضع الأسس الخاصة بكل واحدةٍ منها؛ ليسهل التمييز، ولتتحقق الفائدة المرجوة.

الخطوة الثانية عشر: انتظام آيات السورة:

وذلك من حيث موقعها في المصحف الشريف، وهل هي من السبع الطوال، أم من المئين، أم من المثاني، أم من المفصل، وهل هي محكمة أم متشابه وما يتعلق بذلك من حيث الإحكام والتشابه، وهل ان فيها ناسخاً ومنسوخاً، وما ترتيبها من حيث النزول، وهل نزلت دفعة واحدة أم على أكثر من دفعة.

وهنا مصلحات مهمة لا بدّ من التطرق لها وهي:

١ـ السبع الطوال: وهي سور: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.

٢ـ المئون: وهي السور التي تلي السبع الطوال، وهي من أول سورة الأنفال إلى نهاية سورة السجدة (ما عدا يونس لأنها من السبع الطوال).

٣ـ المثاني: وهي السور التي تلي المئين، وهي من أول سورة الأحزاب إلى أول سورة قاف.

علماً ان القرآن الكريم قد وصف بالمثاني، وان سورة الفاتحة قد وصفت بالمثاني كذلك.

٤ـ المفصل: وهي السور التي تلي المثاني، وهي من أول سورة قاف إلى سورة الناس.

والمفصل أقسام ثلاثة:

أ ـ طوال المفصل: من أول سورة قاف إلى آخر سورة المرسلات.

ب ـ أوساط المفصل: من أول سورة النبأ إلى آخر سورة الليل.

جـ ـ قصار المفصل: من أول سورة الضحى إلى آخر سورة الناس.

أما المباحث الخاصة بالتشابه والإحكام، والناسخ والمنسوخ، وترتيب النزول، فقد ورد الكثير عنها في طيات الكتاب، ولا داعي لإفرادها بمبحث خاص، فلقد أوردنا ذكرها

وتوضيحها وشرحها كلٌ بحسبه، ولو جمعت مباحث كل موضوع منها لتكامل الكلام عنه من جانب، ولتوضحت الصورة عنه للقارئ من جانب آخر.

الخطوة الثالثة عشر: اغراض ومقاصد السورة التي عالجتها:

إن من المهم بيان أغراض السورة القرآنية، وتوضيح المقاصد الموجودة فيها، وما عالجته هذه السورة القرآنية من أمور.

فإن من المهم جداً على المفسر أن يورد غرض السورة القرآنية ككل، مع بيان مقاصد وأهداف السورة القرآنية، لما في ذلك من أهمية علمية وعملية.

إن المراد بمقاصد السور: «الهدايات والموضوعات التي نزلت السورة لبيانها وتحصيلها. فمقصود سورة الإخلاص ـ مثلاً ـ تقرير وحدانية الله تعالى وكماله»[1]، وهكذا.

إن الهدف من هذه الخطوة هو تدبر السورة لاستخراج مقصدها العام، وهو مبحث يحتاج إلى طول تأمل ونظر، ثم استخراج المقاصد الفرعية للسورة من أجل ضبط المناسبة بينها.

فإن تقسيم السورة إلى مقاصد فرعية ـ بعد معرفة مقصدها العام ـ يساعد على دراسة كل ما يتعلق بالسورة القرآنية من خلال الخطوات السابقة التي ساعدت في التوصل إلى هذه المقاصد المهمة.

الخطوة الرابعة عشر: بيان السورة: التفسير التجزيئي:

وهنا تبدأ عملية التفسير التجزيئي بأسلوب تجزيئي لكل لفظة على حدٍ، لتجمع في تصور أخير جامع للألفاظ، يعطي صورة مجملة عن السورة القرآنية.

فتقسم السورة القرآنية إلى ألفاظ ومقاطع؛ وذلك لكي يتم تفسيرها متفرقة بأسلوب التفسير التجزيئي، أي: جزء بعد جزء، وهذا هو أساس أسلوب التفسير التجزيئي، ويستمر ذلك إلى ان يتم المرور على كل الألفاظ في السورة، ويتم الوقوف عند كل لفظة منها، ويتم

---

(١) الشايع، محمد بن عبد الرحمن، معجم مصطلحات علوم القرآن، مصدر سابق: ١٤٠.

توضيحها وتفسيرها بالشكل الصحيح المتلائم مع الأسلوب التفسيري، والطريقة التفسيرية المتبعة.

الخطوة الخامسة عشر: النتائج المستفادة:

وتتحقق النتائج من خلال بيان ما تعرضت له السورة القرآنية من مسائل فقهية، أو عقائدية، أو أخلاقية، وما شاكل ذلك، وتقسيمها ضمن فقرات، كل فقرة تتناول شيء على حدٍ، وتوضح المراد في الفقرة الخاصة به.

ملاحظات لا بدّ منها حول خطوات التفسير التجزيئي

من المهم هنا إيراد جملة من الملاحظات حول خطوات التفسير التجزيئي التي أوردناها، والتي كانت (خمسة عشر) خطوة تفسيرية، فلسائل أن يسأل: هل كل الخطوات لازم ومطلوب؟ أم يكتفىٰ بأقل من ذلك؟ أم قد تكون الخطوات أكثر من الذي أوردتموه؟

هنا نجيب ونقول: إن الخطوات التي أوردناها وخصصناها بعدد (١٥) خطوة كان وفق استقراء كتب التفسير، وخطوات المفسرين، لذلك نلخص الملاحظات المراد توضيحها وهي:

١ـ إن الخطوات الخمسة عشر هي خطوات استقرائية، ولقد استقرئنا أقصىٰ عدد، ومن المعلوم بأن الاستقراء مهما بلغ، ومهما كان، فإنه يبقىٰ غير تام، ولا يعطي نتائج تساوي (١٠٠٪) مطلقاً.

٢ـ إن هذه الخطوات هي اقصىٰ عدد للخطوات، فهناك من المفسرين من اعتمد خطوات أقل من هذه الخطوات، كما ويمكن الوصول إلىٰ النتيجة بأقل من ذلك، فهي خطوات ليست إلزامية، ولكنها مهمة ومفيدة، ولا بدّ من الاطلاع عليها.

٣ـ إن أسلوب التفسير التجزيئي معروف بوجود خطوات متكثرة في سيره التفسيري للآيات القرآنية، ولقد تباينت الخطوات عند المفسرين، وفي كتب التفسير، إلا أنها لا ولن تخرج عن الخطوات الخمسة عشر التي أوردناها.

٤ـ يمكن للمفسر المختص اضافة خطوات أخرىٰ، أو ابتكار خطوات مغايرة، أو تغيير أسماء الخطوات، وما شاكل ذلك، فليس في ذلك أي مانع، ولا أي حرمة مطلقاً.

٥ـ إن هذه الخطوات مهمة جداً في تشكيل طريق واضح لمن يريد ان يتطور في المجال التفسيري، ويصبح مفسراً، ذلك ان هذه الخطوات ستشكل له المنطلق نحو التطور، والابداع، والجودة في التفسير.

٦ـ إن على المفسر اختيار أسلوب تفسيري معين، فهو محصور ما بين الأسلوب التجزيئي، والأسلوب الموضوعي، والأسلوب التنزيلي في التفسير، ومن السهولة واليسر اختيار أسلوب التفسير التجزيئي لأنه الأفضل، واسهل، والأكثر جودة وجدوى، بل وانه معلوم الخطوات، وهذا من أهم وأفضل ميزات أسلوب التفسير التجزيئي.

٧ـ إن أسلوب التفسير التجزيئي يعطي للمفسر سعة اطلاع في العلوم والمصادر والمراجع التي لا بدّ من الاطلاع عليها، وذلك من أجل ان يأتي بتفسيرٍ لائقٍ، وموافق للشروط الشرعية، والعقلية، والمهنية، وهذا سيكون أكثر فائدة في حال معرفة الخطوات التفسيرية.

٨ـ إن أسلوب التفسير التجزيئي أسلوب ينفع في التعليم الديني، فهو نافعٌ للصغار والمبتدئين، كما وانه نافعٌ للكبار كذلك، وهو صعب من جانب، وسهل من جانب آخر، وهو بحق (السهل الممتنع)، وما يسهل وييسر أسلوبه هو معرفة خطواته، فإن عُرفت سَهُل الكثير.

٩ـ ان التفسير التجزيئي إذ أصبح درساً لطلبة العلم سيفيدهم كثيراً في منهجة ما لديهم من معلومات، وبلورة ما عندهم من كفاءات، وتقوية ما لديهم من ملكات، فسيكون مفيداً ـ كذلك ـ في باقي دروسهم، وبالخصوص الدروس الدينية كالفقه والأصول وما شاكل ذلك.

١٠ـ إن تعلم التفسير وخطواته نظرياً، وحفظها وممارستها تطبيقياً سيعطي للطالب دفعة جديدة في طريق الكتابة والتأليف، ويزيده فهماً في تصور كيفية بناء الحكم الفقهي على الدليل القرآني وكيف سار وكيف تم.

القسم التطبيقي

تفسير الاستعاذة

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

الاستعاذة لغة واصطلاحاً:

الاستعاذة لغة:

هي الالتجاء والاعتصام بالغير، يقال: عاذ بفلان، أي لاذ به ولجأ إليه واعتصم[1]. وحقيقة الاستعاذة ـ في جملة من التفاسير ـ هي: هي استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع ذلك منه[2]، أو هي: استدفاع الأدنى بالأعلى على وجه الخضوع والتذلل[3].

الاستعاذة اصطلاحاً:

ليس للاستعاذة اصطلاح خاص. نعم، تطلق غالباً على قول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، أو (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)، ونحو ذلك، والمعنى: أستجير بالله تعالى دون غيره[4].

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[5].

قال في المحرر: إذا أردت أن تقرأ وشرعت، فأوقع الماضي موقع المستقبل لثبوته[6]. وتلك هي بلاغة القرآن الكريم.

---

(١) ظ: ابن الأثير، النهاية: ٣ : ٣١٨.

(٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ١ : ١٣١.

(٣) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ٣ : ٣٨٥.

(٤) الطوسي، التبيان: ١ : ٢٢.

(٥) سورة النحل، الآية (٩٨).

(٦) ظ: ابن عطية، الأندلسي (ت٥٤٦)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ: ١ : ٤٠.

آداب وأحكام الاستعاذة:

إن الاستعاذة مستحبة في نفسها في كل زمان وفي كل مكان، وقد تكون مستحبة لغيرها، كاستحبابها عند قراءة (القرآن الكريم)، وفي القراءة في (الصلاة)، وعند دخول (الحمام)، وغيرها[1].

كما ولا شك ان الاستعاذة تطهّر اللسان عما جرى عليه من غير ذكر الله تعالى؛ ليستعد لذكره، ولتنظيف القلب من الوسوسة والغلط والنسيان والرياء والعجب ونحوها[2]. فهي فرار من مظاهر الشيطان إلى عالم التوحيد ومظاهر الحق تعالى[3].

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4].

أي: التجأ إليه، وأتحصن به تعالى. نعم، فمن الناحية العملية لا بدّ أن تترك الاستعاذة اللفظية أثرها على الإنسان لتجعله ملتجأً إلى الله تعالى فاراً إليه[5].

معاني الفاظ الاستعاذة:

إن معنى الاستعاذة: الاستجارة والتحيز إلى شيء، الامتناع به من المكروه.

١ـ **(أعوذ بالله)**: فـ(أعوذ): أي: ألوذ وألتجئ وأعتصم بك يا (الله). و(أعوذ بالله): أي: استجير بالله تعالى دون غيره، والعوذ والعياذ هو اللجأ.

٢ـ **(من الشيطان)**: فـ(الشيطان) مشتق من (فيعال)؛ من شطن إذا بعد؛ لأنَّه بعد عن الخير وعن رحمة الله تعالى.

---

(١) الشهيد الأول، الذكرى: ٣ : ٣٣٠.

(٢) ظ: الكاشاني، الفيض، تفسير الصافي: ١ : ٧٩.

(٣) ظ: الخميني، مصطفى، تفسير القرآن الكريم: ٢ : ٢١٧.

(٤) سورة فصلت، الآية (٣٦).

(٥) ظ: الخميني، مصطفى: تفسير القرآن الكريم: ٢ : ٢١٧.

فـ(الشيطان) في اللغة هو: كل متمرد من الجن والأنس والدواب، وجاء في القرآن الكريم (شياطين الأنس والجن)، ووزنه (فيعال) من شطنت الدار أي: بعدت، وقيل هو (فعلان) من شاط يشيط إذا بطُل.

٣ـ (الرَّجيم): فهو فعيل بمعنىٰ مفعول؛ كقتيل وجريح ونحوه، ومعناه أنه رجيم باللعنة والمقت وعدم الرَّحمة، أو من الرجم وهو الرمي.

يقول الشيخ الطبرسي: «أمر الله بالاستعاذة من الشيطان، إذ لا يكاد يخلو من وسوسته الإنسان، فقال "فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم"، ومعنىٰ أعوذ الجأ إلىٰ الله من شر الشيطان، أي: البعد من الخير المفارق اخلاقه أخلاق جميع جنسه، وقيل المبعد من رحمة الله، والرجيم أي: المطرود من السماء المرمي بالشهب الثاقبة»[1].

نعم، إن من الواجب الإسلامي الاستعاذة بالله تعالىٰ من شرور شياطين الجن والإنس؛ للتخلص من الوساوس التي يلقيها الشيطان (جني أو إنسي) علىٰ قلوب المؤمنين، ليحرفهم عن جادة الطريق الصحيح، أو ليزلزل إيمانهم بالله تعالىٰ.

وهذا لا يعني ان له سلطاناً قوياً علىٰ الإنسان، بل ان سلطانه محدود علىٰ من هم يتبعونه ويطيعونه من جنوده، وهذا واضح في تكملة الآية، وبيان جوابها.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[2].

فإن تأثير الشيطان محدود علىٰ من هم اتباع له، وضعفاء أمام مغرياته، وعلىٰ أصحاب النفوس الشريرة.

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١ : ٨٩.

(٢) سورة النحل، الآيات (٩٨ ـ ١٠٠).

صورتها:

وصورتها هي: **(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)**.

ففي حديث لأبن مسعود قال: «قرأت على رسول الله فقلت: أعوذ بالله السميع العليم. فقال لي: يا ابن أم عبد، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هكذا أقرأنيه جبرئيل»[1]. وقد ورد النص بذلك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه هكذا تعوّذ[2].

ولقد وردت عدة صور للتعوذ، إلا ان المتفق عليه، وما عليه المشهور، وما وردت أغلب الأحاديث فيه، وهو (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

كما ولقد وردت لها صيغ مختلفة، مثل: (أعوذ)، و(أتعوّذ)، و(أُعيذ)، و(أعذني)، و(أستعذ)، و(معاذ الله)، وغيرها من الصيغ، والتي تختلف باختلاف الحالات والظروف، وأكثرها استعمالاً ما جاء بلفظ (أعوذ)، ثم ان صيغ (الاستعاذة) تختلف باختلاف المستعاذ منه والمستعاذ به.

توضيح المستعاذ به والمستعاذ منه:

١ـ المستعاذ به:

إن المستعاذ به هو الله سبحانه وتعالى، وقد يكون بلفظ معين كلفظ الجلالة (الله)، فيقال: (أعوذ بالله)، وقد يكون بصفة من صفاته كـ(الرحمن)، فيقال: (أعوذ بالرحمن)، وقد يكون باسم من اسماءه الحسنى وهي كثيرة.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[4].

---

(١) الإحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، مصدر سابق: ٢ : ٤٧ـ٤٨.

(٢) ظ: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، مصدر سابق: ٥ : ٢٥٣.

(٣) سورة الفلق، الآية (١).

(٤) سورة الناس، الآية (١).

كما وقد ورد النهي عن الاستعاذة بغير الله تعالىٰ وأوليائه، فالاستعاذة بغير الله تعالىٰ وأولياءه غير مشروعة.

٢ـ المستعاذ منه:

لقد جاءت الاستعاذة من أمور كثيرة، أهمها الشيطان الرجيم، وذلك واضح بين بآيات القرآن الكريم، ونصوص الحديث الشريف عن المعصومين عليهم السلام، كما وان هناك أدعية كثيرة نُقلت عن المعصومين عليهم السلام تذكر وتؤكد علىٰ الاستعاذة، ومنها دعاء (الاستعاذة) الوارد في الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين عليه السلام، والذي يقول فيه عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصبر، وقلة القناعة... ونعوذ بك من سوء السريرة، واحتقار الصغيرة، وان يستحوذ علينا الشيطان، أو ينكبنا الزمان، أو يتهضمنا السلطان... ونعوذ بك من الحسرة العظمىٰ، والمصيبة الكبرىٰ، وأشقىٰ الشقاء، وسوء المآب، وحرمان الثواب، وحلول العقاب...»[١].

المواطن التي وردت الاستعاذة بها:

١ـ الاستعاذة عند تلاوة القرآن الكريم:

فإن الاستعاذة عند تلاوة القرآن الكريم مستحبة، وسواء أكانت في الصلاة أو خارجها[٢]، وقد اتفق القرّاء علىٰ التلفظ بها قبل التسمية[٣].

٢ـ الاستعاذة للقراءة في الصلاة:

إن المشهور هو استحباب الاستعاذة عند القراءة في الصلاة[٤]، بل ادعي الإجماع علىٰ ذلك[١].

---

(١) الصحيفة السجادية: ٥٧ـ ٥٩.

(٢) ظ: الطوسي، التبيان: ٦ : ٤٢٥، الطبرسي، مجمع البيان: ٣ : ٣٨٥.

(٣) ظ: الطوسي، التبيان: ١ : ٢٢.

(٤) ظ: الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان: ٢ : ١٩٨.

٣ـ الاستعاذة عند قراءة آية نقمة:

إن من المستحب إذا مر القارئ بآية (نقمة) تعوذ منها[٢]، وقد وردت الروايات في ذلك.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ينبغي لمن قرأ القرآن إذا مر بآية من القرآن فيها مسألة أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو، ويسأله العافية من النار ومن العذاب»[٣].

٤ـ الاستعاذة لدفع السهو في الصلاة:

فقد ورد من أنواع العلاج للسهو في الصلاة عدة علاجات منها وأهمها هي الاستعاذة بالله تعالىٰ من الشيطان الرجيم.

وذلك بأن تطعن فخذك الأيسر بأصبعك اليمنىٰ المسبّحة إذا دخلت في الصلاة وتقول ـ كما ورد في خبر السكوني عن الإمام الصادق عليه السلام ـ فقد قال الإمام الصادق عليه السلام بأن يفعل المكلف ـ ما تقدم ـ ويقول: «...بسم الله وبالله، توكلت علىٰ الله، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فإنك تنحره وتطرده»[٤].

٥ـ الاستعاذة في أماكن وأوقات وأفعال معينة:

وقد أوردت الكتب المختصة ذلك، ومنها كتب الفقه، لذا يمكن الرجوع إليها لتوضيح ذلك، وفهم تلك الأمور بدقة.

---

(١) ظ: الطوسي، الخلاف: ١ : ٣٢٥.

(٢) ظ: الطوسي، الخلاف: ١ : ٤٢٢، الحلي، العلامة، شرائع الإسلام: ١ : ٨٣.

(٣) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ٦ : ٦٩.

(٤) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ٨ : ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

إعرابها:

١ـ أعوذُ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والفاعل: ضمير مستتر وجوباً تقديره أنا.

٢ـ باللهِ: الباء حرف جر مبني علىٰ الكسر لا محل من الإعراب، واسم الجلالة في محل جر بحرف الجر، وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل أعوذ.

٣ـ من: حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

٤ـ الشيطانِ: اسم مجرور بمن، و علامة جره الكسرة. وشبه الجملة متعلق بالفعل أعوذ.

٥ـ الرجيمِ: صفة للشيطان مجرورة وعلامة جرها الكسرة، وجملة الاستعاذة جملة ابتدائية لا محل لها من الأعراب.

فضل الاستعاذة:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «أغلقوا أَبواب المعصية بالاستعاذة، وافتحوا أَبواب الطاعة بالتسمية»[١].

وسُئل الإمام الصادق عليه السلام عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة يفتتحها، فقال عليه السلام: «نعم، فتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم»[٢].

وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «أَما قوله الذي ندبك الله إليه، وأَمرك به عند قراءَة القرآن: أَعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فإِن أَمير المؤمنين عليّ قال: وإن قوله: أَعوذ بالله أي أمتنع بالله والاستعاذة هي ما قد أَمر بالله به عباده عند قراءَتهم القرآن، لقوله: وإِذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومن تأَدّب بأَدب الله أَدّاه إلىٰ الفلاح الدائم»[٣].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق: ٩٢ : ٢١٦.

(٢) العاملي، الحر، وسائل الشيعة، مصدر سابق: ٢ : ٨٤٨.

(٣) العسكري، الإمام الحسن، تفسير الإمام الحسن العسكري، مصدر سابق: ٥.

ثم ذكر عليه السلام حديثاً طويلاً عن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله يقول فيه: «إن أَردت أَن لا يصيبك شرُّهم ولا يبدؤوك مكرُهم فقل إِذا أَصحبتَ :أَعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإِنه يعيذك من شرّهم»[1].

حكم الاستعاذة:

والاستعاذة مستحبة، وذلك عند تلاوة القرآن الكريم، بل وفي كل أمر يراد فعله، وبالخصوص حالة الجزع والغضب.

قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ): «الاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة، بلا خلاف»[2].

وكذلك فقد أورد الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العاملي (ت٧٨٦هـ) بأن الأمر في الاستعاذة هو القول بالندب بالاتفاق[3]. وبهذا الاستحباب ـ كذلك ـ قال أبو حنيفة وسفيان والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق[4].

تفسير وتوضيح حول الشيطان الرجيم:

لا تخلو (الكتب المقدسة) في مختلف الأديان من ذكر مصطلح (الشيطان).

إن الشيطان: هو مفهوم كلي يشمل الأشرار الجن والإنس، وإن (إبليس) هو أبرز (الشياطين)، بل هو قائدهم.

فإن كلمة الشيطان مأخوذة إما من (شطَن) بمعنىٰ تمرّد وابتعد عن الحق، وإما من (شيَط) أي احترق غضبا[5].

---

(١) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مصدر سابق: ٢ : ٦٢.

(٢) الطوسي، أبو جعفر، تفسير التبيان، مصدر سابق: ١ : ٤٢٥.

(٣) ظ: الشهيد الأول، محمد بن جمال الدين، ذكرىٰ الشيعة، مصدر سابق: ٣ : ١٣١.

(٤) ظ: معرفة، محمد هادي، التفسير الأثري الجامع، منشورات ذوي القربىٰ، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٩هـ: ١ : ٢٩٧.

(٥) ظ: الافريقي، ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق: ٣ : ٢٣٧.

قال أبو عبيدة: ان الشيطان كل عاتٍ متمرِّد من إنس أو جن، مستشهداً على ذلك بالآية القرآنية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[1].

قال الراغب الاصفهاني: «إن الشيطان هو كل ذي صفة ذميمة من إنسان أو جنّي أو حيوان، كل ذميم ذمّا مطلقا»[2].

إن الشيطان بهذا المعنى هو من تمرد على أمر الله تعالى ويقاومه مدعيا الأفضلية لنفسه على الآخرين، وهذا يعني أن الشياطين ليسوا ملحدين، بمعنى إنكار وجود الذات الالهية، بل هم يؤمنون بوجوده تعالى وهيمنته، ولذلك طلب إبليس زعيم الشياطين من الله تعالى مهلة، فهو يعرف أن حياته بيد الله تعالى وليس غيره، ومشكلته هي تكبره وحسده لآدم الذي تبيّن أنه هو وكثير ممن في صلبه أفضل منه.

كما وإن كلمة (إبليس) عربية وهي من الفعل بَلَسَ بمعنى طُرِدَ، ليكون معنى إبليس هو (المطرود من رحمة الله)، كما يؤكد كثير من اللغويين أن معنى الفعل بلس هو يئس فيكون معنى إبليس بذلك (الذي يئس من رحمة الله)، ولفظة إبليس كذلك تأتي في معنى الضلال، والدهشة، والسكوت[3].

كثيرة هي الأحاديث والمرويات التي تدل على أن اسم (إبليس) مشتق من الإبلاس، كما أن كتّاب اللغة يرجحون اشتقاقها من اللغة العربية، ويؤيدون ما ذهبوا إليه بشواهد عديدة.

إن العلماء الذين يعدون لفظ (إبليس) لفظة عربية، يعتبرونها ممنوعة من الصرف ويقولون: إن سبب عدم انصرافها ربما يرجع إلى استثقال حركة الجرّ في آخرها، وإضافة إلى ذلك، فإن هذه اللفظة (إبليس) ليس لها نظير في اللغة العربية، ولم يوافق أن تسمّى بها أحد طوال

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

(٢) الاصفهاني، الراغب، المفردات، مصدر سابق: ٢٦١.

(٣) ظ: الافريقي، ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق: مادة (بلس).

الأزمنة الماضية، وهذا ما دفع العرب إلى اعتبارها شبيهة بالأسماء الأعجمية، واستخدموها بصيغة ما لا ينصرف.

ويقال بأن معنى إبليس: اليائس، يعني أبلس من رحمة الله، وقبل أن يشتهر إبليس بهذا الاسم كان يُدعى: (عزازيل)، وهو اسم سرياني ويعني المعز من الله، كما كان يدعى (الحارث)، أو (مُرّة)، أما كنيته فهي: (أبو كردوس)[1].

الشيطان في القرآن الكريم: لمحة عامة:

ورد اسم الشيطان في الأسفار التوراتية غير القانونية بصيغة (ساتان) أو (ساتانا إيل)، وفي السريانية بصيغة (سوتونو)، وفي القرآن الكريم الشيطان اسم عام وكلي يصدق على أفراد عديدين من الجن والإنس وأبرزهم إبليس.

ويستخدم القرآن الكريم الاسم (إبليس) في سرده لقصة سقوطه التي تشبه بحدود معينة العناصر نفسها الموجودة في الأسفار التوراتية غير القانونية، وفي نصوص (الهاجاداه) التي غدت جزءاً من الأدبيات التلمودية، أما بعد سقوط إبليس وتحوله إلى عدوٍ للإنسان، فإن القرآن الكريم يستخدم لقب (شيطان) في بقية أخباره عن نشاط إبليس وجنوده في التاريخ وصولاً إلى اليوم الأخير.

وقد عُرف إبليس في القرآن الكريم بصفات التكبر والخيلاء والعصيان والتمرد والكراهية والحسد والباطل والغواية والخبث والخداع، فهو كائن خبيث وشرير، وافتضاح حقيقته كانت سببا للتمييز بين الخير والشر بالمعنى الأخلاقي كما يتحدث عن الوحي، ولقد كان آدم عليه السلام نبياً ومن خلاله تم وضع مقاييس للسلوك القويم وهي مقاييس منسجمة مع ما هو طبيعي في حياة الإنسان وما هو قيمي يحقق مصلحة النوع الإنساني كله.

---

(١) ظ: الافريقي، ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق: مادة (بلس).

يحدثنا القرآن الكريم عن إبليس ويكشف عداءه الجذري للإنسان، فهو كبير الشياطين، كان من الجن العابدين لله تعالى، وبسبب عبادته التي امتدت لـ(ستة آلاف سنة)، كرّمه الله ورفعه إلى الملأ الأعلى.

في هذه المهلة أطلق إبليس وعيده بإغواء آدم وذريته، ولقد سقط إبليس في الامتحان ولعنه الله لعنة متواصلة إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

والتوعد بإغواء الناس يعني أن إبليس نزل إلى الأرض مع آدم ليستمر الصراع بين آدم وذريته وإبليس وجنوده.

الشيطان والإنسان:

لا بدّ هنا من التطرق إلى علاقة الشيطان مع الإنسان.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[2].

لقد كان إبليس يرى نفسه أفضل من آدم وأن طرّده من الملأ الأعلى كان ظلماً، وكان يُحمِّل آدم مسؤوليّة سقوطه ولذلك قرّر الانتقام منه ومن ذرِّيته من بعده فطلب مهلة لأجل ذلك. لكن الحقيقة هي أن آدم بريء منه، فهو لم يكن أفضل من آدم، وسبب الطرد يتعلق بإبليس ذاته، لأن تكبّره وجحوده هو ما أسقطه كما يؤكد على ذلك القرآن الكريم.

---

(١) سورة الحجر، الآيات (٣٥ـ٣٩).

(٢) سورة الأعراف، الآيات (١٦ ـ ١٧).

طلب إبليس أجراً على عبادته لآلاف السّنين وقال إنه يريد أن يكون أجره مهلة لإغواء آدم وذريته، فأعطاه الله تعالى المهلة، وقال له: لقد أعطيتك دائما حريّتك وسأعطي آدم أيضاً وذريته حريَّتَهم، ولن يتبعك المؤمنون وأصحاب العقول.

توعّد إبليس بأن يقعد للناس الصراط المستقيم، والصراط المستقيم هو الوحي وهو طريق الأنبياء عليهم السلام، والشخص المؤمن في القرآن الكريم، لا يختار شيئا آخر غير الوحي لأنه هو الصراط المستقيم، وطريق الخير والنجاة.

إن الشيطان لا يستطيع أن يغوي كل الناس، بل فقط غير المؤمنين، فهو يوسوس للناس ويزيّن لهم السوء، وكان قرار إبليس إدخال أكبر عدد ممكن من الناس إلى جهنم، ولا يمكن ذلك إلا بممارسة الإغواء أي تحويل الحلال إلى حرام والحرام إلى حلال، والخير إلى شر والشر إلى خير، والطيب إلى خبيث والخبيث الى طيب، وذلك من خلال اللعب على العقول وتبرير الأهواء على أساس التأوّل والتزيين لتصبح البشاعة جمالاً في وعي الناس وعيونهم، والمكان الأفضل للإغواء هو مراكز القرار الديني والسياسي، لأن ذلك يمثل المدخل الأنجع لإضلال الناس بأعدادٍ كبيرةٍ.

تفسير الاستعاذة والمراد بها:

١ـ (اعوذ): أي: ألتجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فهو الكهف الحصين، وهو أفضل من يُلتجئ له سبحانه وتعالى علواً كبيرا.

٢ـ (بالله): الباء قدمت في دلالة على الاستعانة، والاستعانة هنا هي بالله سبحانه وتعالى، فهو المستعان في كل المور، وعلى كل المور.

٣ـ (من الشيطان الرجيم): أي: استعيذ بالله تعالى من الشيطان، والذي هو رجيم ومرجوم ومبعد عن رحمة الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة.

إن المراد بتقديم الاستعاذة في كل أمرٍ عموماً، وقبل قراءة القرآن الكريم بشكلٍ خاص، هو للدلالة على ان لها فوائد كثيرة وكبيرة جداً، ولا بدّ من تقديم الكلام بها ـ بالاستعاذة ـ

للتخلص من الشيطان كمسبب للذنوب والانحرافات، على ان نستعيذ منه ومن كل ما يؤدي بنا إلى ما يريده الشيطان الرجيم، أو من هو على شاكلته، وهنا لا بدّ من البحث عن مسببات الذنوب والانحرافات وهي:

١ـ الشيطان الرجيم: وهو الذي له سبق بالعداوة مع الإنسان الأول، مع أبينا آدم، والذي وعد باستمرار العداء إلى يوم القيامة.

٢ـ النفس الأمارة بالسوء: أو النفس الشريرة الموجودة داخل الإنسان، والتي تسير به نحو طريق المهالك، فتجعله أسوء هالك.

٣ـ قرين السوء: أو رفيق السوء، فكم من صاحب أغوى صاحبه فأدى به إلى الهلكة.

٤ـ تراكمات الأيام السابقة: ونقصد بها الأيام السابقة من أيام السوء، وأيام الانحرافات، والماضي السيء للإنسان.

فهذه أربعة مسببات تسبب الذنوب والانحرافات، وعند إرادة التخلص من مسببات الذنوب والانحرافات، لا بدّ من التخلص منها جميعاً، وهنا فإن على الإنسان مراجعة نفسه؛ لكي يعرف أيها يؤثر عليه، ولو قسمناها تقسيماً بحسب التأثير فإنها ستقسم إلى عاملين داخليين، وعامليين خارجيين، كالآتي:

أولاً: العاملان الداخليان:

١ـ النفس الأمارة بالسوء:

٢ـ تراكمات الأيام السابقة:

ثانياً: العاملان الخارجيان:

١ـ الشيطان:

٢ـ قرين السوء:

وبالوجدان فإن العوامل الداخلية هي أكثر تأثيراً من العوامل الخارجية، وبالوجدان كذلك فإن قرين أو رفيق السوء أكثر تأثيراً من الشيطان الرجيم، وهذا ليس دفاعاً عن الشيطان، أو تبرير من نوعٍ ما، لكنه خطاب منصف للنفس، للإنسان، بأن لا يلقي ذنوبه على شماعة

الشيطان الرجيم، نعم قد يكون له أثرٌ في كل العوامل المذكورة، لكننا وبما اننا ننطلق من النفس بما هي نفس، وبتجردٍ تام، لذا فإن على الإنسان مراجعة نفسه، ومعرفة العوامل المؤثرة عليها بتسبيب الذنوب والانحرافات، وهذا شيء مهم، لأن التشخيص هو الطريق الأفضل للعلاج.

تفسير البسملة

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

إن من اللازم الابتداء بتفسير البسملة وهي: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، وما يراد بها، وما يتعلق بذلك من مباحث مهمة.

البسملة في اللغة والاصطلاح:

البسملة في اللغة:

البسملة: مصدر منحوت من (بسم اللهّ) وبمعنىٰ قول بسم اللهّ أو كتابتها، يقال :قد أكثرت من البسملة، أي من قول بسم اللهّ أو كتابتها، وبسمل بسملة، إذا قال أو كتب :بسم اللهّ، ومثله (حمدل) و(هلّل) و(حسبل) و(حيعل) و(سبحل) و(حولق) أو (حوقل)، إذا قال أو كتب :الحمد للهّ، ولا إله إلاّ اللهّ، وحسبنا اللهّ، وحيّ علىٰ الصلاة، وسبحان اللهّ، ولا حول ولا قوّة إلاّ باللهّ[1].

البسملة في الاصطلاح:

إن البسملة في الاصطلاح قد استعملت في نفس المعنىٰ اللغوي، كذلك استعملت تخفيفاً لـ(بسم اللهّ) أو لـ(بسم اللهّ الرحمن الرحيم) من دون دلالة علىٰ المعنىٰ المصدري، فالبسملة قد تكون مصدراً، وقد تكون كلمة مخفّفة.

أما الألفاظ ذات الصلة بها فهي (التسمية): وقد استعملت في كلمات الفقهاء بمعانٍ منها: بسم الله، ومنها: قول ما اشتمل علىٰ ذكر الله تعالىٰ من بسملة أو تحميد أو تكبير أو تسبيح أو نحوها، ومن ذلك قولهم: إن من جملة شرائط حلية الذبيحة التسمية، فإن المراد بها مطلق ذكر الله تعالىٰ من غير اختصاص بالبسملة[2].

---

(١) ظ: الأزهري: تهذيب اللغة: ١٣: ١٥٥ـ١٥٦، الأفريقي: ابن منظور، لسان العرب: ١ : ٤١٢.

(٢) ظ: الشهيد الثاني، زين الدين، مسالك الأفهام: ١١ : ٤٧٨.

معاني ألفاظ البسملة:

إن هذه الآية المباركة (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) تشتمل على كثير من المعارف الإلهية، لا سيّما الصفات الراجعة إلى ذات الباري عز وجل وفي اختيار صفتي (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ما فيه من البشارة للإنسان، من كونه مورد رحمته وعطفه تعالى، مهما تعددت أسباب الشر وقويت.

نعم، فيها إرشاد إلى تعليم الإنسان لتوخّي الرحمة والمودة في أفعاله، وجعل نفسه من مظاهر رحمته تعالى، ليعرف أنّه مؤمن بالله سبحانه وتعالى، وأن لا يعتمد على نفسه مهما بلغ من الكمال، لأنّه المحتاج، بل لا بدَّ له من إيكال أمره إلى الغني المطلق[1].

١ـ (الباء): الباء للاستعانة، لأنّ الإنسان مفتقر بذاته، والمحتاج المطلق لا بدَّ أن يستعين في جميع شؤونه بالغنيّ المطلق الذي هو الله سبحانه وتعالى، فالممكنات محتاجة إليه فهي بلسان الحال تستعين به تعالى[2].

٢ـ (الاسم): مشتق من السمو، وهو الرفعة، أصله سِمو بالواو لأن جمعه أسماء، وقيل مشتق من الوسم أو من السمة.

فاسم: أصله من السمو، بمعنى الرفعة، ويصح أن يكون اشتقاقه من السمة، بمعنى العلامة. والهاء عوض الواو فيكون أصله الوسم، فالوسم والوسام والوسامة بمعنى العلامة، والحاصل أنَّ الاسم هو كلّ ما يدلُّ على الشيء، وأسماء الله تعالى إنَّما سُميّت أسماءَ لأنَّها دالّة عليه وعلامة عليه.

٣ـ (الله): اسم لا يطلق إلا عليه سبحانه وتعالى، وقد تكثرت الأقوال في أصله.

إن (الله) لفظ الجلالة، ولا يطلق إلا عليه سبحانه وتعالى، فالله أصله الإله، حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، وإله من أله الرجل يأله بمعنى عبد، أو من أله الرجل أو وله الرجل أي

---

(١) ظ: السبزواري، عبد الأعلى(ت١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن، دار التفسير، قم ـ إيران، ط٥، ١٤٣١هـ: ١ : ٩.

(٢) ظ: السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن، مصدر سابق: ١ : ٩.

تحيّر، فهو فعال بكسر الفاء بمعنىٰ المفعول ككتاب بمعنىٰ المكتوب، سُمِيَ إلها لأنه معبود أو لأنه مما تحيّرت في ذاته العقول، والظاهر أنه عَلم بالغلبة، وقد كان مستعملاً قبل نزول القرآن الكريم، ويعرفه عرب الجاهلية.

ومما يدل علىٰ كونه عَلماً أنه يوصف بجميع الأسماء الحسنىٰ وسائر أفعاله المأخوذة من تلك الأسماء من غير عكس، فيُقال :الله الرحمن الرحيم ويقال :علم الله، ورزق الله، وذلك لأن وجوده سبحانه وتعالىٰ، وهو إله كل شيء يهدي إلىٰ اتصافه بجميع الصفات الكمالية.

و(بسم الله) قيل: المراد تضمين الاستعانة، فتقديره استعينوا بأن تسمُّوا الله بأسمائه الحسنىٰ، وتصفوه بصفاته العليا، وقيل: المراد استعينوا بالله تعالىٰ[1].

٤ـ (الرحمن): أي: ذو الرحمة.

٥ـ (الرحيم): أي: العطاف علىٰ عباده بالرزق والنعم.

و(الرحمن الرحيم): فقد قيل: إنما قدم (الرحمن) علىٰ (الرحيم)؛ لأن الرحمن بمنزلة اسم العلم من حيث لا يوصف به إلا الله تعالىٰ، فوجب لذلك تقديمه، بخلاف الرحيم لأنه يطلق عليه وعلىٰ غيره[2].

إن (الرحمن الرحيم): هما من الرحمة، وهي وصف انفعالي وتأثر خاص يلم بالقلب عند مشاهدة من يفقد أو يحتاج إلىٰ ما يتم به أمره، فيبعث الإنسان إلىٰ تتميم نقصه ورفع حاجته، يرجع هذا المعنىٰ إلىٰ الإعطاء والإفاضة لرفع الحاجة، وبهذا المعنىٰ يتصف سبحانه بالرحمة.

٦ـ الفرق بين (الرحمن) و(الرحيم):

لقد تعددت الأقوال بين المفسرين في الفرق بين الرحمن والرحيم، ومن هذه الأقوال:

الأول: أنّ صفة (الرحمن) تشير إلىٰ الرحمة الإلهية العامة، وهي تشمل الأولياء والأعداء، والمؤمنين والكافرين، والمحسنين والمسيئين)، وصفة (الرحيم) إشارة إلىٰ رحمته الخاصة

---

(١) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١ : ٩٢.

(٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١ : ٩٣.

بعباده الصالحين المطيعين، قد استحقوها بإيمانهم وعملهم الصالح، وحُرم منها المنحرفون والمجرمون.

الثاني: الرحمن (يختص بالدنيا)، والرحيم (بالآخرة)، لتقدم الدنيا على الآخرة في سلسلة العوالم والنشآت الزمانية، فيكون المقدم للمتقدم والأخير للمتأخر، أو لذكر الرحيم مقرونا بالغفران والتوبة في جملة من الآيات الكريمة، والغفران وأثر التوبة في الآخرة فيكون الرحيم مختصا بها.

الثالث: الرحمن على وزن فعلان، وهي صيغة مبالغة تدل على الكثرة، والرحيم على وزن فعيل، وهي صفة مشبهة تدل على الثبات والبقاء.

الرابع: إنّ الرحمن من الأسماء الخاصة بالله تعالى، ولا تُستعمل لغيره، بينما الرحيم صفة تنسب للهّ ولعباده، فالقرآن الكريم وصف بها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

الخامس: أنّ الرحمن ذات الرحمة الشاملة لكل محتاج إليها، وبجميع مراتبها التفضلية من دون اختصاص لها بنوع دون نوع، من الجماد والنبات والحيوان والإنسان وسائر المخلوقات، ومن أهم مصاديق الرحمانيّة تنظيم عالم التكوين بأحسن نظام، ومن أجلى مصاديق الرحيمية تنظيم التشريع بأكمل نظام، وأثر التشريع إنما يظهر بالنسبة إلى المؤمنين العاملين به فاختصت الرحيمية بالآخرة من هذه الجهة، فهو تعالى رحيم في الدنيا بالتشريع، وفي الآخرة بالجزاء.

٧ـ المراد بالبسملة:

إن البسملة قد استعملت تخفيفاً لـ(بسم اللهّ)، أو لـ(بسم اللهّ الرحمن الرحيم)، ويقصد بها ذكر الله سبحانه وتعالى، وقد وردت في القرآن الكريم (١١٤) مرة، في بداية كل سورة قرآنية ما عدا سورة (التوبة)، وقد تكررت مرتين في سورة (النمل)، وهي تشتمل على كثير من المعارف الإلهية، لا سيّما الصفات الراجعة إلى ذات الباري عز وجل، وفي اختيار صفتي (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ما فيه من البشارة للإنسان، من كونه مورد رحمته وعطفه تعالى، وفيها

إرشاد إلى تعليم الإنسان لتوخّي الرحمة والمودة في أفعاله، وجعل نفسه من مظاهر رحمته تعالى، ليعرف أنّه مؤمن باللهّ سبحانه وتعالى.

إعراب ألفاظ البسملة:

قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:

١ـ ﴿بِسْمِ اللهِ﴾: (الباء) حرف جر اصله الإلصاق، والحروف الجارة موضوعة لمعنى المفعولية.

إن الباء في (بِسْمِ اللهِ) متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتداءُ مستقر أو ثابت (بِسْمِ اللهِ). وعند نحاة الكوفة بفعل تقديره ابتدأت بـ(بِسْمِ اللهِ).

فـ(بِسْمِ اللهِ) في موضع رفع على مذهب البصريين، وفي موضع نصب على مذهب الكوفيين. واختار كثير من المتأخرين كونه فعلاً خاصًا متأخرًا، أما كونه فعلاً، فلأنَّ الأصل في العمل للأفعال، وأما الأسماء فلا تعمل إلاَّ بشرط، وأما كونه خاصًا فلأنَّ كل مبتدئ بالبسملة في أمر يضمر ما جعل البسملة مبدأ له.

فمثلاً: الذي يريد أن يقرأ يضمر (أقرأ) أي: بسم الله أقرأ، والذي يريد أن يأكل يضمر (آكل) أي بسم الله آكل وهكذا، فهذا معنى كونه خاصًا؛ لأن تقديره (بِسْمِ اللهِ) أبتدئ عامٌّ لا يدل على تعيين المقصود.

أما كونه متأخرًا فلدلالته على الاختصاص، وأدخل في التعظيم وأوفق للوجود، ولأنَّ أهم ما يبدأ به ذكر الله تعالى.

فإن قال قائل: ما معنى متأخر؟

الجواب: أنَّك تضمر الفعل متأخرًا؛ فلا تقول: أقرأ بسم الله؛ ولكن تقول: (بسم الله أقرأ).

فإن قال قائل: ما هو الأرجح في هذه المسألة؟

فالجواب: الأرجح أنها متعلقة بفعل لما تقدم.

إن حذف العامل له فوائد: منها: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه غير ذكر الله تعالى. ومنها: أنَّ الفعل إذا حذف صحَّ الابتداء بالبسملة في كل عمل وقول وحركة، فكان الحذف أعم.

وباء (بسم الله) للمصاحبة، وقيل: للاستعانة والتبرك فيكون التقدير: (أبتدئ حال كوني مستعينًا بذكره متبركًا به).

وأما ظهوره في: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1]، و﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا﴾[2]؛ فلأنَّ المقام يقتضي ذلك.

لقد حذفت الألف من (بسم الله) في الخط اختصارًا وتخفيفًا؛ لكثرة الاستعمال، وأما إذا كتب: (باسم الرحمن وباسم القاهر).

فقال الكسائي والأخفش (تحذف الألف)، وقال يحيى بن زياد: لا تحذف إلاَّ مع بسم الله فقط لكثرة الاستعمال فيه.

فـ(اسم): اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف، (والاسم) عند البصريين مشتق من السمو. وقال الكوفيون: أصل اسم: (وسم) من السمة وهي العلامة؛ لأنَّ الاسم علامة لمن وضع له.

٢ـ ﴿اللهِ﴾: مجرور بالإضافة. فـ(الله): اسم الجلالة في محل جر مضاف إليه، وشبه الجملة متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: ابتدائي بسم الله. أو هو متعلق بمحذوف فعل تقديره أبدأ بسم الله.

٣ـ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: مجروران، لأنهما صفتان لله تعالى. فـ(الرحمنِ): صفة مجرورة، وعلامة جرها الكسرة الظاهرة. و(الرحيمِ): صفة ثانية مجرورة، وعلامة جرها الكسرة الظاهرة أيضاً. وجملة البسملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

---

(١) سورة العلق، الآية (١).

(٢) سورة هود، الآية (٤١).

فضل البسملة:

روي عن ابن عباس عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «إذا قال المعلم للصبي قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله برآءة للصبي، وبرآءة لأبويه، وبرآءة للمعلم»[1].

وروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها»[2].

سبب الابتداء بالبسملة:

يقول السيد الطباطبائي: «الناس ربما يعملون عملاً أو يبتدئون في عمل ويقرنونه باسم عزيز من أعزاءهم، أو كبير من كبرائهم؛ ليكون عملهم ذاك مباركاً بذلك متشرفاً، أو ليكون ذكرى يُذكرهم به، ومثل ذلك موجود ايضاً في باب التسمية، فربما يسمون المولود الجديد من الإنسان، أو شيئاً مما صنعوه أو عملوه كدار بنوها أو مؤسسة أسسوها باسم من يحبونه أو يعظمونه، ليبقى الاسم ببقاء المسمى الجديد، ويبقى المسمى الأول نوع بقاء ببقاء الاسم، كمن يسمي ولده باسم والده ليحيي بذلك ذكره فلا يزول ولا يُنسى.

وقد جرى كلامه تعالى هذا المجرى، فابتدأ الكلام باسمه عز اسمه ليكون ما يتضمنه من المعنى معلماً باسمه مرتبطاً به، وليكون أدباً يؤدب به العباد في الأعمال والأفعال والأقوال، فيبتدؤوا باسمه ويعملوا به، فيكون ما يعملونه معلماً باسمه منعوتاً بنعته تعالى، مقصوداً لأجله سبحانه، فلا يكون العمل هالكاً باطلاً مبتراً، لأنه باسم الله الذي لا سبيل للهلاك والبطلان إليه.

وذلك ان الله سبحانه يبين في مواضع من كلامه: ان ما ليس لوجهه الكريم هالك باطل، وانه: سيقدم إلى كل عمل عملوه مما ليس لوجهه الكريم، فيجعله هباء منثوراً، ويحبط ما

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١ : ٨٩.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١ : ٨٩ـ٩٠.

صنعوا ويبطل ما كانوا يعملون، وأنه لا بقاء لشيء إلا وجهه الكريم، فما عُمل لوجهه الكريم، وصنع باسمه هو الذي يبقىٰ ولا يفنىٰ، وكل أمر من الأمور إنما نصيبه من البقاء بقدر ما لله فيه نصيب، وهذا هو الذي يفيده ما رواه الفريقان عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم: كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر... والأبتر هو المنقطع الآخر...»[1].

كما ويقول الشيخ محمد هادي معرفة: «البسملة، شعار الإسلام وشاخصته التي فاقت سائر الشعارات، والرابط الذي أحكم من أواصر هذه الأمة بالمبدأ الأعلىٰ ذي القوة المكين»[2].

لقد كان للإقتداء بالنبي الأكرم صلىٰ الله عليه وآله وسلم الدور الباز في التأكيد علىٰ الابتداء بالبسملة، ولولا ذلك لبقيت مقيدة بسور القرآن الكريم فقط.

جزئيتها من السورة القرآنية:

١ـ رأي علماء الشيعة:

أجمعَ علماء الشيعة علىٰ أنّ البسملة جزء من سورة الحمد وكلّ سور القرآن الكريم، وكتابتها في مطالع السور أفضل شاهد علىٰ ذلك، وذكر البسملة معمول به منذ زمن النبي الأكرم صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

قال الشيخ الطبرسي: «اتفق اصحابنا انها آية من سورة الحمد ومن كل سورة، وان من تركها في الصلاة بطلت صلاته، سوآء كانت الصلاة فرضاً أو نفلاً، وأنه يستحب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة، ويستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة... ولا خلاف في انها بعض آية من سورة النمل... انها افتتاح للتيمّن والتبرك»[3].

---

(١) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، مصدر سابق: ١ : ١٠ـ١١.

(٢) معرفة، محمد هادي، التفسير الأثري الجامع، مصدر سابق: ١ : ٣٠٧.

(٣) الطبرسي، أبو علي، مجمع البيان، مطبعة أمير، قم ـ إيران، ط٧، ١٤٢٥هـ: ١ : ٨٩.

لقد اتفقت الشيعة الإمامية على ان البسملة آية من كل سورة بدأت بها[1]، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس، وابن المبارك، وأهل مكة كابن كثير، وأهل الكوفة كعاصم والكسائي[2]. وهناك روايات متناثرة في ان البسملة ليست آية من السور القرآنية، وقد يكفي في الرد عليها إجماع المسلمين على ذلك[3].

٢ـ رأي علماء السنة:

أمّا علماء أهل السنة، فاختلفوا في ذلك، وهذه أقوالهم، فيما يلي:

أ ـ قال الشافعي: إنها آية من أول الحمد، وفي كونها آية من كل سورة قولان: أحدهما: إنها آية من أول كل سورة.

والآخر: إنها بعض آية من كل سورة، وإنما تتم مع ما بعدها فتصير آية.

ب ـ قال أحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيدة، وعطاء، والزهري، وعبد الله بن المبارك: إنها آية من أول كل سورة حتى أنه قال: من ترك (بِسْمِ الله الرحمن الرَّحِيمِ) ترك مائة وثلاث عشرة آية.

جـ ـ قال أبو حنيفة، ومالك، والأوزاعي، وداود: ليست آية من فاتحة الكتاب، ولا من سائر السور.

د ـ قال مالك والأوزاعي وداود: يكره أن يقرأها في الصلاة بل يكبر، ويبتدئ بالحمد، إلا في شهر رمضان، والمستحب أن يأتي بها بين كل سورتين تبركاً للفصل، ولا يأتي بها في أول الفاتحة.

هـ ـ قال أبو الحسن الكرخي: ليس عن أصحابنا رواية في ذلك، ومذهبهم الإخفاء في قراءتها، فاستدللنا بذلك على أنها ليست من فاتحة الكتاب عندهم، إذ لو كانت منها لجهر بها

---

(١) ظ: الطباطبائي، الميزان، مصدر سابق: ٩ : ١٤٩.

(٢) ظ: العياشي، تفسير العياشي، مصدر سابق: ٢ : ٧٣.

(٣) ظ: الحويزي، تفسير نور الثقلين، مصدر سابق: ٢ : ١٧٦.

كما يجهر بسائر السور، وقال أبو بكر: ثم سمعناه بعد ذلك يقول إنها آية تامة مفردة في كل موضع أثبتت فيه إلا في سورة النمل، فإنها بعض آية في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[1].

افتتاح الأمور بالبسملة:

لقد دلت جملة من الروايات المباركة علىٰ مطلوبية (محبوبية) الابتداء بـ(البسملة) عن افتتاح الأمور، كما ودلت علىٰ ذم تركها في كل أمرٍ ذي بال، بل في كافة الأمور صغيرة كانت أم كبيرة.

روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام انه قال: «إن الله يقول: أنا أحقّ من سئل، وأولىٰ من تضرّع إليه، فقولوا عند افتتاح كلّ أمر صغير وعظيم: بسم الله الرحمن الرحيم...»[2].

وروي أيضاً عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام انه قال: «... إن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم حدّثني عن الله عز وجل أنه قال: كل أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر»[3].

وما رواه جميل بن درّاج، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا تدع بسم الله الرحمن الرحيم وإن كان بعده شعر»[4].

وكما دلت الأخبار علىٰ استحباب الافتتاح بالبسملة في الكلام، كذلك فقد شملت الأدلة والروايات موضوع كتابتها ايضاً، ومن تلك الأخبار:

---

(١) سورة النمل، الآية (٣٠).

(٢) العاملي، الحر، وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة: ٧ : ١٦٩.

(٣) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ٧ : ١٧٠.

(٤) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ١٢ : ١٣٦.

عن سيف ابن هارون مولى آل جعدة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من أجود كتابك، ولا تمدّ الباء حتى ترفع السين»[1].

تفسير البسملة والمراد بها:

١ـ (بسم): أي أُسمي على نفسي بسمةٍ من سمات الله تعالى، والسمة هي العلامة، وعلامة الإنسان هي العبودية لله تعالى.

٢ـ (الله): لفظ الجلالة، المستحق للعبودية والطاعة، والمستحق لإطلاق لفظ (الله) عليه، إذ ان هذا اللفظ لا يطلق على غيره.

٣ـ (الرحمن): أي واسع الرحمة، وتشمل رحمته كل شيء.

٤ـ (الرحيم): أي العناية الخاصة بعباده المؤمنين دون غيرهم، وذلك لتفضيلهم، وليس لتمييزهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الرحمان، اسم خاص بصفة عامة، والرحيم، اسم عام بصفة خاصة»[2].

إلا أنهما في (البسملة) مقرونان معاً، وهنا لا بدّ من قراءتهما معاً (جمعاً)، فيكون المراد بـ(الرحمن الرحيم): الرحمة الشاملة المقرونة به تعالى، وذلك لمن يتصف بصفة الرحمة من البشر.

إن الكلام عن (البسملة) واسعٌ جداً، فهي سُنة وخُلق قرآني راقي جداً، ولولا ان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد استعملها في غير القرآن الكريم، لما استعملناها في غير القرآن الكريم، لذلك فإن هناك حكمة بالغة لكي تخرج عن القيد القرآني لتصبح أساساً ومطلعاً في كل كلام، وفي كل كتاب، وفي كل مقدمة وتقديم.

لكن السؤال هنا: هل عرفنا حقيقتها؟ وهل اعطيناها حقها؟

---

(١) العاملي، الحر، وسائل الشيعة: ١٢ : ١٣٦.

(٢) الكاشاني، الفيض، تفسير الصافي، مصدر سابق: ١ : ١٢١.

الجواب: كلا.

إننا لم نعتبرها إلا نوعاً من الجمالية، تضاف إلى الكلام، وتُزين بها الكتابة، أو كلوحة تُعلق على الجدار، أو كجدارية توضع في الساحات، إلا اننا ـ وبحق ـ قد أفرغناها من محتواها الحقيقي، فجعلناها (ايقونة)، وجردناها من الحياة.

إن المراد بالبسملة ليس قولنا (بسم الله الرحمن الرحيم) فقط، بل إن المراد بها أمور كثيرة منها:

١ـ الذكر: بأن نذكر الله سبحانه وتعالى دائماً، وان نبقى ذاكرين له، فيكون ذكره دائم على السنتنا، ولا يفارقنا.

٢ـ الحب: فالمذكور كثيراً، ومن لا نغفل عن ذكره، هو المحبوب، ولا يوجد حبيب نحبه بصدق ونغفل عن ذكره.

٣ـ التوكل: فإن كان المذكور، والمحبوب، هو الله سبحانه تعالى، الإله الخالق، فإننا بذكره وبحبه نتوكل عليه.

٤ـ الاستعانة: فذكره تعالى كونه الخالق الإله يستدعي الاستعانة به في كل مسألة وعلى كل ملمة.

٥ـ الاقتداء: فإن كان المذكور المحبوب رحيماً، فمن اللازم علينا ان نقتدي به، فنكون محلاً للرحمة اقتداءاً به سبحانه وتعالى.

٦ـ التطبيق العملي: إن الرحمة لا توصف باللسان فقط، ولا نكتب عنها الأشعار فقط، ولا نتكلم بها في الخطب فقط، بل تحتاج إلى التطبيق العملي، البعيد عن الرياء، والبعيد عن المّن، والبعيد عن التبجح.

وقفة مهمة:

إن هناك نظرية قرآنية قائلة: بـ(لزوم أن يبدأ كل عمل ببسم الله تعالى)، ويمكن ان نُعرف بذلك ونطبقه من خلال استعراض أربعة أمثلة على ذلك وهي:

١ـ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[١].

٢ـ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[٢].

٣ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣].

٤ـ قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٤].

لقد علّمنا القرآن الكريم في بداية كل سورة أن نبدأ عملنا بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، وان نعطر اسماعنا وقلوبنا وأرواحنا بهذا الذكر الشريف؛ لأنه ينور القلب ويهب الروح الصفاء والقوة والنشاط، وبدء الأعمال بهذه الروح يوصل إلى الغاية المرجوة، فهذا خُلق قرآني، وعنصر قرآني مهم، كون القرآن الكريم هو القدوة، وهو كلام الله سبحانه وتعالى.

ففي الآية الأولى ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ والتي تصدرت كل سور القرآن الكريم (ما عدا سورة براءة) يُعلم الباري تبارك وتعالى الإنسان أن يبدأ عمله بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، ويستعين به في أداء أعماله وتنفيذ خططه.

أما في الآية الثانية، فهو كلام عن خطاب جبرائيل الأمين عليه السلام في بداية البعثة للنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دلالة على التكليف الإلهي بالنبوة، والتبليغ، والهداية الإلهية، من خلال دستور، ولا بدّ للدستور من بداية وديباجة، وبدايته هي: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

وفي الآية الثالثة بيان لقصة نبي الله نوح عليه السلام وذلك عندما حلت لحظة الطوفان، ولحظة انطلاق سفينة نوح في عباب ذلك الطوفان الهائج والمدمر، فكانت بداية الأمر الإلهي هو: ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾.

---

(١) سورة الحمد، الآية (١).

(٢) سورة العلق، الآية (١).

(٣) سورة هود، الآية (٤١).

(٤) سورة النمل، الآيات (٢٩ـ٣١).

أما في الآية الرابعة والأخيرة يتوضح كلام في كتاب من النبي سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ بعد أن أخبره (الهُدهُد) عن قومها وعبادتهم للأصنام.

لماذا لم ترد البسملة في سورة التوبة المباركة؟

إن ذلك، وبسبب الروايات الواردة، قد أحال الأمر إلى ان لا تتفق الآراء، بل ان تكون ثلاثة آراء في مدرسة مفسري الشيعة الإمامية، وسبب ذلك التنوع في الآراء هو الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، والآراء هي:

الرأي الأول: وهو لصاحب الميزان، وحاصله: لم تُذكر البسملة لأن سورة براءة مقاربة للأنفال، فكانتا كسورة واحدة، لأن الأولى في ذكر العهود وسورة براءة في رفع العهود. فقال: الأرجح بحسب الصناعة ما يدل من حديثهم على أنها ملحقة بسورة الأنفال[1].

فقد روي عن الأئمة عليهم السلام، عن أبي العباس، عن أحدهما عليهما السلام أنه قال: «الأنفال وسورة براءة واحدة»[2]. كذلك روي عن الإمام الصادق عليه السلام[3]، وكذلك روي عن أبي بن كعب، وعن عثمان.

الرأي الثاني: وهو لأبن عباس، حيث قال: سألت علي بن أبي طالب عليه السلام: لِمَ لم تُكتب بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال عليه السلام: «لأنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف، ليس فيها أمان»[4]. وأشار إلى هذا الوجه كذلك السيد الخوئي في تفسيره[5].

الرأي الثالث: وهو للشيخ ناصر مكار الشيرازي، حيث قال: بدأت بالبراءة من قبل الله من المشركين، وإعلان الحرب عليهم، واتباع أسلوب شديد لمواجهتهم، وبيان غضب الله

---

(١) ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان، مصدر سابق: ٩ : ١٤٩.

(٢) العياشي، تفسير العياشي، مصدر سابق: ٢ : ٧٣.

(٣) الحويزي، تفسير نور الثقلين، مصدر سابق: ٢ : ١٧٦.

(٤) النوري، حسين، مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ٢ : ٣٣..

(٥) ظ: الخوئي، أبو القاسم (ت١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة احياء آثار الإمام الخوئي قدس سره، قم ـ إيران، دون طبعة، دون تاريخ: ٤٣٣.

عليهم، وذلك لا يتناسب والبسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" الدالة على الصفاء والصدق والسلام والحب، الكاشفة عن صفة الرحمة واللطف الإلهي. وقد ورد التعليل عن الإمام علي عليه السلام.

ويعتقد بعض المفسرين بأن سورة براءة في الحقيقة تتمة لسورة الأنفال، لأن الأنفال تتحدث عن العهود وبراءة تتحدث عن نقض تلك العهود فلم تذكر البسملة بين هاتين السورتين لارتباط بعضها ببعض، وقد ورد عن الأمام الصادق عليه السلام هذا المعنى أيضاً، ولا مانع أن يكون السبب في عدم ذكر البسملة مجموع الأمرين آنفي الذكر معاً، فالأول ناظر إلى الرواية الأولى الواردة عن الإمام علي عليه السلام، والثاني يشير إلى رواية الإمام الصادق عليه السلام[1].

أما القول بأن البسملة في كل سورة تختلف عن البسملة في سورة أخرى، أو ان البسملة في داخل سورة براءة تختلف عن البسملة الافتتاحية، أو أنها من عند نبي الله سليمان عليه السلام وليست قرآنية، فما ذلك إلا شطط، وتأثر بآراء المستشرقين والحداثيين ممن يريد إثارة الأوهام البائسة على القرآن الكريم.

(١) ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، مصدر سابق: ٥ : ٤٧٠.

تفسير سورة الفاتحة المباركة

****

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(١)

﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾.

****

خطوات تفسير سورة الفاتحة المباركة

****

خطوات التفسير:

الخطوة الأولى: سورة الفاتحة هل هي مكية أم مدنية:

قال ابن عباس وقتادة انها مكية[١]، وقال أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار انها مدنية[٢]، وذكر أكثر من مفسر انها نزلت في مكة ونزلت كذلك في المدينة المنورة، بل قيل انها نزلت ثلاثة مرات، مرة قبل البعثة لأنها اقترنت بصلاة النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة، ثم نزلت في مكة، ونزلت ثالثة في المدينة.

والأصح انها مكية لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٣].

---

(١) ظ: الأندلسي، أبو عمر الداني (ت٤٤٤هـ)، البيان في عدّ آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٩٩٤م: ١٣٩.

(٢) ظ: الأندلسي، أبو عمر الداني، البيان في عدّ آي القرآن، مصدر سابق: ١٣٩.

(٣) سورة الحجر، الآية (٨٧).

وكذلك من الأدلة على كونها مكية؛ ان الصلاة شرعت في مكة، ولم تعهد في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب[1].

بذلك يتوضح بأن سورة الفاتحة، وعلى أرجح الأقوال مكية، ولا يؤثر نزولها مرة أخرى في المدينة المنورة.

إن عدد كلمات سورة الفاتحة (٢٥) كلمة، وحروفها (١٢٠) حرفاً، وترتيبها في المصحف هو الأول.

الخطوة الثانية: عدد آيات السورة والاختلاف في ذلك ان وجد:

عددها: سبع آيات، وقيل: نظيرتها في عدد آيها المكي والشامي سورة الناس، وفي الكوفي والبصري سورة (أرأيت)، ولا نظير لها في المَدَنِيَّيْنْ، واختلافها آيتان (بسم الله الرحمن الرحيم) عدها المكي والكوفي، ولم يعدها الباقون، و(أنعمت عليهم) لم يعدها المكي والكوفي، وعدها الباقون.

قال السيد الخوئي: «المعروف بين المسلمين: أن عدد آياتها سبع، بل لا خلاف في ذلك، وروي عن حسين الجعفي: أنها ست، وعن عمرو بن عبيد أنها ثمان، وكلا القولين شاذ مخالف لما اتفقت عليه روايات الطريقين من أنها سبع آيات»[2].

نعم، إن سورة الفاتحة سبع آيات في جميع العدد، وهو المشهور، والمتفق عليه، وما عليه المصحف المتداول اليوم.

الخطوة الثالثة: اسم السورة القرآنية:

عُرفت سورة الفاتحة بجملة أسماء منها:

١ـ الفاتحة: أو فاتحة الكتاب: وسميت بذلك لأحد سببين هما:

---

(١) ظ: الخوئي، أبو القاسم (ت١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة احياء آثار الإمام الخوئي قدس سره، قم ـ إيران، دون طبعة، دون تاريخ: ٤٢٠.

(٢) الخوئي، أبو القاسم (ت١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ٤٢٢.

أ ـ لافتتاح المصاحف بكتابتها، فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن الكريم في الكتاب، والقراءة من غير خلاف بين العلماء[1].

ب ـ لوجوب قراءتها في مفتتح الصلاة.

٢ـ أم الكتاب: لأنها متقدمة على سائر سور القرآن الكريم، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد أودع فيها مجموع ما في السور، ففيها أثبات الربوبية والعبودية، وهذا هو المقصود بالقرآن الكريم.

٣ـ السبع المثاني: وسميت بذلك؛ لأنها سبع آيات لا خلاف فيها، كما جاء ذلك في الآية (٨٧) من سورة الحجر.

٤ـ الحمد: وسميت بذلك لأنها افتتحت بالحمد، إذ تسمى الأشياء بما تفتتح به على ما اشتهر عند العرب.

إلى غير ذلك من الأسماء، حتى وصلت الأسماء لسورة (الفاتحة) إلى ما يقارب الـ(٢٥) اسماً.

الخطوة الرابعة: فضلها:

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كأنما قرأ ثلثي القرآن، وأعطي من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «رنّ إبليس أربع رنات أولهن يوم لُعن، وحين أُهبط إلى الأرض، وحين بُعث محمد على حين فترة من الرُسُل، وحين أُنزلت أم الكتاب»[3].

كما وان من خواصها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لو قُرئت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردّت فيه الروح ما كان ذلك عجباً»[4].

---

(١) الطبرسي، أبو علي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١ : ٩٠.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١ : ٢٧.

(٣) الحويزي، نور الثقلين، مصدر سابق: ١ : ١٨.

(٤) البحراني، تفسير البرهان، مصدر سابق: ١ : ٨٠.

مضافاً إلى الكثير من الأحاديث الواردة حول سورة (الفاتحة)، وهذا يحتاج إلى تدقيق وتحقيق أحاديث الفضائل على ما ذكرناه في شرح هذه الخطوة من خطوات أسلوب التفسير التجزيئي.

الخطوة الخامسة: الاختلاف في القراءات وبيان العلل:

١ـ لفظ (مالكِ) وقد قرأت (ملِكِ)[١].

٢ـ لفظ (الصراط) بالصاد، وقرأت بالسين (السراط)[٢].

٣ـ لفظ (عليهُم) بضم الهاء، وقرأت (عليهِم) بكسر الهاء[٣].

الخطوة السادسة: هل في السورة ألفاظ غير عربية والآراء في ذلك:

لا توجد فيها ألفاظ غريبة، أو مبهمة، أو مشكلة، لكن وقع الكلام في المراد بـ(الصراط)، و(المغضوب عليهم)، و(الضالين) عدة انحاء وآراء سنبينها لاحقاً.

الخطوة السابعة: إعراب السورة:

١ـ ﴿الحمدُ﴾: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

٢ـ ﴿للهِ﴾: اللام حرف جر مبني على الكسر لا محل له من الإعراب، الله: اسم الجلالة في محل جر بحرف الجر، وشبه الجملة: متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

٣ـ ﴿ربِّ﴾: صفة لاسم الجلالة مجرورة، وعلامة جرها الكسرة، وهو مضاف.

٤ـ ﴿العالمينِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

٥ـ ﴿الرحمنِ﴾: صفة ثانية لاسم الجلالة مجرورة وعلامة جرها الكسرة الظاهرة.

٦ـ ﴿الرحيمِ﴾: صفة ثالثة لاسم الجلالة مجرورة وعلامة جرها الكسرة الظاهرة.

---

(١) الرازي، فخر الدين (ت٦٠٤هـ)، تفسير مفاتيح الغيب، مصدر سابق: ١ : ١٤٦.

(٢) القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع، مصدر سابق: ١ : ٣٤.

(٣) الأندلسي، عثمان بن سعيد (ت٤٤٤هـ)، التيسير في القراءات السبع، مصدر سابق: ١٦٩.

٧ـ ﴿مالكِ﴾: صفة رابعة لاسم الجلالة مجرورة وعلامة جرها الكسرة، وهي مضاف.

٨ـ ﴿يومِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وهو مضاف.

٩ـ ﴿الدينِ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

١٠ـ ﴿إياكَ﴾: إيا ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم، والكاف حرف خطاب مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

١١ـ ﴿نعبدُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (نحن)، والجملة إما أن تكون في محل نصب حال، أو مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

١٢ـ ﴿وإياكَ﴾: الواو حرف عطف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، إيا: ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم، والكاف حرف خطاب مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

١٣ـ ﴿نستعينُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (نحن). وجملة إياك نستعين معطوفة على الجملة السابقة، فتأخذ حكمها.

١٤ـ ﴿اهدِنا﴾: (اهدِ) فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (أنت)، (نا) :ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول.

١٥ـ ﴿الصراطَ﴾: مفعول به ثانٍ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

١٦ـ ﴿المستقيمَ﴾: نعت منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

١٧ـ ﴿صراطَ﴾: بدل كل من كل من الصراط منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو مضاف.

١٨ـ ﴿الذينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه.

١٩ـ ﴿أنعمْتَ﴾: فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بتاء الفاعل، والتاء: ضمير متصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل. وجملة أنعمت صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

٢٠ـ ﴿عليهم﴾: (علىٰ) حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب، والضمير (هم): ضمير متصل مبني علىٰ السكون في محل جر بحرف الجر، وشبه الجملة متعلق بالفعل أنعم.

٢١ـ ﴿غيرِ﴾: بدل من الضمير (هم) أو من (الذين) أو نعت (للذين) مجرور وعلامة جره الكسرة، وهو مضاف.

٢٢ـ ﴿المغضوبِ﴾: مضاف إليه مجرور و علامة جره الكسرة الظاهرة.

٢٣ـ ﴿عليهم﴾: (علىٰ) حرف جر مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب، والضمير (هم): ضمير متصل مبني علىٰ السكون في محل جر بحرف الجر، وشبه الجملة متعلق باسم المفعول (المغضوب).

٢٤ـ ﴿ولا﴾: الواو حرف عطف مبني علىٰ الفتح لا محل له من الإعراب، (لا): حرف زائد لتأكيد معنىٰ النفي مبني علىٰ السكون لا محل له من الإعراب.

٢٥ـ ﴿الضالين﴾: معطوف علىٰ (المغضوب) مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم.

الخطوة الثامنة: سبب النزول:

لقد أشارت المصادر إلىٰ اسباب لنزول سورة الفاتحة منها:

ما رواه الواحدي في كتابه انه قد وردَ عن عمرو بن شرحبيل: «أنَّ رسول اللهّ صلَّىٰ اللهَّ عليهِ وآله وسلَّم كان إذا برز سمعَ مناديًا ينادي يا محمَّدُ، فإذا سمعَ الصّوتَ انطلقَ هاربًا، فقال له ورقةُ بن نوفلٍ: إذا سمعتَ النِّداءَ فاثبُتْ حتَّىٰ تسمعَ ما يقولُ لكَ، فلمَّا برزَ سمعَ النِّداءَ فقالَ: لبَّيكَ، قال: قُلْ أَشهدُ أَن لا إلهَ إلَّا اللهَّ وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهَّ، ثُمَّ قُلْ الحمدُ للهَّ ربّ العالمينَ الرَّحمنِ الرَّحيمِ حتَّىٰ فرغَ من فاتحةِ الكتابِ»[1].

كما وقد وردت أحاديث أخرىٰ عن سبب نزول سورة الفاتحة، وهذه الأسباب مذكورة في كتب أسباب النزول.

---

(١) الواحدي، أسباب النزول، مصدر سابق: ١ : ١٢.

لقد ذكرنا بأنه ليس كل السور والآيات كان لها سبب نزول، كما وان المدونات لم تحتفظ بكل ما ورد عن أسباب النزول المذكور، وهذا مهم، ولا بدّ من التنبه له.

الخطوة التاسعة: معاني الألفاظ:

١ـ الحمد: الثناء والشكر.

٢ـ لله: يقال: أصله (إله) حذفت الهمزة، وعوض بـ(ال) التعريف فصار اللفظ (الله) ويختص بمن حقت له العبادة دون غيره.

٣ـ رب: السيد، والمالك، والمدبر.

٤ـ العالمين: يقال: عالم الإنس، ويقال: كل العوالم.

٥ـ الرحمن: اسم علم يطلق على ذات الله تعالى وحده، ولا يطلق على غيره، ويعني ذو الرحمة العامة التي تشمل المؤمن والكافر، وتعم جميع المخلوقات والموجودات.

٦ـ الرحيم: اسم علم يطلق على الخالق والمخلوق، ويعني الرحمة الخاصة التي تنال العباد الصالحين المطيعين، أو تنال المؤمن فقط.

٧ـ مالك: أي: يا من لك حق الملك، ومن له حق الملكية الحقيقية، وهو الله سبحانه وتعالى.

٨ـ يوم الدين: يوم الحساب، والجزاء، وهو يوم القيامة.

٩ـ إياك نعبد: أي: نعبد إياك يا رب العالمين.

١٠ـ إياك نستعين: أي: نستعين ونتوكل عليك يا رب العالمين.

١١ـ إهدنا: وفقنا للهداية، أي للطريق الصحيح.

١٢ـ الصراط المستقيم: الطريق السوي ذو الاستقامة.

١٣ـ انعمت عليهم: الذين استحقوا نعمة الله تعالى، وهم الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون.

١٤ـ غير المغضوب عليهم: الغضب لغةً الشِدة، ورجل غضوب: شديد الخُلُق، وغضب الله تعالى: عقوبته.

١٥ـ ولا الضالين: من الضلال، وقيل: أصله الهلاك، والمراد هنا: الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق.

الخطوة العاشرة: الأحكام الموجودة في السورة:

إن الحكم يختص بالسورة جميعاً، كونها ومن حيث هي سورة كاملة لها حكمها التشريعي الخاص بها، فإن ما عليه الإمامية هو: «لا تصح الصلاة إلا بفاتحة الكتاب، فهي متعينة للإمام والمنفرد، فقراءة الفاتحة شرط في صحة الصلاة، فمن تركها مع القدرة على قراءتها لم تصح صلاته»[١]. وعلى هذا الرأي علماء المالكية[٢]، وكذلك الشافعية والحنابلة[٣].

إن من أهم الأدلة على وجوبها في الصلاة هو قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[٤].

فكان من الواجب قراءتها في الصلاة، فهي السورة الأساس والأولى التي تقرأ في الصلاة الواجبة، وصلاة القضاء، وفي معظم الصلوات الباقية.

الخطوة الحادي عشر: القصص والأمثال الموجودة في السورة:

لا يوجد في السورة أية قصص، لكن من الممكن استفادة بعض الأمثال القرآنية منها، وهو الطلب بأن يكون الإنسان المؤمن ممن أنعم عليهم، وان لا يكون ممن غضب عليهم، أو ممن هم على ضلال مبين.

الخطوة الثانية عشر: انتظام آيات السورة:

١ـ سورة الحمد هي السورة الأولى في المصحف الشريف.

٢ـ هي من سور المفصل.

---

(١) السيوري، المقداد، كنز العرفان، مصدر سابق: ١ : ٩٧.

(٢) ابن العربي، أبو بكر (ت٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، مصدر سابق: ١ : ١١.

(٣) ظ: القرطبي، شمس الدين الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق: ١ : ١٢٣، وابن رشد، الأندلسي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مصدر سابق: ١ : ١٢٢.

(٤) العاملي، الحر، وسائل الشيعة، مصدر سابق: ٢ : ٧٣٢.

٣ـ كلها محكم.

٤ـ ليس فيها ناسخ أو منسوخ.

٥ـ نزلت لعدة أسباب منها: كونها الأساس في الصلاة.

٦ـ انها نزلت دفعة واحدة.

٧ـ إن سورة الفاتحة هي إحدىٰ سور (خمس) بدئت بـ(الحمد لله)، وهذه السور هي: الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر.

الخطوة الثالثة عشر: اغراض ومقاصد السورة التي عالجتها:

١ـ إن السورة تناولت موضوع الحمد، وان الحمد الحقيقي هو لله تعالىٰ، الذي هو رب العالمين.

٢ـ إن الرب الحقيقي من هو رب العالمين، وهو الله سبحانه وتعالىٰ.

٣ـ إن الله تعالىٰ هو مالك يوم الحساب والجزاء وهو يوم القيامة.

٤ـ لا معبود يستحق العبادة، أو تطلب الاستعانة الحقيقية منه غير الله سبحانه وتعالىٰ.

٥ـ إن طلب الهداية الحقيقية يكون من الله تعالىٰ، وذلك للتوفيق لها أو لما هو أهل للتوفيق.

٦ـ إن طلب الهداية لا بدّ ان يكون علىٰ طريق سهل يسير لا عوج فيه، وهو ما يصطلح عليه قرآنياً بـ(الصراط المستقيم)، أي جادة الصواب.

٧ـ علىٰ ان يكون الطريق المستقيم كطريق من أنعم الله تعالىٰ عليهم من النبيين والشهداء والصالحين.

٨ـ إن يجنبنا الله تعالىٰ طريق من غضب عليهم، أو من ضلوا عن الطريق الصحيح.

الخطوة الرابعة عشر: بيان السورة: التفسير التجزيئي:

إن البيان التفسيري لسورة الفاتحة يقتضي تفسيرها وفق مقاطع كالآتي:

١ـ ﴿الْحَمْدُ﴾: هو ذكر صفات المحمود، والثناء الكامل عليه؛ مع حبه وتعظيمه وإجلاله؛ فإن تجرد عن الحب فهو مدح.

إن معنى الحمد هو الثناء على الجميل من النعمة او غيرها مع المحبة والاجلال، فالحمد ان تذكر محاسن الغير سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة ام على عطائه وتفضله على الآخرين، ولا يكون الحمد الا للحي العاقل.

فقوله تعالى: (الحمد لله) ان الله سبحانه وتعالى حي له الصفات الحسنى والفعل الجميل فحمدناه على صفاته وعلى فعله وانعامه ولو قال المدح لله لم يفد شيئاً من ذلك، فكان اختيار الحمد اولى من اختيار المدح.

٢ـ ﴿لِلَّهِ﴾: اللام للاختصاص وللاستحقاق، والملك، أي: المختص بالحمد الكامل المستحق له، والمالك له هو (الله) جلَّ وعلا، فقوله تعالى: (لِلَّهِ): الله علم على (الرب) تبارك وتعالى ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

٣ـ ﴿رَبِّ﴾: الرَّب في اللغة المعبود والسيد والمالك والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها، تأتي اللفظة لهذه المعاني، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى.

و(الرب) هو المالك والسيد والمربي والمنعم والقيم والمدبر، فإذن رب العالمين هو ربهم ومالكهم وسيدهم ومربيهم والمنعم عليهم هو اولى بالحمد من غيره وذكر (رب العالمين) هي انسب ما يمكن وضعه بعد (الحمد لله).

٤ـ ﴿الْعَالَمِينَ﴾: جمع عالم، وقيل ان اشتقاق العالم من العلامة؛ لأنَّ وجود العالم علامة لا شك فيها على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته متصفًا بصفات الكمال والجلال.

وإن (رب العالمين) يقتضي وجود كل صفات الله تعالى ويشمل كل اسماء الله الحسنى، فهو الخالق المدبر.

و(العالمين) جمع عالم والعالم هو كل موجود سوى الله تعالى والعالم يجمع على العوالم وعلى العالمين لكن اختيار العالمين على العوالم امر بلاغي يعني ذلك ان العالمين خاص للمكلفين

واولي العقل (لا تشمل غير العقلاء) بدليل قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[1].

ومن المؤكد انه ليس نذيرا للبهائم والجماد، وبهذا استدلوا علىٰ ان المقصود بالعالمين اولي العقل واولي العلم او المكلفون.

وإن (العالمين) جمع العالم بكل اصنافه لكن يغلُب العقلاء علىٰ غيرهم فيقال لهم العالمين لا يقال لعالم الحشرات او الجماد او البهائم العالمين وعليه فلا تستعمل كلمة العالمين الا اذا اجتمع العقلاء مع غيرهم وغلبوا.

أما العوالم قد يطلق علىٰ اصناف من الموجودات ليس منهم البشر او العقلاء او المكلفون (تقال للحيوانات والحشرات والجمادات).

٥ـ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: هما وصفان لله تعالىٰ، واسمان من أسمائه الحسنىٰ مشتقان من الرحمة علىٰ وجه المبالغة.

إن (الرَّحْمَنِ): أشد مبالغة من: (الرَّحِيمِ)؛ لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، وقيل: (الرَّحِيمِ) بالمؤمنين في الآخرة ويوم القيامة، وفي الدنيا أيضًا.

إن (الرحمن) علىٰ وزن فعلان، و(الرحيم) علىٰ وزن فعيل، ومن المقرر في علم التصريف في اللغة العربية.

إن الصيغة (فعلان) تمثل الحدوث والتجدد والامتلاء، والاتصاف بالوصف الىٰ حده الاقصىٰ، فيقال غضبان بمعنىٰ امتلأ غضبا.

قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾[2].

لكن الغضب زال.

---

(١) سورة الفرقان، الآية (١).

(٢) سورة طه، الآية (٨٦).

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾[1].

ومثل ذلك عطشان، ريان، جوعان يكون عطشان فيشرب فيذهب العطش.

اما صيغة (فعيل) فهي تدل على الثبوت سواء كان خلقة ويسمى تحول في الصفات مثل طويل، جميل، قبيح، فلا يقال خطيب لمن ألقى خطبة واحدة وانما تقال لمن يمارس الخطابة، وكذلك الفقيه.

لقد جاء سبحانه وتعالى بصفتين تدلان على التجدد والثبوت معا فلو قال الرحمن فقط لتوهم السامع ان هذه الصفة طارئة قد تزول كما يزول الجوع من الجوعان والغضب من الغضبان وغيره، ولو قال رحيم وحدها لفهم منها ان صفة رحيم مع انها ثابتة لكنها ليست بالضرورة على الدوام ظاهرة انما قد تنفك مثلاً عندما يقال فلان كريم فهذا لا يعني انه لا ينفك عن الكرم لحظة واحدة انما الصفة الغالبة عليه هي الكرم.

وجاء سبحانه وتعالى بالصفتين مجتمعتين ليدل على ان صفاته الثابتة والمتجددة هي الرحمة، ويدل على ان رحمته لا تنقطع، وهذا يأتي من باب الاحتياط للمعنى، فقد جاء بالصفتين (الثابتة) و(المتجددة) حتى لا ينفك عن احداهما، إنما هذه الصفات مستمرة ثابتة لا تنفك ألبتة.

٦ـ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: إضافة اسم الفاعل إلى الظرف اتساع وإجراء للظرف مجرى المفعول به، تقديره مالك حكم يوم الدين، وقيل لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكمًا كملكهم في الدنيا.

نعم، هناك قراءة هي: (ملك يوم الدين)، وبعض المفسرين يحاولون تحديد أي القراءتين أولى، وتحديد صفة كل منهما، لكن ليس هناك قراءة أولى من قراءة، فكلتا القراءتين وارد ومعمول به، والمالك من التملك والملك بكسر الميم (بمعنى الذي يملك الملك).

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٥٤).

إن المالك قد يكون ملكاً وقد لا يكون، والملك قد يكون مالكاً وقد لا يكون، المالك يتصرف في ملكه كما لا يتصرف المِلك (بكسر اللام)، والمالك عليه ان يتولى أمر مملوكه من الكسوة والطعام، والمِلك ينظر للحكم والعدل والانصاف، والمالك أوسع لشموله العقلاء وغيرهم، والملك هو المتصرف الاكبر وله الامر والادارة العامة في المصلحة العامة.

٧ـ ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: وهو يوم الجزاء والحساب للخلائق؛ وهو يوم القيامة؛ يدينهم بأعمالهم؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، إلا من عفا عنه، فهو مالك يوم الجزاء.

وذكر (يوم الدين) لعدة أسباب منها: للتذكير بقدرته تعالى، للتذكير بالموت، للتذكير بوجود حساب، للتذكير بوجود جنة ونار.

٨ـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: (إيا): كلمة ضمير خصت بالإضافة إلى المضمر، ويستعمل مقدمًا على الفعل، فيقال: إياك أعني، وإياك أسأل، ولا يستعمل مؤخرًا إلا منفصلاً فيقال: ما عنيت إلا إيَّاك.

وقوله: (نَعْبُدُ): أي نخلص العبادة لك، ونوحدك بدعائنا وسؤالنا واستغاثتنا وخوفنا ورجائنا ومحبتنا واستعاذتنا واستعانتنا وذبحنا ونذرنا وركوعنا وسجودنا، وكل ما تحبه وترضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، نخلصه لك وحدك سبحانك ولا نشرك بذلك أحدًا.

٩ـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أي: نطلب منك المعونة على عبادتك، وعلى جميع أمور ديننا ودنيانا، متوكلين عليك وحدك متبرئين من الحول والقوة إلاَّ بك؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

إن (وَإِيَّاكَ) وتكريره: للاهتمام والحصر؛ أي: لا نعبد إلا إيَّاك، ولا نتوكل إلا عليك، وهو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين.

لقد قدم المفعولين (لنعبد) و(نستعين) وهذا التقديم للاختصاص لأنه سبحانه وتعالى وحده له العبادة لذا لم يقل نعبدك ونستعينك لانها لا تدل على التخصيص بالعبادة لله تعالى، اما قول اياك نعبد فتعني تخصيص العبادة لله سبحانه وتعالى وحده، وكذلك في الاستعانة (اياك نستعين).

لقد اطلق سبحانه وتعالىٰ فعل الاستعانة ولم يحدد نستعين علىٰ شيء او نستعين علىٰ طاعة او غيره انما اطلقها لتشمل كل شيء وليست محددة بأمر واحد من امور الدنيا، وتشمل كل شيء يريد الانسان ان يستعين بربه لان الاستعانة غير مقيدة بأمر محدد.

لقد عبر سبحانه عن الاستعانة والعبادة بلفظ ضمير الجمع (نعبد ونستعين) وليس بالتعبير المفرد أعبد وأستعين وفي هذا اشارة الىٰ أهمية الجماعة في الاسلام، لذا لزم قراءة هذه السورة في الصلاة، ولزم ان صلاة الجماعة افضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة، وفيها دليل علىٰ اهمية الجماعة في الاسلام كالحج وصلاة الجماعة، والزكاة، والجهاد، والاعياد، والصيام، اضافة الىٰ ان المؤمنين اخوة فلو قال (إياك اعبد) لأغفل عبادة اخوته المؤمنين، لكن عندما نقول (إياك نعبد) نذكر كل المؤمنين ويدخل القائل في زمرة المؤمنين أيضاً.

١٠ـ **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**: إن الهداية علىٰ نوعين:

النوع الأول: هداية الدلالة والإرشاد والبيان، وضده الضلال: منها:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣].

فهذا النوع من الهداية يختص بالدلالة، والإرشاد، والبيان، ومن تحصل له ذلك فقد تجنب الضلال، وتهيأ للسير علىٰ وفق الصراط المستقيم.

النوع الثاني: هداية التوفيق والإلهام والتثبيت وضدها الغي: منها:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾[٤].

فهذه هي هداية التوفيق والإلهام.

---

(١) سورة فصلت، الآية (١٧).

(٢) سورة البلد، الآية (١٠).

(٣) سورة الشورىٰ، الآية (٥٢).

(٤) سورة الأنعام، الآية (١٢٥).

إن قوله تعالىٰ: (اهْدِنَا): بمعنىٰ الهدايتين أي دلنا وأرشدنا وثبتنا، ووفقنا وارزقنا وأعطنا، وهذا معنىٰ ألهمنا، وهذا دعاء من المؤمنين مع كونهم علىٰ الهداية فهو أيضًا طلب مزيد من الهداية وتثبيت عليها؛ لأنَّ مذهب أهل السنة والجماعة أنَّ الإيمان يزيد وينقص.

إن (الصِّرَاطَ): أصله في اللغة الطريق الواضح، فالصراط هو الإسلام والقرآن والرسول؛ لأن من اتبع الإسلام اتبع القرآن والرسول، ومن اتبع القرآن اتبع الإسلام والرسول، ومن اتبع الرسول اتبع الإسلام والقرآن الكريم.

إن الصراط هو: «الطريقُ المستقيم...»[1].

أما السراط فهو: «الطريق المُستسهل، أصله من: سَرَطْتُ الطعام وَزَرَدْتُه: ابتلعته، فقيل: سِرَاطٌ، تصوراً أنه يبتلعه سالكهُ، أو يَبتلعُ سالِكهُ...»[2].

ليتبين الفرق ما بين قراءة (الصراط)، وقراءة (السراط)، والأولىٰ هنا قراءة (الصراط) بالصاد.

إن قوله تعالىٰ: (اهدنا الصراط المستقيم) هو دعاء ولا دعاء مفروض علىٰ المسلم قوله قرآنياً مثل هذا الدعاء، فيتوجب علىٰ المسلم قوله عدة مرات في اليوم، وهذا بدوره يدل علىٰ اهمية الطلب وهذا الدعاء، لأن له أثره ظاهرٌ واضحٌ في الدنيا والآخرة، ويدل علىٰ ان الإنسان لا يمكن ان يهتدي للصراط المستقيم بنفسه الا إذا هداه الله سبحانه وتعالىٰ لذلك.

فإذا ترك الناس الأمر لأنفسهم، لذهب كلٌ الىٰ مذهبه، ولم يهتدوا الىٰ الصراط المستقيم، وبما ان هذا الدعاء في سورة (الفاتحة)، ولا صلاة بدون (فاتحة)، فلذا وجب وتحتم الدعاء به في الصلاة.

١١ـ ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾: الذي لا عوج فيه ولا انحراف، والمراد أنه استقام علىٰ الحق وإلىٰ غاية الفلاح وإلىٰ دخول الجنة.

---

(١) الاصفهاني، الراغب، المفردات، مصدر سابق: ٤٨٣.

(٢) الاصفهاني، الراغب، المفردات، مصدر سابق: ٤٠٧.

١٢ـ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: مفسر للصراط المستقيم، وهو بدل منه عند النحاة، ويجوز أن يكون عطف بيان.

وفي قوله تعالىٰ: (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) دليل علىٰ أنَّ الهداية إلىٰ الصراط المستقيم نعمة من الله سبحانه وتعالىٰ ومن فضله علىٰ عباده.

إن الذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء المباركة وهي:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[١].

إذن فإن من أنعم الله تعالىٰ عليهم هم: النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون.

١٣ـ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: أي من غضب الله عليهم، وهم فئات كثيرة، يمكن ان نستخرجهم من القرآن الكريم، فكل من غضب الله تعالىٰ عليه، وكان محلاً لغضبه يدخل في ذلك من دون شك.

ومن الآيات التي تذكر اصنافاً من المغضوب عليهم هي:

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهَّ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾[٣].

إن هاتين الآيتان ما هما إلا مثالان لمن هو محل الغضب الإلهي، وإلا فإن اليهود ـ علىٰ سبيل المثال ـ فرد من أفراد المغضوب عليهم لا مطلقاً، وبسبب عصيانهم، وعنادهم، والخطاب هو للعاصين منهم فقط دون المهتدين.

إن آيات القرآن الكريم تذكر صنوفاً وصفات تكون محل للغضب، وهي أعم من صنف خاص أو صفة خاصة، فالشيطان مغضوب عليه، والكافر مغضوب عليه، والقاتل

---

(١) سورة النساء، الآية (٦٩).

(٢) سور النحل، الآية (١٠٦).

(٣) سورة طه، الآية (٨١).

مغضوب عليه، وآكل مال اليتيم ظلماً مغضوب عليه، والذي يرمي المحصنات مغضوب عليه، والزاني مغضوب عليه، وهكذا.

١٤ـ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: أي: من ضل عن سبيل الله تعالىٰ، فإن استعرضنا آيات القرآن الكريم، وبحثنا عن كل ضال، أو عن كل من كان محلاً للضلالة، فإنه هو المراد هنا في هذه الآية المباركة، وليس فرداً واحداً خاصاً فقط.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[2].

إن هاتين الآيتان المباركتان ما هما إلا مثالان علىٰ من هو محل للضلال، وإلا فإن هناك صنوفاً وصفات كانت محل للضلال ولعدم الهداية، أعم من ان يكونوا صنفاً واحداً بعينه.

نعم، لقد جيء بكل منهما اسماً (المغضوب عليهم) و(الضالين) للدلالة علىٰ الثبوت، فالغضب عليهم ثابت والضلال فيهم ثابت، لا يرجىٰ فيهم خير ولا هدىٰ.

لم يقل صراط الذين غضب عليهم وضلوا، وإنما المغضوب عليهم ولا الضالين، فجاء بالوصفين بالإسمية للدلالة علىٰ ثبوت هذين الوصفين فيهما.

يبقىٰ السؤال: لماذا جاء المغضوب عليهم اسم مفعول ولم يقل غاضب اسم فاعل؟

الجواب: إن (مغضوب عليهم) اسم مفعول، يعني وقع عليهم الغضب لم يذكر الجهة التي غضبت عليهم ليعم الغضب عليهم من جميع الجهات، من غضب الله وغضب الغاضبين لله من الملائكة وغيرهم، ولا يتخصص بغاضب معين.

أي: ليس غضب عليهم فلان أو فلان فقط، وإنما مغضوب عليهم من كل الجهات، ومن كل المخلوقات، بل من أقرب الناس لهم، فهؤلاء سيغضب عليهم أخلص أصدقائهم في الآخرة.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٨).

(٢) سورة النساء، الآية (١١٦).

١٤ـ توضيح مجمل للسورة المباركة:

إن سورة الفاتحة المباركة قد تعرضت لأهمية الحمد لله تعالى، وانه تعالى هو المستحق للحمد، والشكر، والثناء، ولا يستحق احد غيره ـ استحقاقاً حقيقياً ـ ان يكون له الحمد.

إن بداية السورة هو: (الحمد لله رب العالمين) وهذه أول كلمات المصحف، يقابلها آخر كلمات سورة الناس وهو: (من الجنة والناس).

لقد ابتدأ تعالى بالعالمين وختم بالجنة والناس بمعنى أن هذا الكتاب فيه الهداية للعالمين وكل مخلوقات الله تعالى من الجنة والناس وليس للبشر وحدهم او للمسلمين فقط دون سواهم.

كما وان أحكام التجويد (القراءة) في سورة الفاتحة جاءت ميسرة وليس فيها أياً من الأحكام الصعبة وهذا لتيسير تلاوتها وحفظها من كل الناس عرباً كانوا او عجماً.

وإن الله سبحانه وتعالى هو (الرحمن الرحيم) وهو (مالك يوم الدين) وعلينا أن نحذر عذابه يوم القيامة ويوم الحساب.

وإن الناس ـ جميعاً ـ هم بحاجة الى معونة الله تعالى لعبادته فلولا معونته سبحانه ما عبدناه (إياك نعبد وإياك نستعين) حق عبادته.

ونحن ندعو الله تعالى للهداية إلى الصراط المستقيم (اهدنا الصراط المستقيم) وهذا الصراط المستقيم ما هو إلا صراط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وصراط الأئمة المعصومين المقربين عليهم السلام، وصراط النبيين، والشهداء، والصالحين (صراط الذين أنعمت عليهم) وندعوه أن يبعدنا تعالى عن صراط (المغضوب عليهم) و(الضالين)، من الفئات التي كانت محلاً للغضب، ومحلاً للضلال.

الخطوة الخامسة عشر: النتائج المستفادة:

١ـ إن المستحق لجميع أنواع المحامد هو الله سبحانه وتعالى؛ لما اتصف به من المحاسن الكاملة والإحسان العام، فهو تعالى الكامل المطلق.

٢ـ إن الثناء لا يكون حمدًا حتى يكون بحب وإجلال وتعظيم؛ وإلا يكون مدحًا لا حمدًا.

٣ـ إن الحمد يكون على الصفات المتعدية واللازمة، والشكر لا يكون إلا على الصفات المتعدية.

٤ـ إن سورة الفاتحة تحتوي على العقيدة، والعبادة، ومنج للحياة:

أ ـ العقيدة: (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين).

ب ـ العبادة: (إياك نعبد وإياك نستعين).

جـ ـ منهج الحياة: (إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضآلين).

٥ـ تذكر سورة الفاتحة بأساسيات الدين والتي منها:

أ ـ شكر نعم الله (الحمد لله).

ب ـ الاخلاص لله (إياك نعبد واياك نستعين).

جـ ـ الصحبة الصالحة (صراط الذين أنعمت عليهم).

د ـ تذكر أسماء الله الحسنى وصفاته (الرحمن الرحيم).

هـ ـ الاستقامة (إهدنا الصراط المستقيم).

و ـ الآخرة (مالك يوم الدين) ويوم الدين هو يوم الحساب.

تفسير سورة العلق المباركة

****

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَه (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾.

****

خطوات تفسير سورة العلق المباركة

****

خطوات التفسير:

الخطوة الأولى: سورة العلق هل هي مكية أم مدنية:

إن سورة العلق هي سورة مكية بإجماع علماء التفسير، فقد نزلت في مكة أول البعثة المباركة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فهي من أوائل السور والآيات النازلة عليه[1].

الخطوة الثانية: عدد آيات السورة والاختلاف في ذلك ان وجد:

وعددها: عشرون آية حجازي، وتسع عشرة عراقي، وثمانية عشر شامي.

اختلافها: آيتان (الذي ينهى) غير الشامي، و (لئن لم ينته) حجازي[1].

---

(١) ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان، مصدر سابق: ٢٠: ٣٢٢.

إن ترتيب سورة العلق في المصحف الحالي هو (٩٦)، وألفاظها (٧٢)، وترتيب نزولها بحسب المشهور هو الأول.

الخطوة الثالثة: اسم السورة القرآنية:

عرفت سورة العلق بجملة أسماء منها:

١ـ اقرأ باسم ربك: وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم؛ لتقدم قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) في أولها، وقد اشتهرت بهذا الاسم في عصر الصدر الأول، أيام الصحابة والتابعين[٢].

٢ـ العلق: لوقوع لفظ (علق) في أوائلها، وقد سماها أكثر المفسرين بهذا الاسم، وهو المشهور من اسمها[٣].

٣ـ اقرأ: وسميت بذلك لافتتاحها بكلمة (اقرأ)، وعلى هذا القول جملة من علماء التفسير كـ: ابن كثير[٤]، وأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني[٥]، والماتريدي[٦].

٤ـ القلم: لورود ذكر اسم (القلم) في قوله تعالى: (الذي علم بالقلم)، وهذا الاسم سيلتبس بسورة (القلم)، ومن اطلق عليها هذا الاسم هو ابن حزم في كتابه: (الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم)[٧].

الخطوة الرابعة: فضلها:

عن أُبي بن كعب عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأها فكأنما قرأ المفصل كله»[٨].

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠ : ٧٧٧.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: ٣٠: ٤٣٣.

(٣) ابن الجوزي، ابو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، مصدر سابق: ٤: ٤٦٦.

(٤) ابن كثير، ابو الفداء، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق: ٨: ٤٣٦.

(٥) الكوراني، شهاب الدين، غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، مصدر سابق: ٤١٣.

(٦) الماتريدي، ابو منصور، تأويلات أهل السنة، مصدر سابق: ١٠: ٥٧٥.

(٧) ابن حزم، ابو محمد، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، مصدر سابق: ١: ٦٦.

(٨) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠: ٧٧٨.

وعن محمد بن حسان عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: «من قرأ في يومه أو في ليلته اقرأ باسم ربك ثم مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً، وبعثه الله شهيداً واحياه كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

الخطوة الخامسة: الاختلاف في القراءات وبيان العلل:

١ـ لفظ (اقرأ)، وقد قرأه أبو جعفر المخزومي المدني القارئ (ت١٣٠هـ) (اقرآ) أي بأبدال الهمزة فيه حرف مد بحسب ما قبله[2]. وقد قرأ حمزة الكوفي القارئ (ت١٦٥هـ)، و هشام بن عمار الدمشقي القارئ (ت٢٤٥هـ) (اقرأ) وقفاً[3]. وقرأ عاصم بن أبي النجود الكوفي القارئ (ت١٢٠هـ)، وشعبة بن عياش الكوفي القارئ (ت١٩٣هـ) (اقْرَ)[4].

٢ـ لفظا (أن رآه)، وقد قرأهما ابن كثير (أن رَّأه) بغير الألف بعد الهمزة على وزن (رَعَه)[5]. وقرأ ابن عامر اليحصبي القارئ (ت١١٨هـ) وعاصم وحمزة والكسائي (ت١٨٩هـ) (أن رِءاه) بكسر الراء ومد الهمزة مفتوحةً على وزن (رِعاه)[6].

الخطوة السادسة: هل في السورة ألفاظ غير عربية والآراء في ذلك:

لا يوجد في السورة أي لفظة غير عربية، بل الألفاظ عربية خالصة (عربي مبين)، ولن يؤثر في عربيتها سؤال العربي عنها، وذلك لأنها غائبة عنه، أو لم يسمع بها، أو انها جديدة عليه.

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠: ٧٧٨.

(٢) ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي (ت٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، مصدر سابق: ١ : ٣٩٠.

(٣) البنا، أحمد بن محمد (ت١١١٧هـ)، اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشرة، مصدر سابق: ٢ : ٦١٩.

(٤) الغرناطي، أبو حيان (ت٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، مصدر سابق: ٨ : ٤٩٢.

(٥) البغدادي، ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، السبعة في القراءات، مصدر سابق: ٦٩٢.

(٦) القيسي، مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مصدر سابق: ٣٨٣.

نعم، هناك من يسأل عن (العلق)، وعن (السفع) وما شاكلهما من ألفاظ، وهي عربية غائبة عمن اختلط لسانه مع غير العربية من الألفاظ والتعاملات، ويحتاج حينها إلى القاموس أو المعجم ليعرف المراد من كل لفظ.

الخطوة السابعة: إعراب السورة:

١ـ ﴿اقْرَأْ﴾: فعل أمر، مبني على السكون الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر وجوباً، تقديره: (أنت).

٢ـ ﴿بِاسْمِ﴾: الباء: حرف جرّ، مبني على الكسر، اسم: اسم مجرور بالباء، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف حال من فاعل (اقرأ)، وهو مضاف.

٣ـ ﴿رَبِّكَ﴾: ربّ: مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والكاف ضمير متّصل، مبني على الفتح، واقع في محلّ جرّ بالإضافة.

٤ـ ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول، مبني على السكون، واقع في محلّ جرّ صفة لـ (ربّك).

٥ـ ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، مبني على الفتح الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو)، والجملة صلة الموصول، لا محلّ لها من الإعراب.

٦ـ ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، مبني على الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مؤكّد للفعل الأوّل من قبيل تأكيد الصلة وحدها، أو بدل منه، أو تفسير له عن طريق ذكر المفعول به (الإنسان)، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو).

٧ـ ﴿الْإِنسَانَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

٨ـ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ، مبني على السكون.

٩ـ ﴿عَلَقٍ﴾: اسم مجرور بـ (من)، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل (خلق).

١٠ـ ﴿اقْرَأْ﴾: فعل أمر، مبني على السكون الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر وجوباً، تقديره: (أنت).

١١ـ ﴿وَرَبُّكَ﴾: الواو حاليّة، حرف مبني على الفتح، ربّك: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والكاف ضمير متّصل، مبني على الفتح، واقع في محلّ جرّ بالإضافة.

١٢ـ ﴿الْأَكْرَمُ﴾: خبر مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره، والجملة الاسميّة واقعة في محلّ نصب حال.

١٣ـ ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول، مبني على السكون، واقع في محلّ رفع خبر ثان للمبتدأ (ربّك). وفي وجه إعرابي آخر: اسم موصول، مبني على السكون، واقع في محلّ رفع صفة للخبر (الأكرم).

١٤ـ ﴿عَلَّمَ﴾: فعل ماض، مبني على الفتحة الظاهرة على آخره. والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو)، والجملة صلة الموصول، لا محلّ لها من الإعراب.

١٥ـ ﴿بِالْقَلَمِ﴾: الباء حرف جرّ، مبني على الكسر، القلم: اسم مجرور بالباء، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل (علّم).

١٦ـ ﴿عَلَّمَ﴾: فعل ماض، مبني على الفتحة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو).

١٧ـ ﴿الْإِنسَانَ﴾: مفعول به أوّل، منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

١٨ـ ﴿مَا﴾: اسم موصول، مبني على السكون، واقع في محلّ نصب مفعول به ثانٍ.

١٩ـ ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وجزم وقلب، مبني على السكون.

٢٠ـ ﴿يَعْلَمْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه السكون الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو)، والجملة صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب.

٢١ـ ﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر، مبني على السكون.

٢٢ـ ﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب، مبني على الفتح.

٢٣ـ ﴿الْإِنسَانَ﴾: اسم (إنّ) منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

٢٤ـ ﴿لَيَطْغَى﴾: اللام المزحلقة، حرف مبني على الفتح، يطغى: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على الألف للتعذّر، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو)، والجملة الفعليّة واقعة في محلّ رفع خبر (إنّ).

٢٥ـ ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب، مبني على السكون.

٢٦ـ ﴿رَّآهُ﴾: رأى: فعل ماض، مبني على الفتحة المقدّرة على الألف للتعذّر، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو)، والمصدر المؤوّل من (أن) والفعل، واقع في محل جرّ بحرف جرّ مقدّر (لرؤياه)، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل (يطغى)، والهاء ضمير متّصل، مبني على السكون، واقع في محلّ نصب مفعول به أوّل.

٢٧ـ ﴿اسْتَغْنَى﴾: فعل ماض، مبني على الفتحة المقدّرة على الألف للتعذّر، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو)، والجملة الفعليّة واقعة في محلّ نصب مفعول به ثان للفعل (رأى).

٢٨ـ ﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب، مبني على السكون.

٢٩ـ ﴿إِلَى﴾: حرف جرّ، مبني على السكون.

٣٠ـ ﴿رَبِّكَ﴾: ربّ: اسم مجرور بـ (إلى)، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم لـ (إنّ)، وهو مضاف. والكاف ضمير متّصل، مبني على الفتح، واقع في محلّ جرّ بالإضافة.

٣١ـ ﴿الرُّجْعَى﴾: اسم (إنّ) مؤخّر منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة على الألف للتعذّر.

٣٢ـ ﴿أَرَأَيْتَ﴾: الهمزة حرف استفهام، مبني على الفتح، رأيت: فعل ماض، مبني على السكون، لاتّصاله بتاء الضمير، والتاء ضمير متّصل، مبني على الفتح، واقع في محلّ رفع فاعل.

٣٣ـ ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول، مبني على السكون، واقع في محلّ نصب مفعول به أوّل للفعل في (رأيتَ)، وهو بمعنى (أخبِرْني) الذي يتعدّى إلى مفعولين، والمفعول الثاني محذوف (يستدلّ عليه من الآية القادمة: ألم يعلم أنّ الله يرى).

٣٤ـ ﴿يَنْهَى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على الألف للتعذّر، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو)، والجملة صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب.

٣٥ـ ﴿عَبْدًا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

٣٦ـ ﴿إِذَا﴾: مفعول فيه، ظرف زمان، مبني على السكون، واقع في محل نصب متعلّق بالفعل (ينهى)، وهو مضاف.

٣٧ـ ﴿صَلَّى﴾: فعل ماض، مبني على الفتحة المقدّرة على الألف للتعذّر، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو)، والجملة واقعة في محلّ جرّ بالإضافة.

٣٨ـ ﴿أَرَأَيْتَ﴾: الهمزة حرف استفهام، مبني على الفتح، رأيت: فعل ماض، مبني على السكون، لاتّصاله بتاء الضمير، والتاء ضمير متّصل، مبني على الفتح، واقع في محلّ رفع فاعل.

٣٩ـ ﴿إِن﴾: حرف شرط، مبني على السكون.

٤٠ـ ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، مبني على الفتح، في محلّ جزم فعل الشرط، واسم (كان) ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو).

٤١ـ ﴿عَلَى﴾: حرف جرّ، مبني على السكون.

٤٢ـ ﴿الْهُدَى﴾: اسم مجرور بـ(على)، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر (كان)، وجواب الشرط محذوف.

٤٣ـ ﴿أَوْ﴾: حرف عطف، مبني على السكون.

٤٤ـ ﴿أَمَرَ﴾: فعل ماض، مبني على الفتحة الظاهرة على آخره، وهو معطوف على (كان)، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو).

٤٥ـ ﴿بِالتَّقْوَى﴾: الباء: حرف جرّ، مبني على الكسر، التقوى: اسم مجرور بالباء، وعلامة جرّه الكسرة المقدّرة على الألف للتعذّر، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل (أمر).

٤٦ـ ﴿أَرَأَيْتَ﴾: الهمزة حرف استفهام، مبني على الفتح، رأيت: فعل ماض، مبني على السكون، لاتّصاله بتاء الضمير، والتاء ضمير متّصل، مبني على الفتح، واقع في محلّ رفع فاعل، والمفعول الأوّل محذوف، دلّ عليه (الذي ينهى)، والمفعول الثاني آية (ألم يعلم) الآتية.

٤٧ـ ﴿إِن﴾: حرف شرط، مبني على السكون.

٤٨ـ ﴿كَذَّبَ﴾: فعل ماض، مبني على الفتحة الظاهرة على آخره، وهو في محلّ جزم فعل الشرط، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو).

٤٩ـ ﴿وَتَوَلَّى﴾: الواو عاطفة، تولّى: فعل ماض، مبني على الفتحة المقدّرة على الألف للتعذّر، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو).

٥٠ـ ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة حرف استفهام، مبني على الفتح، لم: حرف نفي وجزم وقلب، مبني على السكون.

٥١ـ ﴿يَعْلَمْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه السكون الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو)، والجملة الفعليّة واقعة في محلّ نصب مفعول به ثان لـ(رأيت).

٥٢ـ ﴿بِأَنَّ﴾: الباء: حرف جرّ زائد، مبني على الكسر، أنّ: حرف توكيد ونصب، مبني على الفتح.

٥٣ـ ﴿اللَّهَ﴾: لفظ الجلالة، اسم (أنّ) منصوب، وعلامة نصبة الفتحة الظاهرة على آخره.

٥٤ـ ﴿يَرَى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على الألف للتعذّر، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو)، والجملة الفعليّة واقعة في محلّ رفع خبر (أنّ)، والمصدر المؤوّل من (أنّ) واسمها وخبرها واقع في محلّ نصب مفعول به للفعل (يعلم).

٥٥ـ ﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر، مبني على السكون.

٥٦ـ ﴿لَئِن﴾: اللام موطّئة للقسم، حرف مبني على الفتح، إن: حرف شرط، مبني على السكون.

إنّ اللام المقترنة بـ(إن) الشرطيّة، يُقال لها: اللام الموطّئة للقسم، لأنّها توطِّئ الجواب للقسم، أي تمهّد.

٥٧ـ ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي وجزم وقلب، مبني على السكون.

٥٨ـ ﴿يَنتَهِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ(لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلّة، وهو فعل الشرط، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو).

٥٩ـ ﴿لَنَسْفَعًا﴾: اللام واقعة في جواب القسم. نسفع: فعل مضارع مبني على الفتح، لاتّصاله بنون التوكيد الخفيفة، التي قُلبت ألفاً (لنسفَعَنْ)، والفاعل ضمير مستتر وجوباً، تقديره: (نحن)، والجملة جواب القسم، لا محلّ لها من الإعراب.

٦٠ـ ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾: الباء حرف جرّ، مبني على الكسر، الناصية: اسم مجرور بالباء، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، والجارّ والمجرور متعلّقان بالفعل (نسفع).

٦١ـ ﴿نَاصِيَةٍ﴾: بدل من (الناصية)، مجرور، وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره.

٦٢ـ ﴿كَاذِبَةٍ﴾: صفة لـ (ناصية) مجرورة، وعلامة جرّها الكسرة الظاهرة على آخره، لذلك جاز إبدال النكرة (ناصية) من المعرفة (الناصية).

٦٣ـ ﴿خَاطِئَةٍ﴾: صفة ثانية لـ (ناصية)، مجرورة وعلامة جرّها الكسرة الظاهرة على آخره.

٦٤ـ ﴿فَلْيَدْعُ﴾: الفاء استئنافيّة، اللام لام الأمر، يَدْعُ: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف حرف العلّة، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره: (هو).

٦٥ـ ﴿نَادِيَه﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء ضمير متّصل، مبني على الضمّ، واقع في محلّ جرّ بالإضافة.

٦٦ـ ﴿سَنَدْعُ﴾: السين حرف استقبال، مبني على الفتح، ندعُ: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة للثقل على الواو المحذوفة (ندعو)، والفاعل ضمير مستتر وجوباً، تقديره: (نحن).

٦٧ـ ﴿الزَّبَانِيَةَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

٦٨ـ ﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر، مبني على السكون.

٦٩ـ ﴿لَا﴾: حرف نهي، مبني على السكون.

٧٠ـ ﴿تُطِعْهُ﴾: تُطِعْ: فعل مضارع مجزوم بـ (لا)، وعلامة جزمه السكون الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر وجوباً، تقديره: (أنت)، والهاء ضمير متّصل، مبني على الضمّ، واقع في محلّ نصب مفعول به.

٧١ـ ﴿وَاسْجُدْ﴾: الواو عاطفة، اسجد: فعل أمر، مبني على السكون الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر وجوباً، تقديره: (أنت).

٧٢ـ ﴿وَاقْتَرِبْ﴾: الواو عاطفة، اقترب: فعل أمر، مبني على السكون الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر وجوباً، تقديره: (أنت).

الخطوة الثامنة: سبب النزول:

وقد ذُكر ان سبب النزول تعلق بمقطعين من السورة هما:

١ـ المقطع الأول: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾**:

قال الشيخ الطبرسي: «ان هذه السورة أول ما نزل من القرآن، وأول يوم نزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قائم على حراء علمه خمس آيات من أول هذه السورة»[1].

٢ـ المقطع الثاني: **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾**:

قال الشيخ الطبرسي: «ان أبا جهل قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم، قالوا نعم، قال فبالذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، فقيل له ها هو ذلك يصلي، فانطلق ليطأ على رقبته، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقالوا مالك يا أبا الحكم،

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠ : ٧٨٠.

قال ان بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة، وقال نبي الله: والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً، فأنزل الله سبحانه أرأيت الذي ينهى إلى آخر السورة...»[1].

الخطوة التاسعة: معاني الألفاظ:

١ـ اقرأ: أي: أوجد القراءة مبتدئاً أو مستعيناً باسم ربك المتفرد بالخلق، أو استفتح قراءتك باسم ربك، والقراءة نطق بكلام معين مكتوب أو محفوظ على ظهر قلب[2].

٢ـ باسم ربك: أي بذكر اسم ربك، والاسم لغة: مشتق من السمو، أي: الرفعة. واصطلاحاً: الاسم: هو ما دل على الذات[3]، والرب: هو السيد، أو المالك، أو المتصرف، أو المدبر.

٣ـ الذي خلق: أصل الخلق في اللغة: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل سبق ولا ابتداء تقدم.

٤ـ خلق الإنسان: أي: انه تعالى قد خلق الإنسان الذي هو من ذرية آدم عليه السلام.

٥ـ من علق: أي: من الدم، والمراد: من علقة، وقال تعالى: (من علق)، ولم يقل: (من علقة)؛ لأن الإنسان في معنى الجمع، أو رعاية للفاصلة قبله[4]. والعلق: اسم جمع علقة وهي قطعة بقدر الأنملة من الدم الغليظ الجامد الباقي رطباً لم يجف[5].

إن العلق: هو الدم المتجمد، والمراد به ما تستحيل إليه النطفة في الرحم، وهذا إشارة إلى التدبير الإلهي الوارد على الإنسان من حين كان علقة إلى أن يصير إنساناً تامّاً كاملاً.

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠ : ٧٨٢.

(٢) ظ: ابن عاشور، الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: ٣٠: ٤٣٥.

(٣) ظ: الرازي، ابو عبد الله، مختار الصحاح، مصدر سابق: ١: ١٥٥.

(٤) ظ: الفراء، ابو زكريا (ت٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٢١هـ: ٣: ٢٧٨.

(٥) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق: ٣٠: ٤٣٨.

٦ـ **اقرأ وربك الأكرم**: الأكرم: الذي لا يوازيه كريم، ولا يعادله في الكرم نظير. وقد يكون الأكرم بمعنىٰ الكريم، كما جاء الأعز والأطول، بمعنىٰ العزيز والطويل.

والكرم: التفضل بعطاء ما ينفع المعطىٰ، ونعم الله تعالىٰ عظيمة لا تحصىٰ ابتداءً من نعمة الإيجاد، وكيفية الخلق، والإمداد[١].

٧ـ **علم بالقلم**: أي علم الكتابة بالقلم، وهي نعمة عظيمة أكبر من ان تقدر أو ان تحصىٰ.

والقلم: هو شظية من قصب ترقق وتثقف وتبرىٰ لأجل الكتابة، وسمي قلماً لأنه يقلم أي يقطع، ومنه تقليم الظفر[٢]، وقد تطور ليكون الآن غير ما كان سابقاً، إلا ان اسم القلم باقٍ عليه، وهو أداة الكتابة.

٨ـ **إن الإنسان ليطغى**: أي يتجاوز حده ويستكبر علىٰ ربه ويعدو طوره[٣].

٩ـ **استغنى**: أي: إنّ الإنسان يغفل عن ربّه، ويكفر به إذا رأىٰ نفسه مستغنياً، وغير ذي حاجة منه إليه تعالىٰ.

١٠ـ **لنسفعن بالناصية**: أي لنجرن بناصيته إلىٰ النار[٤].

١١ـ **فليدع ناديه**: أي: فليدع أهل ناديه، أي: أهل مجلسه، يعني عشيرته فليستنصر بهم[٥].

١٢ـ **سندع الزبانية**: يعني الملائكة الموكلين بالنار، وهم الملائكة الغلاظ الشداد[٦].

١٣ـ **واسجد واقترب**: أي: أعبد وتقرب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، أو اسجد السجود المعتاد بنية التقرب إلىٰ الله تعالىٰ.

الخطوة العاشرة: الأحكام الموجودة في السورة:

---

(١) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق: ٣٠: ٤٤٠.

(٢) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق: ٣٠: ٤٤١.

(٣) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠: ٧٨٢.

(٤) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠: ٧٨٣.

(٥) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠: ٧٨٣.

(٦) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠: ٧٨٣.

لا يوجد في سورة العلق أحكام تشريعية (فقهية)، وليست هي من سور أو آيات الأحكام، فهي وان تضمنت قضايا ارشادية، إلا ان المراد بالحكم هو (المولوي) فقط، والمفضي إلى حكم تشريعي فقهي.

لكن يمكن أن نؤشر لحكم ورد فيها قد بينه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فيما بعد من خلال الفعل، ألا وهو (السجود)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

إن الحكم هنا هو مشروعية السجود عند قراءة الآية الأخيرة من سورة العلق، بل وكل آيات السجود في القرآن الكريم.

إن المراد بسجدة التلاوة هي: «السجدة التي يسجد فيها قارئ القرآن عند تلاوته لعزائم السجود»[1].

الخطوة الحادي عشر: القصص والأمثال الموجودة في السورة:

١ـ في مجال القصة:

ورد ذكر قصة قيل هي لأبي جهل، وقيل هي للوليد بن المغيرة، ففيها بيان حال من يمنع عن الصلاة، ويكذب، ويتولى.

٢ـ في مجال الأمثال:

أ ـ قوله تعالى (اقرأ باسم ربك):

للتأكيد على أهمية القراءة من جانب، والمعرفة من جانب آخر، وبالتالي المراد هو: معرفة الله تعالى وطاعته.

ب ـ قوله تعالى: (ألم يعلم بأن الله يرى):

للإشارة إلى ان الله تعالى يرى كل شيء، فهو العالم بكل شيء، والقادر، والمسيطر، لذا فإنه يعلم بكل الأفعال والأقوال.

---

(١) الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق ـ سوريا، ط١، ٢٠٠١م: ١٦٥.

الخطوة الثانية عشر: انتظام آيات السورة:

١ـ سورة (العلق) هي السورة السادسة والتسعون في ترتيب المصحف المبارك.

٢ـ هي من سور المفصل[١].

٣ـ كلها محكم[٢].

٤ـ ليس فيها ناسخ أو منسوخ[٣].

٥ـ إن سورة العلق هي أمر للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بتلقّي القرآن بالوحي منه تعالى[٤].

٦ـ وهي أوّل سورة نزلت من القرآن[٥].

٧ـ إن سياق آياتها وبحسب أسباب النزول نزولها على دفعتين، الدفعة الأولى هي الآيات الخمسة الأولى منها، والدفعة الثانية هي باقي الآيات.

الخطوة الثالثة عشر: اغراض ومقاصد السورة التي عالجتها:

١ـ تناولت سورة العلق موضوع بدء نزول الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ـ إن سورة العلق فيها بيان حكمة الله تعالى في خلق الإنسان من ضعف إلى قوة، والإرشاد بما زوده وأمره به من فضيلة وفضل القراءة والكتابة، علمه بالقلم ليميزه على غيره من المخلوقات الأخرى.

٣ـ إن سورة العلق فيها الإخبار عن مدى طغيان الإنسان وتمرده على أوامر الله تعالى، وجحوده نعم الله تعالى عليه، وغفلته عنها رغم كثرتها في حال توافر الثروة والغنى لديه، فقابل النعمة بالجحود، وكان الواجب عليه ان يشكر ربه تعالى على فضله، إلا انه جحد النعمة وتجبر واستكبر.

---

(١) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مصدر سابق: ١: ١٣٩.

(٢) ابن حزم، ابو محمد، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، مصدر سابق: ١: ٦٦.

(٣)ابن حزم، الناسخ والمنسوخ، مصدر سابق: ١: ٦٦.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، مصدر سابق: ٢٠: ٣٢٢.

(٥) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، مصدر سابق: ٢٠: ٣٢٢.

٤ـ إن سورة العلق فيها افتضاح شأن أبي جهل؛ والذي كان ينهىٰ رسول الله ﷺ عن الصلاة، وتوعده بأشد العقاب إن استمر علىٰ ضلاله وكفره وطغيانه.

٥ـ إن سورة العلق فيها تثبيت للنبي الأكرم ﷺ في دعوته، فلا محل للخوف من هذا المتعرض والاستجابة لما يقوله، والاهتمام به، وعليه أن يسجد لله تعالىٰ ويتقرب إليه.

٦ـ بيانٌ بأن الله سبحانه وتعالىٰ يرىٰ، وان التقرب إليه تعالىٰ يتم بالسجود أي: بالعبادة، والطاعة.

الخطوة الرابعة عشر: بيان السورة: التفسير التجزيئي:

إن البيان التفسيري لسورة العلق يقتضي تفسيرها وفق مقاطع كالآتي:

١ـ ﴿اقْرَأْ﴾: إن القراءة: هي ضم الحروف والكلمات بعضها إلىٰ بعض. لذا يقال «قرأت الكتاب إذا جمعت ما فيه من الحروف والكلمات بضم بعضها إلىٰ بعض في الذهن وإن لم تتلفظ بها، ويقال: قرأته إذا جمعت الحروف والكلمات بضم بعضها إلىٰ بعض في التلفظ، ويقال قرأته عليه إذا جمعت بين حروفه وكلماته في سمعه ويطلق عليها بهذا المعنىٰ التلاوة أيضاً... وظاهر إطلاق قوله "اقرأ" المعنىٰ الأول، والمراد به الأمر بتلقي ما يوحيه إليه ملك الوحي من القرآن، فالجملة أمر بقراءة الكتاب»[1].

إن (اقرأ) يراد منها عدة أمور كـ: أكتب، اعلم، أطع، بلغ، وكل ذلك للدلالة علىٰ واجب النبي الأكرم صلىٰ الله عليه وآله وسلم بعد تلقيه الرسالة، وهذا الأمر له هو من الله سبحانه وتعالىٰ، وذلك من أجل التبليغ.

٢ـ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾: نعم «إن قوله "باسم ربك" مفعول "اقرأ" والباء زائدة والتقدير اقرأ اسم ربك أي بسمل»[2]. والبسملة هي القول: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهذا يعني الابتداء والاستعانة به سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، مصدر سابق: ٢٠ : ٣٦١.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، مصدر سابق: ٢٠ : ٣٦٢.

والمراد ابدأ باسم ربك تعالىٰ في كل شيء، وتوكل عليه، واستعن به في كل أمورك، وبالخصوص في تبليغ الرسالة الإلهية، فيكون المراد منها: أبدأ وتوكل علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ في تبليغ الرسالة الإلهية.

٣ـ ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾: إن (العلق) جمع علقة وهي القطعة الجامدة من الدم التي تعلق لرطوبتها بما تمرّ به، فإذا جفت لا تسمىٰ علقة، وهنا اشارة إلىٰ خلق الإنسان من (العلق) أو من (العلقة)، والتي أشار إليها القرآن الكريم أكثر من مرة. فالعَلَقُ: الدم الجامد ومنه: العلقة التي يُكونُ منها الولد[1]. ومنه يكون الخلق الأول، أو منه يكون التكون الأول للجنين في رحم المرأة، وذلك بعد عملية بيولوجية معقدة.

٤ـ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾: إشارة إلىٰ قصر (الربوبية) علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وإن من صفاته تعالىٰ أنه (كريم)، وهي صفة واسم له تعالىٰ، وقوله (الأكرم) إي ان عطاءه تعالىٰ يفوق كل عطاء، ويفوق علىٰ عطاء كل المخلوقين.

فهو تعالىٰ الرب (المدبر) الأكرم، وهو يدبر أمورك في تبليغ الرسالة الإلهية إلىٰ الناس.

٥ـ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾: فـالباء للسببية أي علم القراءة أو الكتابة والقراءة بواسطة القلم والجملة حالية أو استئنافية، والكلام مسوق لتقوية نفس النبي... كأنه قيل: اقرأ كتاب ربك الذي يوحيه إليك ولا تخف، والحال ان ربك الأكرم الذي علم الإنسان القراءة بواسطة القلم الذي يخط به، فهو قادر علىٰ ان يعلمك قراءة كتابه[2]، أو القادر علىٰ التعليم بالقلم، أو القادر علىٰ (التعليم) مطلقاً والقلم دلالة عليه، كما وان العلم نعمة إلهية للبشر من الله تعالىٰ، بل هي من أكبر النعم علىٰ الاطلاق.

فإن الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي علم الإنسان، فكان تعليمه بطرق ووسائط منها القلم علىٰ سبيل المثال، أو المثال الأجلىٰ علىٰ العلم.

---

(١) ظ: الاصفهاني، الراغب، المفردات، مصدر سابق: ٥٧٩.

(٢) ظ: الطباطبائي، تفسير الميزان، مصدر سابق: ٢٠ : ٣٦٢.

٦ـ ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾: وهو تعميم منه سبحانه وتعالىٰ لما ألقاه علىٰ بني الإنسان من نعم كثيرة، وقيل ان المراد به العلم، وقيل أعم من ذلك.

فالمراد هنا هو جنس الإنسان وليس إنسان معين، والتعليم عام ايضاً، والعلم عام كذلك.

فإنه تعالىٰ قد علم الإنسان ما لم يكن يخطر علىٰ باله في زمان سابق، فما كان حلماً في يوم سابق، أصبح واقعاً في يوم لاحق، وما كان مجهولاً في يوم سابق، أصبح معلوماً في يوم لاحق.

٧ـ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾: أي: ان الإنسان يصيبه نوع من الطغيان، و(الطغيان) هو الصعود وتجاوز الحد، وهذا إخبار بما في طبع الإنسان.

فإن من طباع الإنسان ـ وهي كثيرة ـ الطغيان، وذلك بمجرد ان يتوفر له المنصب، أو المال.

٨ـ ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾: من الرأي دون الرؤية البصرية، وفاعل (رآه) ومفعوله الإنسان، وإن جملة (أن رآه استغنىٰ) هي في مقام التعليل، أي ليطغىٰ لأنه يعتقد نفسه مستغنياً عن ربه المنعم عليه فيكفر به، وذلك أنه يشتغل بنفسه والأسباب الظاهرية التي يتوصل بها إلىٰ مقاصده، فيغفل عن ربه من غير أن يرىٰ حاجة منه إليه تبعثه إلىٰ ذكره وشكره علىٰ نعمه فينساه ويطغىٰ[1]. فهو يطغىٰ ان رأىٰ نفسه بحالة غنىٰ في المال وما شاكل ذلك، فيقوده الاستغناء المادي إلىٰ الاستغناء عن الله سبحانه وتعالىٰ، ظناً ان ماله كافٍ أو ان جاهه كافٍ، فيعتقد انه يستطيع ان يشتري كل شيء بماله، حتىٰ الجنة!؟

٩ـ ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾: إن قوله تعالىٰ (الرجعىٰ) من (الرجعي)، والرجعي الرجوع والمرجع واحد، وهو تنبيه أو تهديد أو وعيد بـ(الموت) و(البعث) و(الحساب)، وهو خطاب إلىٰ الإنسان بأن الموت قادم لا محالة، والمرجع (أي الرجوع) إلىٰ الله تعالىٰ لا محالة.

فمهما طال العمر فإن الموت قادم، ومهما كانت الأموال فإن الفناء قادم، ومهما كان المنصب فإن الزوال قادم، وان الرجعىٰ ـ لا محالة ـ إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) ظ: الطباطبائي، الميزان، مصدر سابق: ٢٠ : ٣٦٢.

١٠ـ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾: أي: من ينهىٰ عن فعل الخير، أو من يقوم بالنهي عن الصلاة، إما ان يمنع القيام بها ابتداءً، أو يمنع الآخرين منها وقوعاً، وذلك بأن يشوش عليهم، أو يطردهم وهم يقومون بأفعال الصلاة، ومن قام بذلك بحسب هذه الآية المباركة من سورة العلق هو (أبو الحكم)، والذي أطلق عليه النبي الأكرم صلىٰ الله عليه وآله وسلم والمسلمين كنية (أبو جهل).

١١ـ ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾: إن العبد هنا هو النبي الأكرم صلىٰ الله عليه وآله وسلم، فقد قام (أبو جهل) بفعل المنع، أي منع النبي من الصلاة.

لقد كانت هذه السورة، أو الخمس آيات الأولىٰ منها هو أول ما نزل من القرآن الكريم، وهذا فيه دلالة واضحة علىٰ ان النبي الأكرم كان يصلي قبل أن يبعث نبياً.

١٢ـ ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾: أي المانع: فهل كان من أهل الهدىٰ، أو أمر بالهدىٰ؟ كتساؤل مشروع عن حقيقته وماهيته.

فهل كان أبا جهل علىٰ طريق الهدىٰ، أو هو من أهل الهدىٰ؟

١٣ـ ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾: أي المانع: فهل كان يأمر بالتقوىٰ، أو انه من أهل التقوىٰ؟ فهل كان هو من أهل التقوىٰ كتساؤل ـ كذلك ـ مشروع عن حقيقته وماهيته.

فهل كان أبا جهل علىٰ طريق التقوىٰ، أو هو من أهل التقوىٰ؟

١٤ـ ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾: أي: أخبرني عن هذا الناهي (أبو جهل) والذي تلبس بالتكذيب للحق، والتولي عن الإيمان به، ونهي العبد المصلي عن الصلاة.

فهو قد كذب وفعل الكذب، ثم تولىٰ هارباً مولياً خائفاً، فأين كلامه ووعده ورهانه؟

١٥ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾: المراد هو: أخبرني عن هذا الناهي، إن كان علىٰ الهدىٰ أو أمر بالتقوىٰ، وهو يعلم أن الله يرىٰ ماذا كان يجب عليه أن يفعله ويأمر به؟ وكيف يكون حاله وقد نهىٰ عن عبادة الله سبحانه[1].

---

(١) ظ: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، مصدر سابق: ٢٠ : ٣٦٣.

إن لم يعلم، فليعلم هو وغيره بأن الله سبحانه وتعالىٰ يرىٰ، فهو المطلع علىٰ كل أفعال العباد.

١٦ـ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: و(السفع) الجذب الشديد يقال سفعت بالشيء إذا قبضت عليه وجذبته جذباً شديداً وسفعته النار والشمس إذا غيرت وجهه إلىٰ حال تشويه ومنه الحديث ليصيبن أقواماً سفع من النار؛ أي تشويه خلقة. أوان السفع هو: الضرب، والأخذ[١]. أو الأَخْذُ بِسُفْعَةِ الفَرس، أي: سَوادِ ناصيتِهِ[٢].

و(الناصية) شعر مقدم الرأس سميت بذلك لأنها متصلة بالرأس من قولهم ناصىٰ يناصي مناصاة إذا وصل[٣].

أي: انه لو لم ينته عن ذلك لنضربه علىٰ مقدمة رأسه بسب أفعاله المانعة لرسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، لأنه يمنعه من التبليغ، ومن هداية الناس.

وهذا سيكون يقيناً في الآخرة، يوم القيامة، يوم الحساب، ليحاسب علىٰ أفعاله التي فعلها مع رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

١٧ـ ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾: إن توصيف الناصية بالكذب والخطأ هو توصيف لصاحب الناصية، وهو ـ هنا ـ للردع والتهديد الشديد، والمراد: أقسم لئن لم يكف عن نهيه ولم ينصرف، لنأخذن بناصيته أخذ الذليل المهان، ونجذبه إلىٰ العذاب، تلك الناصية التي صاحبها كاذب فيما يقول، خاطئ فيما يفعل، وقيل: المعنىٰ لنسمن ناصيته بالنار ونسودنها[٤].

١٨ـ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾: والنادي هو المجلس، ويراد به أهل النادي، ثم كثر فسمي كل مجلس نادياً[٥].

---

(١) ظ: عويس، عبد الحليم، مصطلحات علوم القرآن، مصدر سابق: ٢ : ٣١٦.

(٢) ظ: الاصفهاني، الراغب، المفردات، مصدر سابق: ٤١٣.

(٣) ظ: الطبرسي، ابو علي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠ : ٧٧٩.

(٤) ظ: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، مصدر سابق: ٢٠ : ٣٦٣.

(٥) ظ: الطبرسي، ابو علي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠ : ٧٧٩.

إن هذا المكذب ان اراد الاستنصار سيدعو أهل مجلسه، وليدعوهم، فهم حتىٰ اذا نصروه فنصرهم دنيوي.

١٩ـ ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: وواحد الزبانية زبينة والزبن هو الدفع[1]. والزبانية هم الملائكة الموكلون بالنار، وهم الغلاظ الشداد، الذين لا ينفع معهم نصر ناصر، ولا قول قائل، ولا شجاعة شجاع.

بالمقابل ـ مقابل دعوة أهل مجلسه ـ سندعو الزبانية، وذلك يوم القيامة، في النار، ساعتها سيعلم (هو) من المنتصر الحقيقي.

٢٠ـ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾: أي لا تطعه في النهي عن الصلاة، وهنا تكرار للردع، وللمنع، وتأكيد علىٰ عظم ذنب الناهي.

أو لا تطعه مسايرة، ولا تطعه خوفاً، ولا تطعه ردعاً له بتركك صلاتك للكلام معه من أجل ردعه، بل اتركه في غيه وطغيانه.

٢١ـ ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾: إن المراد بالسجود هنا (الصلاة) بسبب القرينة الحالية، وإلا فإن السجود من دون قرينة أعم وأكثر من أن يحصر بمعنىٰ واحد.

قيل ان السجود هو الطاعة، وقيل مطلق العبادة، وقيل القراءة، وقيل عبادة معينة مخصوصة، وقيل التسبيح.

والاقتراب: هو التقرب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وقيل الاقتراب من ثواب الله سبحانه وتعالىٰ.

فالخطاب إلىٰ النبي الأكرم صلىٰ الله عليه وآله وسلم بأن يستمر بالسجود (الصلاة)، والاقتراب (التقرب) إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

وفي ذلك دروس بليغة لنا بأن لا يمنعنا مانع من ذكر الله سبحانه وتعالىٰ والتقرب له عز وجل، وان نُقبل إليه بأجسادنا وأرواحنا، وان نطلب منه العون، حينها سيكون تعالىٰ عوناً

---

(١) ظ: الطبرسي، ابو علي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠: ٧٧٩.

وناصراً لنا، وهو الذي سيمنع عنا كل أنواع البلاء، بشرط ان يكون تقربنا له صادقاً لا تشوبه شائبة.

٢٢ـ توضيح مجمل للسورة المباركة:

إن هذه السورة المباركة ابتدأها الله سبحانه وتعالى بما مَنّ به على رسوله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي، فقال تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، إذ أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن (يقرأ) ما أوحي إليه من دعوة التوحيد ليتعلمها، ثم أمره ثانياً أن يقرأها ليبلغها الناس، وذكر من صفاته تعالى:

أ ـ انه تعالى (خلق) الإنسان من علق.

ب ـ انه سبحانه وتعالى هو (الأكرم) الذي كان من أهم نعمه على الإنسان؛ تعليمه القراءة والكتابة، ليهذب نفسه و(يعلمه ما لم يعلم).

ثم انه تعالى قد سجل على الإنسان أنه لم يقابل نعمه بالشكر، بل أطغاه (الغنى) وأبطره، إلا انه تعالى قد هدده بأن إليه (الرجعى)، ليعاقبه على طغيانه وبطره وجحوده.

كما وقد ذكر سبحانه ان من طغيان الإنسان انه ينهى عن الصلاة إليه، وأنه يكذب ويعرض عن دعوته، وقد هدده تعالى بأنه سيأخذ (بناصيته) إلى النار، وأمره أن يدعو حينئذ أعوانه لنصرته، وأين هم من (الزبانية) الذين سيدعوهم الله تعالى لعذابه.

ثم ختمت السورة بنهي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن طاعة هذا الإنسان، وأمره بالمضي ـ في دعوته، وطلب القرب منه تعالى فقط.

إن هذه السورة المباركة قد تناولت موضوعاً مهماً جداً هو موضوع (الوحي)، وما دار حوله من كلام، وكيفيته، وأنحاءه، وما يترتب على ذلك.

ولما نزل جبرائيل على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ما أنا بقارئ) على الرواية المشهورة في مدرسة العامة، بل كان جواب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «وما

أقرأ»[1]، أي: (ماذا تريد أن أقرأ)، وهذه هي الرواية الأشهر في المدرسة الشيعية الإمامية الاثني عشرية.

الخطوة الخامسة عشر: النتائج المستفادة:

١ـ بيان مسألة الوحي الإلهي، وتوضيح حقيقة النبوة، والتأكيد على أمور مهمة هي:

أ ـ القراءة: فأمة الإسلام كان شعارها القراءة قبل ان يكون عندها وطن، فالقراءة، والعلم أهم من كل شيء، وهي من تبني الوطن.

ب ـ العلم: فالعالم أفضل من الجاهل، والإسلام دين علم، ومعرفة، ووعي.

جـ ـ الوحي: وذلك لتعريف الناس على الطريق الإلهي، طريق الوحي، طريق النبوة، طريق الكتب السماوية.

٢ـ بيان أطوار خلق الإنسان.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[2].

٣ـ التنويه على أهمية الكتابة، والقلم، والعلم، وقد نوهنا لذلك، لكن اعدناه تأكيداً على أهميته.

٤ـ إن الله تعالى هو الذي علم الإنسان ما لم يكن يعلمه.

٥ـ نصرة الله تعالى للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) ظ: العسكري، الإمام الحسن، تفسير الإمام الحسن العسكري: ١٥٧، والمجلسي، البحار: ١٨ : ٢٠٦، والبحراني، تفسير البرهان: ٢ : ٤٧٨.

(٢) سورة الحج، الآية (٥).

٦ـ إن الله تعالى مطلع ويعلم كل شيء.

٧ـ بيان الجزاء في الدنيا والآخرة.

تفسير سورة القدر المباركة

****

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾.

****

خطوات تفسير سورة القدر المباركة

****

خطوات التفسير:

الخطوة الأولى: سورة القدر هل هي مكية أم مدنية:

إن سورة القدر هي مكية وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعطاء[1]، وقال قتادة: مدنية[2].

قيل: ولعل السبب في القول بمكيتها هو القدح بأحد أسباب نزولها القادح ببني أمية.

لقد ذُكرت ثلاثة احتمالات لنزول سورة القدر هي:

١ـ انها نزلت مرتين، الأولى في مكة، والثانية في المدينة المنورة.

٢ـ انها مكية نزولاً، ومدنية تأويلاً.

٣ـ انها مدنية نزولاً وتأويلاً.

وكل واحد من هذه الآراء والاحتمالات كان له مريدوه، وكانت له أدلته عند من تبناه، وكان له وقعه على أتباع كل مدرسة

---

(١) الداني، أبو عمر، البيان في عدّ آي القرآن، مصدر سابق: ٢٨١.

(٢) الداني، أبو عمر، البيان في عدّ آي القرآن، مصدر سابق: ٢٨١.

إن ترتيب سورة القدر في المصحف هو (٩٧)، وترتيب نزولها هو (٢٥)، عدد آياتها (٥)، وعدد كلماتها (٣٠)، وعدد حروفها (١١٢)حرفاً.

الخطوة الثانية: عدد آيات السورة والاختلاف في ذلك ان وجد:

عددها: ست آيات في المكي والشامي، وخمس آيات في عدد باقي المصاحف.

إن اختلافها في: آية (ليلة القدر) الثالث (المقطع الثالث) عدها المكي والشامي، ولم يعدها الباقون.

الخطوة الثالثة: اسم السورة القرآنية:

عرفت سورة القدر بجملة أسماء منها:

١ـ القدر: وهو الاسم الأشهر لها.

٢ـ إنا أنزلناه: وهو مأخوذ من مطلعها.

٣ـ سورة ليلة القدر: في دلالة على ليلة نزول القرآن الكريم.

الخطوة الرابعة: فضلها:

روى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأها أُعطِيَ من الأجر، كمن صام رمضان، وأحيا ليلة القدر»[١].

وروى الحسين بن أبي العلاء، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «من قرأ (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ) في فريضة من الفرائض، نادى مناد: يا عبد الله قد غُفِرَ لك ما مضى، فاستأنف العمل»[٢].

وروى سيف بن عميرة، عن رجل، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «مَنْ قرأ (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ) بجهر، كان كشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سرّاً، كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله، ومن قرأها عشر مرّات، مرّت على نحو ألف ذنب من ذنوبه»[١].

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠: ٤٠٣.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠: ٤٠٣.

وهكذا جملة من الأحاديث والروايات التي بينت فضل سورة القدر المباركة.

الخطوة الخامسة: الاختلاف في القراءات وبيان العلل:

١ـ قوله: (حَتَّىٰ مَطْلَعِ الفَجْرِ):

أ ـ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة: (مَطْلَعِ) بفتح اللام[٢].

ب ـ وقرأ الكسائي: (مَطْلِعِ) بكسر اللام، وكذلك ما ورد عن عبيد عن أبي عمرو[٣].

الخطوة السادسة: هل في السورة ألفاظ غير عربية والآراء في ذلك:

إن سورة القدر المباركة لا تحتوي على أي ألفاظ غريبة، إلا ما دار في تحديد الفرق ما بين (أنزل)، و(تنزل)، وهو ما وقع لمن اختلطت عليهم العربية بغيرها، وكذلك وقع الكلام في المراد بـ(الروح) وما هي؟ وما المراد بها؟

ولقد بينا في طيات تفسير سورة القدر المباركة المراد بـ(أنزل)، و(تنزل)، و(الروح)، وما يتعلق بكل لفظة من مطالب، مع توضيحها، وبيانها، وتفسيرها.

الخطوة السابعة: إعراب السورة:

١ـ ﴿إِنَّا﴾ : إِنَّ :حرفُ توكيد ونصب مبني على الفتح، نَا : ضميرٌ مُتّصل مبني على السّكون في محلّ نصب اسم إِنَّ.

٢ـ ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ : أَنْزَلَ: فعلٌ ماضٍ مبني على السّكون لاتّصاله بنَا، و(نَا) ضميرٌ مُتّصل مبني على السّكون في محلّ رفع فاعل، والهاء :ضميرُ مُتّصلٌ مبني على الضّم في محلّ نصب مفعول به، والجُملة الفعليّة في محلِّ رفع خبر إِنَّ.

٣ـ ﴿فِي﴾ : حرفُ جرٍّ مبني على السّكون

٤ـ ﴿لَيْلَةِ﴾ : اسمٌ مجرور بـ(فِي) وعلامة جرّه الكسرة، وهو مُضاف.

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠: ٤٠٣.

(٢) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، مصدر سابق: ٦٩٣.

(٣) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، مصدر سابق: ٦٩٣.

٥ـ ﴿الْقَدْرِ﴾ : مُضافٌ إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة.

٦ـ ﴿وَمَا﴾ : الواو : حرفُ استئنافٍ مبني على الفتح (مَا): اسمُ استفهامٍ مبني على السّكون في محلٍّ رفع مُبتدأ.

٧ـ ﴿أَدْرَاكَ﴾ : أَدْرَى : فعلٌ ماضٍ مبني على الفتح المُقدّر على الألف الممدودة منع من ظهورها التّعذّر، والفاعل :ضميرٌ مُستتر تقديره (هو)، والكاف : ضميرٌ مُتّصل مبني على الفتح في محلٍّ نصب مفعول به أوّل، والجُملة الفعليّة في محلّ رفع خبر ما.

٨ـ ﴿مَا﴾ : اسمُ استفهامٍ مبني على السّكون في محلٍّ رفع مُبتدأ.

٩ـ ﴿لَيْلَةُ﴾ : خبرٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضّمة، وهو مُضاف.

١٠ـ ﴿الْقَدْرِ﴾ : مُضافٌ إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة، والجُملة الاسميّة في محلّ نصب مفعول به ثانٍ.

١١ـ ﴿لَيْلَةُ﴾ : مُبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضّمة، وهو مُضاف.

١٢ـ ﴿الْقَدْرِ﴾ : مُضافٌ إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة.

١٣ـ ﴿خَيْرٌ﴾ : خبرٌ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضّم.

١٤ـ ﴿مِّنْ﴾ : حرفُ جرٍّ مبني على السّكون.

١٥ـ ﴿أَلْفِ﴾ : اسمٌ مجرور بـ(مِّنْ)، وعلامة جرّه الكسرة، وهو مُضاف.

١٦ـ ﴿شَهْرٍ﴾ : مُضافٌ إليه مجرور وعلامة جرّه تنوين الكسر.

١٧ـ ﴿تَنَزَّلُ﴾ : فعلٌ مُضارعٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضّمة.

١٨ـ ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ : فاعلٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضّمة.

١٩ـ ﴿وَالرُّوحُ﴾ : الواو : حرفُ عطفٍ مبني على الفتح، الرُّوحُ : اسمٌ معطوف مرفوع وعلامة رفعه الضّمة.

٢٠ـ ﴿فِيهَا﴾ : فِي : حرفُ جرٍّ مبني على السّكون، وهَا : ضميرٌ مُتّصلٌ مبني على السّكون في محلّ جرّ بحرف الجر.

٢١ـ ﴿بِإِذْنِ﴾ : الباء : حرفُ جرٍّ مبني على الكسر، إِذْنِ : اسمٌ مجرورٌ بـالباء وعلامة جرّه الكسرة، وهو مُضاف.

٢٢ـ ﴿رَبِّهِم﴾ : رَبِّ : مُضافٌ إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة، وهو مُضاف، هِم : ضميرٌ مُتّصل مبني على السّكون في محلّ جرّ مُضاف إليه.

٢٣ـ ﴿مِّن﴾ :حرفُ جرٍّ مبني على السّكون.

٢٤ـ ﴿كُلِّ﴾ : اسمٌ مجرور بـ(مِّنْ) وعلامة جرّه الكسرة، وهو مُضاف.

٢٥ـ ﴿أَمْرٍ﴾ : مُضافٌ إليه مجرور وعلامة جرّه تنوين الكسر.

٢٦ـ ﴿سَلَامٌ﴾ : خبرٌ مُقدّم مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضّم.

٢٧ـ ﴿هِيَ﴾ : ضميرٌ مُنفصلٌ مبني على الفتح في محلٍّ رفع مُبتدأ مؤخّر.

٢٩ـ ﴿حَتَّى﴾ : حرفُ غاية وجرّ مبني على السّكون.

٣٠ـ ﴿مَطْلَعِ﴾ : اسمٌ مجرور بـ(حَتَّى) وعلامة جرّه الكسرة، وهو مُضاف.

٣١ـ ﴿الْفَجْرِ﴾ : مُضافٌ إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة.

الخطوة الثامنة: سبب النزول:

لقد ذُكر سببان لنزول سورة القدر المباركة هما:

السبب الأول: ذكروا ان لسورة القدر المباركة سبب نزول هو: انه قد ذكر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله تعالى ألف شهرٍ، فتعجب المسلمون من ذلك، فأنزل الله سبحانه وتعالى سورة القدر، في دلالة على مكانة (ليلة القدر) وانها خير من التي لبس فيها السلاح ذلك الرجل[1].

وهو السبب الأشهر في مدارس أهل السنة، وما عليه إجماعهم بخصوص سبب نزولها.

---

(١) الواحدي، أبو الحسن (ت٤٦٨هـ)، أسباب النزول، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ: ٤٦١.

السبب الثاني: عن علي بن إبراهيم القمي قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأن قروداً تصعد منبره فغمّه ذلك، فأنزل الله سبحانه وتعالى سورة القدر[1]، والرواية تبين أن هنالك منبراً ينسب له صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا كافٍ في ثبوت مدنيّتها، إذ لم يكن هنالك منبرٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة، كما أن هنالك تتمة لهذا الخبر، وهو أنه لم ير بعد ضاحكاً حتى رحل إلى ربه صلوات الله وسلامه عليه، لشدة ما أصابه من الغم[2]، وأما في كون مدة حكم بني أمية تعادل ألف شهر، فهذا المسعودي يصرح قائلاً: «كان جميع ملك بني أمية إلى أن بويع أبو العباس السفاح ألف شهر كاملةً لا تزيد ولا تنقص، لأنهم ملكوا تسعين سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً»[3].

وهو السبب الأشهر عند مدرسة الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وما عليه إجماعهم عند تناول سبب نزولها.

الخطوة التاسعة: معاني الألفاظ:

١ـ (أنزلناه): أنزل: النزول في الأصل هو الهبوط من علو، وفي باب الأفعال فإن الإنزال يكون بمعنى الإرسال، أي: أعم من كونه انزلاً مقامياً أو مكانياً، وقيل: أغم من أن يكون تدريجي أو دفعي.

٢ـ (القدر): مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، وهو: مقدار (مقدار معين).

٣ـ (خيرٌ): الشيء الجيد العام والشامل.

٤ـ (تنزل): أي: تتنزل، أي شيئاً فيشيئاً، فوجاً ففوجاً، دفعة فدفعة.

٥ـ (الملائكة): مألك، ومألكة، وألوك: الرسالة، أو الوظيفة، وقيل ان (ملك) بمعنى: التسلط على الشيء.

---

(١) ظ: القمي، تفسير القمي، مصدر سابق: ٢ : ٤٣١.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق: ١٠ : ٢٨٣.

(٣) المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر سابق: ٣ : ٢٥٩.

٦ـ **(الروح)**: قيل: الراحة، وقيل (الملك).

٧ـ **(أمر)**: الطلب، أو الشيء المطلوب (الشيء).

٨ـ **(سلام)**: السلم والسلامة والدعاء.

٩ـ **(مطلع)**: طلوع، شروق، ظهور.

١٠ـ **(الفجر)**: انفجار الظلمة عن الصبح.

الخطوة العاشرة: الأحكام الموجودة في السورة:

إن سورة القدر المباركة لا تحتوي على أحكام مولوية أو تشريعية، وهي ليست من سور الأحكام، وآياتها ليست من آيات الأحكام.

الخطوة الحادية عشر: القصص والأمثال الموجودة في السورة:

إن سورة القدر المباركة لا تحتوي على قصة قرآنية، ولا على مثل قرآني عام، انما هي تصف ليلة القدر بأنها تعادل ألف شهر.

الخطوة الثانية عشر: انتظام آيات السورة:

١ـ سورة القدر هي السورة السابعة والتسعون في ترتيب المصحف المبارك.

٢ـ هي من سور المفصل.

٣ـ كلها محكم.

٤ـ ليس فيها ناسخ أو منسوخ.

٥ـ ان سياق آياتها لا يأبى نزولها دفعة واحدة.

الخطوة الثالثة عشر: اغراض ومقاصد السورة التي عالجتها:

١ـ تناولت سورة القدر مسألة نزول القرآن الكريم.

٢ـ بينت سورة القدر مكانة (ليلة القدر) وانها خير من ألف شهر.

٣ـ انها ليلة (تنزل) الملائكة، والخير، والبركة، وكذلك (تنزل) القرآن الكريم.

٤ـ انها سلام حتى مطلع الفجر، أي: خير، وبركة، إلى ان ينفجر الفجر أي: يطلع.

٥ـ نزول القرآن الكريم دفعة واحدة في ليلة القدر، وعظمة شأن ليلة القدر، وعظمة شأن ما نزل في ليلة القدر، وآثار ليلة القدر وبركاتها، واستمرار نزول الفيض الإلهيّ في ليلة القدر.

٦ـ إن سورة القدر هي السورة القصيرة الوحيدة التي تعرضت لنزول القرآن الكريم.

الخطوة الرابعة عشر: بيان السورة: التفسير التجزيئي:

إن البيان التفسيري لسورة القدر يقتضي تفسيرها وفق مقاطع كالآتي:

١ـ ﴿إِنَّا﴾ : بمعنىٰ نحن، وهي ليست للكثرة بل للعظمة، فلم يقل :أنا أنزلته، إنما قال :إنَّا، فالمولىٰ يتكلم بأسلوب العظمة، ولا أعظم من الله سبحانه وتعالىٰ، فله العظمة كلها، وحتىٰ لا يُفتح باب للشرك، فيتوهم البعض في (إِنَّا) أكثر من واحد، جاء بعدها بصيغة الإفراد في قوله (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ).

٢ـ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ : أي :القرآن العظيم، ولم يقل الله تبارك وتعالىٰ : إنَّا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، إنما قال (:أَنْزَلْنَاهُ)؛ لأن القرآن الكريم ليس في حاجة إلىٰ بيان؛ لأنه أبين من البيان، وأوضح من الشمس في رابعة النهار، هو البحر في عطائه، وهو النهر في صفائه، وهو القمر في بهائه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فـ(أَنْزَلْنَاهُ) هو للقرآن الكريم، وظاهره جملة الكتاب العزيز، لا بعض آياته. ويؤيّد ذلك: التعبير بالإنزال الظاهر في اعتبار الدفعة، دون التنزيل، الظاهر في التدريج. قال تعالىٰ: **﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾**[1].

ظاهره القسم بجملة الكتاب المبين، ثمّ الإخبار عن إنزال ما أُقسِم به جملة واحدة. فمدلول الآيات: أنّ للقرآن الكريم نزولاً جمليّاً علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم، غير نزوله التدريجيّ، الذي تمّ في مدّة ثلاث وعشرين سنة علىٰ أشهر الآراء.

كما ويشير إليه قوله تعالىٰ: **﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾**[2].

---

(١) سورة الدخان، الآيتان (٢ – ٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (١٠٦).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[1].

فلا يُعبأ بما قيل: إنّ معنىٰ قوله: (أَنزَلْنَاهُ): ابتدأنا بإنزاله، والمراد إنزال بعض القرآن الكريم.

ليس في كلامه تعالىٰ ما يُحدّد خصوص هذه الليلة، غير ما في قوله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[2]، فإنّ الآية، بانضمامها إلىٰ آية سورة القدر، تدلّ علىٰ أنّ هذه الليلة من ليالي شهر رمضان.

٣ـ ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ : (لَيْلَةِ) : لماذا الليل بالضبط؟ لِمَ لَمْ يقل : نهار القدر أو يوم القدر؟ إنما قال: لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟

وذلك لأن الليل هو زمن الصالحين القائمين الراكعين الساجدين، لأن الليل زمن السكينة والهدوء والصفاء والنقاء.

فـ(لَيْلَةِ الْقَدْرِ)؛ أي : ليلة التقدير والحكم، الليلة التي تحدَّد فيها المقادير ومصائر الناس، فليلة القدر هي ليلة يقدِّر الله جلَّ وعلا فيها مقادير الخلائق مما يكون في العام.

كما وإنّ (في) قد شغلت موقع (الوسط) بين كلمتين في اليمين (إنّا أنزَلناهُ) وكلمتين في اليسار (لَيلَةِ القَدرِ)، أي أنّ (الوسط) دقيق تماماً ، وفي الوسط معانٍ كثيرة؛ أشهرها أنّه رمز من رموز التوازن، أو الميزان، أو العدالة.

إن ليلة القدر هي الليلة المباركة المذكورة في القرآن الكريم، والتي يقدر الله سبحانه وتعالىٰ فيها الأمور العظيمة، وأمور الخلائق، وأمور البشر، وأمور المؤمنين.

٤ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾: (وَمَا أَدْرَاكَ): أسلوب استفهام يدل علىٰ التفخيم والتعظيم، ما أدراك؟

إن هذا سؤال الغرض منه التشويق ولفت الانتباه، وفيه تعظيم وتفخيم لشأن ليلة القدر.

---

(١) سورة الفرقان، الآية (٣٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٥).

إن لفظ (ما أدراك) إذا سمعته من كتاب الله تعالىٰ، فاعلم أن الأمر عظيم وهائل جدًّا، ولذلك قال تعالىٰ : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ .

فما شأنها؟ وما سرُّها؟

يجيب المولىٰ عز وجل، فيقول عز من قائل : ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

بيان جلالة قدر الليلة وعِظَم منزلتها، كما يؤكّد ذلك: إظهار الاسم مرّة بعد مرّة، حيث قال تعالىٰ : ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ﴾. ويؤيّد ذلك ما روي من أنّ الله يُقدّر فيها الآجال والأرزاق، وكلّ أمر يحدث، من موت، أو حياة، أو خصب، أو جدب، أو خير، أو شرّ، كما قال الله فيها: يفرق كلّ أمر حكيم إلىٰ سنّة[1].

فهنا السؤال من جانب، والتنبيه من جانب آخر لفضل ليلة القدر، وذلك لبيان مكانتها، وللتعريف بحقيقتها.

٥ـ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: (خيرٌ من ألف شهر)، وما أدراك ما ألف شهر؟

إنه بالسنين ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، ولكن هذا العدد ليس مقصودًا، لما يقول تعالىٰ : ألف، لا يعني ألفًا محصورة، وإنما للمبالغة، أو للمثال، أو لبيان الكثرة.

لقد جاءت (مِن) هنا للجنس، أي بمعنىٰ (كل)، ولكنها مع هذا المعنىٰ تستحضر دلالة الاشتراك مع موضوع (التفضيل) الذي تتبناه (خيرٌ)، ولمّا كانت (مِن) قريبة من المفضل (ألف شهرٍ) صارت كأنها هي أكثر من معنىٰ (ألف شهر) ، ونلاحظ أنّ ثمة رباطاً صوتيًّا وثيقاً بين نون (مِن) وتنوين (خيرٌ) ، فكأنَّ هذا الوصال قد حجّم من صلة (مِن) بـ(ألف شهر)، فكانت كأنّها أضعاف هذا الرقم.

---

(١) القمي، تفسير القمي، مصدر سابق: ٢ : ٤٣١.

إن المراد بكونها خيراً من ألف شهر، خيريّتها منها، من حيث فضيلة العبادة، وهو المناسب لغرض القرآن وعنايته بتقريب الناس إلى الله، فإحياؤها بالعبادة خير من عبادة ألف شهر، ويمكن أن يُستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾[1].

وروي أنّه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نومه، كأنّ قروداً تصعد منبره، فغمّه ذلك، فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

وهذا ما أوردناه في السبب الثاني من أسباب نزولها، وما عليه مشهور الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

٦ـ ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾: فـ(تنزل الملائكة): أي تتنزل الملائكة

و(الروح): ما هي الروح؟

إن للعلماء فيها ثلاثة أقوال هي:

١ـ إنها أرواح بني آدم.

٢ـ إن الروح خلق لا يعلمه إلا الله تعالى.

٣ـ إن الروح هو جبرائيل عليه السلام.

وقوله تعالى: (فيها بأذن ربهم): في تلك الليلة لا ينزلون إلا بإذن الله تعالى.

(مِنْ كُلِّ أَمْرٍ): إن من العلماء من فسَّرها على أساس ارتباطها بما قبلها، ومنهم من فسَّرها على أساس ارتباطها بما بعدها، فمن فسرها على أساس ارتباطها بما قبلها قرأ: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، ووقف، قال: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ أي: بكل أمر، وأحرف الجر تتناوب، فإن (الباء) قد تأتي بمعنى مِن، ومِن تأتي بمعنى (الباء)، فأحرف الجرِّ

---

(١) سورة الدخان، الآية (٣).

تأخذ معاني بعضها، فقالوا : المعنى : أن الملائكة تتنزل بكلِّ أمر؛ أي: بكلِّ أمر قضاهُ الله وأراده وحكم به.

إن هذه هي الآية الثانية التي تضمّنت (مِن)، والتي كانت للجنس أيضاً ، وهذه الدلالة إنْ كانت الرئيسة لـ(مِن) ، فان الفرعية المستخلصة هي أنّ (مِن) هنا تفسر معنى (كل أمر)، وكأنها بمعنى (رُغم)، وحينها تحولت الى دلالة خالدة من خلال تحولها للاسمية .

إن (تنزّل)، أصله تتنزّل ـ كما وضحنا ذلك ـ فحذفت إحداهما ـ التاء ـ للتخفيف، وهي من باب التفعّل، وباب التفعّل، للدلالة على التدريج، فعلى هذا معنى (تنزّل الملائكة) هو: النزول فوجاً بعد فوج، وما يستفاد من موارد استعماله أنّه للاستمرار، وأمّا التدريج فإنّه ربّما يلازم الاستمرار.

على هذا تفيد ﴿تَنَزَّلُ﴾ معنى الاستمرار، وأنّ نزول الملائكة مستمرّ في كلّ سنة، كما أنّ ليلة القدر في كلّ سنة.

الظاهر من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1]، هو الروح الذي من الأمر، قال تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[2].

والإذن في الشيء: الرخصة فيه، وهو إعلام عدم المانع منه.

و (مِنْ) في قوله: (مِّن كُلِّ أَمْرٍ)، قيل فيها معانٍ هي:

١ - أنّها بمعنى الباء.

٢- أنّها لابتداء الغاية، وتفيد السببيّة، أي بسبب كلّ أمر إلهيّ.

٣- أنّها للتعليل بالغاية، أي لأجل تدبير كلّ أمر من الأمور.

و(أمْر): إن المراد به هو:

---

(١) سورة البقرة، الآية (١١٧).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٨٥).

١ - إنْ كان هو الأمر الإلهيّ المفسّر بقوله ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١]، فـ(من) للابتداء، وتفيد السببيّة، ومعنىٰ الآية: تتنزّل الملائكة والروح في ليلة القدر بإذن ربّهم، مبتدء تنزّلهم صادراً من كلّ أمر إلهيّ.

٢- وإنْ كان هو الأمر من الأمور الكونيّة والحوادث الواقعة، فـ(من)، بمعنىٰ اللام التعليلية، ومعنىٰ الآية: تتنزّل الملائكة والروح في الليلة بإذن ربّهم، لأجل تدبير كلّ أمر من الأمور الكونيّة[٢].

فإن كان المراد بالأمر شيء آخر، فلا بدّ من وجود الدليل علىٰ ذلك، ولا بدّ من ذكر التوجيه مع الدليل.

٧ـ ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾: أي : لا يستطيع الشيطان أن يتصرف فيها بسوء، ولا أن يصيب أحدًا بأذىٰ؛ لأنها ليلة سالمة من الآفات، وسالمة من البلايا والرزايا، قال بعض أهل التفسير : المراد تسليم الملائكة علىٰ المؤمنين؛ أي : إنهم ينزلون، فيسلمون علىٰ المؤمنين في مساجدهم واحدًا واحدًا.

المراد: بأنّ هذه الليلة سلامة، حيث قُدِّم الخبر، ليفيد الحصر، أيّ: ما هي إلّا سلامة، وكلّ ما ينزل في هذه الليلة، إنّما هو سلامة ونفع وخير.

والليلة ليست السلامة نفسها، وإنّما هي ظرف لها، ومع ذلك وُصِفَت بالسلامة، للمبالغة في اشتمالها عليها.

وقيل: ما هي إلّا سلام، لكثرة ما يُسلّمون فيها علىٰ المؤمنين، وهذا السلام مستمرّ.

٨ـ ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾: أي : إن هذه الليلة تنتهي بطلوع الفجر.

أكَّدَ المختصّون أنها بمعنىٰ (إلىٰ)، إلاّ أنّها اختصّت عن (إلىٰ) في كونها تجر ما كان أخيراً أو متّصلاً بالأخير، كالآية السابقة، فمن الممكن أنْ تكون (حتىٰ مطلع الفجر)، أي: الىٰ آخر

---

(١) سورة يس، الآية (٨٢).

(٢) ظ: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ٢٠ : ٣٣٢.

مطلع الفجر، أو الى بداية الآخر من مطلع الفجر، وترتبط (حتىٰ) مع (في) التي في الآية الأولىٰ من السورة ، في أنّها شكليًّا تقع في وسط الآية (سَلمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطلَعِ الفَجرِ)، إذ ترتصف يميناً مفردتان هما: (سلام هي)، ويساراً مفردتان أيضاً، هما (مطلع الفجر)، وكأن (حتىٰ) معادل موضوعي بين السلام في ليلة القدر، ومطلع الفجر.

إن هذه السلامة مستمرّة إلىٰ أن يطلع الفجر، وإن (حَتَّىٰ)، متعلّقة بـ(تنزّل)، أي تنزّل الملائكة والروح، حتّىٰ مطلع الفجر.

وعلىٰ أيّ من المعاني المتقدّمة، ففي الآية إشارة إلىٰ العناية الإلهيّة بشمول الرحمة لعباده المقبلين إليه، وسدّ باب نقمة جديدة تختصّ بالليلة، ويلزمه بالطبع وهن كيد الشياطين[1].

فليلة القدر هي ليلة سلام، ويستمر السلام فيها حتىٰ مطلع الفجر، وهنا دلالة إلىٰ السعة وليس إلىٰ التضييق، والفجر فيه دلالات، ومن دلالاته انه مستمر وليس مقيد أو محدود.

٩ـ توضيح مجمل للسورة المباركة:

إن هذه السورة المباركة فيها بيان عظيم عن فضل القرآن الكريم، وعن فضل نزوله وتنزله، وعن فضل ليله نزوله.

إن القرآن الكريم قد أشار إلىٰ كون القرآن الكريم نزل نزولاً إجماليّاً دفعياً علىٰ قلبك يا محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم في ليلة القدر، وهي ليلة مباركة من شهر رمضان، وهذا النزول هو غير تنزيله تدريجيّاً علىٰ قلبك طيلة مدّة بعثتك الشريفة، ففي هذه الليلة تُقدّر الأمور للسنة اللاحقة، من حياة وموت ورزق وسعادة وشقاء، وتتنزّل الملائكة في هذه الليلة حتىٰ مطلع الفجر، فمن أحياها بالعبادة والدعاء شملته العناية الإلهيّة. وهذه الليلة مستمرّة التنزّل في كلّ سنة.

إنّ المتدبّر في الآيات القرآنية لا يجد مناصاً عن الاعتراف بدلالتها علىٰ كون هذا القرآن المنزل علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم تدريجيّاً متّكئاً علىٰ حقيقة متعالية عن أن تُدركها أبصار

---

(١) انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ٢٠ : ٣٣٣.

عقول العامّة أو تتناولها أيدي الأفكار المتلوّثة بالقذارات المادّة، وأنّ تلك الحقيقة أُنزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنزالاً، فعلّمه الله بذلك حقيقة ما عناه بكتابه.

إن سورة القدر المباركة قد شرعت بالتعظيم لله سبحانه وتعالى بضمير الجماعة، ونسبت إنزال القرآن الكريم إليه، وذلك يدل على التعظيم كذلك، كما وقد أشارت إلى القرآن الكريم بضمير متصل وذلك لكونه معروفاً لا شبهة فيه.

الخطوة الخامسة عشر: النتائج المستفادة:

١- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٢- فضل ليلة القدر، وفضل العبادة فيها.

٣- بيان أن القرآن الكريم نزل في شهر رمضان المبارك جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وأنه ابتدأ نزوله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رمضان أيضاً.

٤- الندب إلى طلب ليلة القدر للفوز بفضلها، وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، وأرجى ليلة في العشر الأواخر هي الوتر كالواحدة والعشرين إلى التاسعة والعشرين للحديث الصحيح (التمسوها في العشر الأواخر).

٥- استحباب الإِكثار من قراءة القرآن وسماعه فيها؛ لمعارضة جبريل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك مرتين.

تفسير سورة الإخلاص المباركة

****

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ .

****

خطوات تفسير سورة الإخلاص المباركة

****

خطوات التفسير:

الخطوة الأولى: سورة الإخلاص هل هي مكية أم مدنية:

إن سورة الإخلاص من السور المكية، وقيل بأنها مدنية[1]، وهي من حيث الترتيب النزولي فإن ترتيبها هو رقم (٢١)، أما تسلسلها في المصحف فهي تحمل التسلسل رقم (١١٢) من المصحف الشريف الموجود في أيدينا حالياً، وهي من المفصلات.

إن سورة الإخلاص من سور (القلاقل): وهي السور التي ابتدأت بـ(قل)، وهي: الكافرون، الإخلاص، الفلق، الناس[2].

الخطوة الثانية: عدد آيات السورة والاختلاف في ذلك ان وجد:

وعددها: خمس آيات في المصحف المكي والشامي، وأربع في عدد الباقين، والاختلاف وقع في آية (لم يلد)، فقد عدها المكي والشامي، ولم يعدها الباقون[3].

---

(١) ظ: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مصدر سابق: ٩ : ٢٦٤، وظ: والألوسي، روح المعاني، مصدر سابق: ٣٠ : ٢٦٦.

(٢) ظ: الأندلسي، أبو عمر الداني، البيان في عدّ آي القرآن، مصدر سابق: ٢٩٦.

(٣) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، مصدر سابق: ١٠ : ٨٥٤.

نعم، إن عدد آيات سورة الإخلاص هو (٤)، تتألف من (١٥) كلمة، ومن (٤٧) حرفاً.

الخطوة الثالثة: اسم السورة القرآنية:

عُرفت سورة الإخلاص بجملة أسماء منها:

١ـ التوحيد: وهو من الأسماء المشهورة للسورة ويمثّل المضامين الأساسية للسورة باعتبار أن السورة نزلت لبيان مسألة التوحيد.

٢ـ الإخلاص: لأنها تؤكد على الإخلاص لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، والإخلاص له في العبادة والعمل والطاعة.

٣ـ الصمد: وذلك لأن هذا اللفظ ورد في السورة، وله عدة معانٍ منها: المقصود في كل الأمور المستغني عن كل شيء، ومعانٍ أخرى.

٤ـ الأساس: لأن سورة الإخلاص تمثل أساس الدين، وقوامه المتمثل بالتوحيد، وصفات الله تعالى.

وقد أوصلها البعض إلى أكثر من عشرة أسماء لسورة الإخلاص.

الخطوة الرابعة: فضلها:

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَدع أن يقرأ في دبر الفريضة بقل هو الله أحد، فإنه من قرأها جُمع له خير الدنيا والآخرة، وغفر الله له ولوالديه وما ولده»[١].

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن، وأعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من آمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر»[٢].

الخطوة الخامسة: الاختلاف في القراءات وبيان العلل:

---

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، مصدر سابق: ٢٠ : ٣٢١.

(٢) الطبرسي، جوامع الجامع، مصدر سابق: ٣ : ٨٧٣.

١ـ إن هناك قراءة شاذة بحذف (قل) من سورة الإخلاص، بل وحذف كل (قل) من باقي السور القرآنية.

٢ـ قوله تعالىٰ (احد الله الصمد) قرأت بحذف التنوين، ومن قرأ بذلك جماعة منهم: هو زيد ابن علي، ونصر ابن عاصم، وابن سيرين، والحسن، وابن أبي إسحاق، والأصمعي.

٣ـ (كفواً): وهنا أمران فيها هما:

الأول: (كفواً): من حيث التخفيف والتثقيل: وقرأت قراءتين:

أ ـ التخفيف: إسكان (الفاء)، وقرأ بها حمزة، ويعقوب، وخلف.

ب ـ التثقيل: ضم (الفاء)، وقرأ بها الباقون من القُراء.

الثاني: (كفواً): من حيث الاتصال والهمز: وقرأت أربع قراءات:

أ ـ (كفؤا) بسكون الفاء والهمزة (مهموزة)، وهي قراءة حمزة، وخلف.

ب ـ (كفواً) متصلة غير مهموزة، وهي قراءة حفص.

جـ ـ (كفؤاً) متصلة ومهموزة، وهي قراءة الباقين.

د ـ (كفئا) بتسكين الفاء وهمزها، وهي قراءة بعض قُراء الكوفة.

الخطوة السادسة: هل في السورة ألفاظ غير عربية والآراء في ذلك:

في سورة الإخلاص لا يوجد لفظ غريب، أو مهمل، أو مشكل، فمعانيها عربية خالصة، وواضحة للعربي، وغير واضحة علىٰ من اختلط لسانه، وأعجم لفظه وفكره، ومن بَعُد عن الذوق العربي.

الخطوة السابعة: إعراب السورة:

١ـ ﴿قُلْ﴾: فعلُ أمرٍ مبني علىٰ السّكون، والفاعل: ضميرٌ مُستتر تقديره (أنت).

٢ـ ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ مُنفصلٌ غائب مبني علىٰ الفتحِ في محلّ رفع مُبتدأ.

٣ـ ﴿اللَّـهُ﴾: لفظُ الجلالةِ مُبتدأ ثانٍ مرفوع وعلامة رفعه الضّمة.

٤ـ ﴿أَحَدٌ﴾: خبرُ المُبتدأ الثّاني (اللهُ)، مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضّم، والجُملة الاسميّة (الله أحد) في محلِّ رفع خبر المُبتدأ الأوّل.

٥ـ ﴿اللَّـهُ﴾: لفظُ الجلالة مُبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضّمة.

٦ـ ﴿الصَّمَدُ﴾: خبرٌ مرفوعُ وعلامة رفعه الضّمة.

٧ـ ﴿لَمْ﴾: حرفُ نفي وجزم وقلب مبني علىٰ السّكون.

٨ـ ﴿يَلِدْ﴾: فعلٌ مُضارعٌ مجزوم بـ(لم) وعلامة جزمه السّكون، والفاعل: ضميرٌ مُستترٌ تقديره (هو).

٩ـ ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرفُ عطفٍ مبني علىٰ الفتح، لم: حرفُ نفي وجزم وقلب مبني علىٰ السّكون.

١٠ـ ﴿يُولَدْ﴾: فعلٌ مُضارعٌ مبني للمجهول مجزوم بـ(لم) وعلامة جزمه السّكون، ونائب الفاعل :ضميرٌ مُستتر تقديره (هو).

١١ـ ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرفُ عطفٍ مبني علىٰ الفتح، لم: حرفُ نفي وجزم وقلب مبني علىٰ السّكون.

١٢ـ ﴿يَكُنْ﴾: فعلٌ مُضارعٌ ناقص مجزوم بـ(لم) وعلامة جزمه السّكون، حُذِفَتْ الواو للتّخلّص من التقاء ساكنين، فالأصل: يَكُون.

١٣ـ ﴿لَهُ﴾: اللام :حرفُ جرٍّ مبني علىٰ السّكون، الهاء: ضميرٌ مُتّصل مبني علىٰ الضّم في محلّ جرّ بحرف الجرّ (اللّام).

١٤ـ ﴿كُفُوًا﴾: خبر (يَكُنْ) مُقدّم منصوب وعلامة نصبه تنوين الفتح.

١٥ـ ﴿أَحَدٌ﴾: اسم (يَكُنْ) مرفوعٌ وعلامة رفعه تنوين الضّم.

الخطوة الثامنة: سبب النزول:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن اليهود سألوا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فقالوا: انسب لنا ربك، فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثم نزلت السورة»[1].

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان، مصدر سابق: ٢٠ : ٤٥١.

وقيل ان من سأل هم المشركين، وقيل أهل مكة، والمحصل ان هذه الروايات بمجموعها تدل على ان اليهود، أو المشركين، أو أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينسب ويصف لهم ربه فأنزل الله هذه السور.

نعم، إن سبب نزولها هو للتأكيد على الوحدانية ونفي التعدد في الآية الأولى، وإثبات الكمال ونفي النقص والعجز في الآية الثانية وإثبات أزليته سبحانه وبقائه ونفي الذرية في الآية الثالثة وإثبات العظمة والجلال ونفي الأنداد والأضداد في الآية الرابعة[1].

فهذه جملة أسباب ذُكرت في سبب نزول هذه السورة المباركة، ولقد وردت أكثر من رواية في ذكر سبب نزول سورة الإخلاص أوردتها الكتب المختصة بأسباب النزول، وكتب التفسير كذلك.

الخطوة التاسعة: معاني الألفاظ:

١ـ قل: الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله، أي: قل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أي أظهر للناس معارف التوحيد.

٢ـ أحد: و(أحد): وصفٌ لله تعالى بالأحدية.

٣ـ الصمد: قيل: السيد الذي يُصمد إليه في الأمر، وقيل الذي ليس بأجوف.

٤ـ لم يلد ولم يولد: أي: ليس له ولد، وليس له أب أو أم.

٥ـ كفواً: (الكفو) هو الكفء في المقام والمنزلة والقدر، ثم أُطلقت الكلمة على كل شبيه ومثيل.

الخطوة العاشرة: الأحكام الموجودة في السورة:

إن بيان الأحكام في القرآن الكريم واضح وله محله وآياته، والتي يطلق عليها آيات الأحكام، وهي التي تحتوي على الأحكام التشريعية، والأوامر المولوية، أما باقي القرآن

---

(١) ظ: الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤١٧هـ: ٣ : ٦٢٢.

الكريم فيحتوي على أوامر إرشادية، وهي تدخل ضمن إطار الأحكام، لكن الأحكام العقائدية والأخلاقية وليست التشريعية.

إن سورة الإخلاص تحتوي على أحكام إرشادية، وعلى قضايا عقائدية مهمة جداً، بل هي أصل تأسيس مسألة التوحيد، وبيان حقيقة التوحيد.

الخطوة الحادي عشر: القصص والأمثال الموجودة في السورة:

إن سورة الإخلاص لا تحتوي على أي قصة من القصص القرآنية، ولا تحتوي على أمثال حقيقية ظاهرة بينة، بل هي تبين أمور مهمة، وتعطي عبر معينة تختص بقضايا العقيدة الإسلامية.

الخطوة الثانية عشر: انتظام آيات السورة:

١ـ سورة الإخلاص هي السورة (١١٢) في ترتيب المصحف المبارك.

٢ـ هي من سور المفصل.

٣ـ كلها محكم.

٤ـ ليس فيها ناسخ أو منسوخ.

٥ـ انها نزلت دفعة واحدة.

الخطوة الثالثة عشر: اغراض ومقاصد السورة التي عالجتها:

١ـ تناولت سورة الإخلاص مسألة التوحيد.

٢ـ إن سورة الإخلاص قد فرقت ما بين (الأحدية) و(الواحدية).

٣ـ إن سورة الإخلاص قد بينت الذات الصمدية لله تعالى.

٤ـ إن سورة الإخلاص أكدت بأن الله تعالى ليس له زوجة أو ولد، وانه واحد لا شريك له.

الخطوة الرابعة عشر: بيان السورة: التفسير التجزيئي:

إن البيان التفسيري لسورة العلق يقتضي تفسيرها وفق مقاطع كالآتي:

١ـ ﴿قُلْ﴾: هذا افتتاح للسورة بالأمر بالقول كما في المعوذتين وسورة الجن[١].

وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المعوذتين فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قيل لي فقلت»[٢].

إن ذلك إشارة منه أنه صلى الله عليه وآله وسلم مبلغ محض لما يوحى إليه، ليس فيه تصرف لما أوحاه الله إليه بزيادة ولا نقص، وإنما هو مبلغ لكلام ربه كما أوحاه إليه فإذا قال: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) كان امتثالاً للقول الذي قيل له بلفظه لا بمعناه.

وقيل بأنه أمر للنبي صلى الله عليه وآله ولكل من يصلح له الأمر والخطاب من أفراد أمته.

إن قوله تعالى للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم (قل) أي: أظهر يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم معارف التوحيد للناس، وما خفي من ذلك عنهم.

إن التأكيد على (قل) إشارة إلى صيانة الوحي ودقته في البيان؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله نقل إلينا حتى مفردة (قل) وهذا يعني أنه لم يغيّر أي شيء في الوحي.

٢ـ ﴿هُوَ﴾: فـ(هو) في الواقع يرمز إلى أن ذاته المقدسة في نهاية الخفاء، ولا تنالها أفكار الإنسان المحدودة وإن كانت آثاره أظهر من أي شيء آخر.

٣ـ ﴿اللَّـهُ أَحَدٌ﴾: إن (الله) تكرر ما يقارب من (ألف مرة) في القرآن الكريم، ولم يبلغه أي اسم من الأسماء المقدسة في مقدار تكراره.

٤ـ ﴿أَحَدٌ﴾: إن (أَحَدٌ): اسم من أسماء الله تعالى يسمى به ولا يسمى غيره من الأعيان به، فلا يسمى شيء من الأشياء أحدًا في الإثبات إلا في الأعداد المطلقة.

---

(١) ظ: القرطبي، أحكام القرآن، مصدر سابق: ٢٠ : ٢٤٥.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت ـ لبنان، ط٥، ١٤١٤هـ: ٨ : ٧٤١.

فـ(الأحد): هو الواحد في إلهيته، وفسره أهل الكلام بما لا يتجزأ ولا ينقسم، فإن أريد بذلك أنه ليس مؤلفًا مركبًا من أجزاء متفرقة فصحيح، أو أنه غير قابل للقسمة فصحيح، وإن أريد أنه لا يتميز منه شيء عن شيء وهو المراد بالمجسم عندهم فباطل، فهو واحد في إلهيته[1].

و(الأحد): المنفرد بصفاته ونعوته فلا يشاركه فيها أحد.

وقيل: بين (الأحد) و(الواحد) فرقٌ وهو:

إن (الأحد) في النفي نص في العموم بخلاف (الواحد) فإنه محتمل للعموم وغيره فتقول: ما في الدار أحد، ولا يقال: بل اثنان ويجوز أن يقال: ما في الدار واحد، بل اثنان، والواحد يحتملها لأنه يقال: مائة واحد وألف واحد، ولا يقال: مائة أحد ولا ألف أحد.

وذُكر بأن (أحد) يطلق على الذات التي لا تقبل الكثرة لا في الخارج ولا في الذهن[2].

٥ـ ﴿اللَّـهُ الصَّمَدُ﴾: أعاد الاسم المبتدأ (الله) تأكيدًا للجملة وخبره (الصَّمَدُ).

وقيل: هو نعت والخبر ما بعده، و(الصَّمَدُ): قد اختلفت العبارات في معناه وهي متقاربة أو متفقة والمشهور منها قولان:

أحدهما: أن (الصَّمَدُ) هو السيد الذي تصمد إليه الخلق في حوائجهم ومطالبهم، أو الذي يصمد إليه العباد في حوائجهم.

والثاني: أن الصمد الذي لا جوف له، وأنه الذي لا يأكل ولا يشرب والذي لا حشو له، وأنه الذي لا يدخل فيه شيء، ولا يخرج منه شيء، ونحو ذلك من العبارات المتقاربة في المعنى. وقالوا بأن (صمد) في الأصل هي بمعنى (القصد)؛ لأنه يَصمِدُ إليه عباده بالدعاء والطلب[3].

---

(١) ظ: الألوسي، روح المعاني، مصدر سابق: ٣٠ : ٢٧٢.

(٢) ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، مصدر سابق: ٢٠ : ٥٤٨.

(٣) ظ: الاصفهاني، الراغب، المفردات، مصدر سابق: ٤٩٢.

٦ـ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: قالت طائفة: بأن (الصمد): هو الذي لم يلد ولم يولد؛ كأنهم جعلوا ما بعده تفسيرًا له، وهو مما تقدم أنه الذي لم ينفصل من شيء.

وتوجيه ذلك: أن الولادة والتوليد إنما يكون من أصلين، وما كان عينًا قائمًا بنفسه من المتولدات فلا بدّ له من مادة يخرج منها، وما كان عرضًا قائمًا بغيره فلا بدّ له من محل يقوم به.

والأول: نفاه بقوله: (أحد)، فإن الأحد: هو الذي لا كفو له ولا نظير فيمتنع أن يكون له صاحبة.

والتولد إنما يكون بين شيئين، وكونه تعالى أحدًا، ليس أحد كفوًا له يستلزم أنه لم يلد ولم يولد، لأن الوالد والولد متماثلان متكافئان، وهو تعالى أحد لا كفو له، وأيضًا فالتولد يحتاج إلى زوجة وهي مكافئة لزوجها من وجه، وذلك أيضًا ممتنع.

ولهذا قال تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾[1].

أما الثاني: وهو انفصال المادة فنفاه – سبحانه – بأنه الصمد، وهو المتولد من أصلين، ربما يتكون من جزئين ينفصلان من الأصلين، كتولد الحيوان من أبيه وأمه بالمني الذي ينفصل منهما، وكالنار المتولدة من بين الزندين سواء كانا خشبين أو حجرين وحديدًا.

قال الإمام الحسين عليه السلام في تفسير (لم يلد ولم يولد) ما نصه: «لم يخرج منه شيء كثيف كالوالد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعّب منه البداوات كالسِنة والنوم، والخطرة والهمّ، والحزن والبهجة، والضحك والبكاء، والخوف والرجاء، والرغبة والسأمة، والجوع والشبع، تعالى أن يخرج منه شيء، وان يتولّد منه شيء كثيف أو لطيف...»[2].

إن هذا هو التنزيه الحقيقي له سبحانه وتعالى، وهو من أجمل التفسيرات للآية المباركة، كيف لا وهي قد وردت على لسان الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٠١).

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق: ٣ : ٢٢٤.

٧ـ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: لقد تضمنت هذه السورة العظيمة نفي شيئين عن الله سبحانه و تعالىٰ:

أحدهما: المماثلة، ودل علىٰ نفيها قوله تعالىٰ: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) مع دلالة قوله: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) علىٰ ذلك؛ لأن أحديته تقتضي أنه متفرد بذاته، وصفاته، فلا يشاركه في ذلك أحد.

والثاني: نفي النقائص والعيوب، وقد نفىٰ منها التولد من الطرفين.

إن المراد بـ(لم يكن له كفواً أحد) أي: لم يكن له شبيه لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله تبارك وتعالىٰ، فاحتوت هذه السورة علىٰ التوحيد الذاتي، والتوحيد الصفاتي، والتوحيد الأفعالي.

إن الله سبحانه وتعالىٰ منزّه عن عوارض المخلوقين وصفات الموجودات وكل نقص ومحدودية، وهذا هو التوحيد الذاتي والصفاتي؛ من هنا فهو تبارك وتعالىٰ لا شبيه له في ذاته، ولا نظير له في صفاته، ولا مثيل له في أفعاله، وهذا هو التوحيد الأفعالي.

إن الله سبحانه وتعالىٰ متفرد لا نظير له من جميع الجهات، وهو مسيطر ومهيمن علىٰ كل الجهات، بل علىٰ كل شيء، فكانت هذه السورة هي التعريف الحقيقي المختصر له سبحانه وتعالىٰ، وإلا فإن وصفه لن تحتويه السماوات والأرض، فهو تعالىٰ أعظم منهما، بل أعظم من جميع المخلوقات.

٨ـ توضيح مجمل للسورة المباركة:

إن سورة الإخلاص تمثل حقيقة ما أراد الله سبحانه وتعالىٰ تعريف الناس به علىٰ لسان أنبياءه عليهم السلام، وفي كتبه السماوية، ألا وهو (التوحيد) وبيان حقيقة الإله المعبود، وما يتعلق بذلك، حتىٰ يكون الإنسان عارفاً وعالماً بذلك، ومن ثم مؤمناً به ايماناً صادقاً حقيقياً لا تزلزل أو تزحزح له.

إن تحصيل ما يريده الله تعالىٰ منا لهو جنة في الدنيا قبل الجنة بالآخرة، فدخول جنة الآخرة مقترن ببابٍ لها في الدنيا، وان في الدنيا إدراك لطعم ذلك، وفي الآخرة إدراك لجزاء ذلك.

الخطوة الخامسة عشر: النتائج المستفادة:

١ـ إن الرسول الأكرم محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم، هو مبلغ عن الله عز وجل؛ لقوله (قل)، وفي هذا الرد علىٰ من يزعم من أهل البدع أن الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم اختلق القرآن، وأن هذا النظم كلامه؛ كما أن في هذا الرد علىٰ الغلاة الذين يرفعونه صلىٰ الله عليه وآله إلىٰ مقام الربوبية؛ فهو صلىٰ الله عليه وآله عبد لا يعبد ونبي ورسول لا يكذب.

٢ـ إثبات العبادة لله تعالىٰ وحده دون سواه؛ لقوله: (هُوَ اللهُ أَحَدٌ)؛ لأن معنىٰ لفظ الجلالة (الله): المألوه المعبود محبة وتعظيمًا.

٣ـ إثبات الوحدانية لله عز وجل، وأنه الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لقوله (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، فإن الله سبحانه وتعالىٰ واحد لا شريك له، وذلك من خلال بيان مسألة التوحيد، وما يتعلق بها، وهو توحيد الإلوهية.

٤ـ إثبات حاجة الخلائق كلهم إليه عز وجل وغناه سبحانه وتعالىٰ عمن سواه؛ لقوله تعالىٰ: (اللهُ الصَّمَدُ)؛ أي: الذي تصمد إليه الخلائق وتتجه إليه وتقصده بطلب قضاء الحوائج؛ إذ الخير كله بيديه؛ لا مانع لما أعطىٰ ولا معطي لما منع.

٥ـ نفي الولد والمجانس والقريب المداني له عز وجل؛ لقوله تعالىٰ: (لَمْ يَلِدْ).

قال تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[2].

٦- الرد علىٰ أهل الشرك من أهل الكتاب وغيرهم في نسبتهم الولد إلىٰ الله عز وجل، وقول اليهود عزيز ابن الله، وقول النصارىٰ المسيح ابن الله، وزعم المشركين أن الملائكة بنات الله، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٠١).

(٢) سورة الجن، الآية (٣).

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ * أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[3].

٧ـ تنزيه الله عز وجل عن المكافئ والشبيه والمثيل والنظير؛ لقوله تعالى: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)؛ فلا مكافئ له ولا شبيه، ولا مثيل، ولا نظير؛ بل هو الواحد الأحد، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[5].

٨ـ وجوب الإقرار والاعتراف ظاهرًا وباطنًا، بنطق اللسان وتصديق القلب، وانقياد الجوارح بألوهية الله عز وجل ووحدانيته وصمديته، وتنزهه عن الولد والوالد والمكافئ.

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان (١٥ـ١٦).

(٢) سورة الزخرف، الآية (١٩).

(٣) سورة النجم، الآيتان (٢١ ـ ٢٢).

(٤) سورة الشورى، الآية (١١).

(٥) سورة مريم، الآية (٦٥).

المصادر والمراجع

١ـ ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي (ت٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر.

٢ـ ابن الجوزي، ابو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.

٣ـ ابن العربي، أبو بكر (ت٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ.

٤ـ ابن حزم، ابو محمد (ت٤٥٦هـ)، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ.

٥ـ ابن حنبل، أحمد (ت٢٤١هـ)، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

٦ـ ابن رشد، الأندلسي (ت٥٩٥هـ)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، دون طبعة، ٢٠٠٤م.

٧ـ ابن شهرآشوب، أبو جعفر (ت٥٨٨هـ)، معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة، مؤسسة نشر الفقاهة، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٥هـ.

٨ـ ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس ـ تونس، دار سحنون، ط٣، ١٩٩٧م.

٩ـ ابن عطية، الأندلسي (ت٥٤٦)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٠ـ ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ.

١١ـ ابن كثير، أبو الفداء (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٢، ١٩٩٩م.

١٢ـ أبو داود، السجستاني (ت٢٠٢هـ)، السنن، دار الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٣ـ أحمد، يحيى، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢، العدد ٤ ، ١٩٨٩م.

١٤ـ الإحسائي، ابن أبي جمهور (ت٩٠٩هـ)، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٥ـ الاصفهاني، الراغب (ت٤٢٥هـ)، مفردات ألفظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، انتشارات ذوي القربى، قم ـ إيران، ط٤، ١٤٢٥هـ.

١٦ـ الأفريقي، ابن منظور، لسان العرب، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين ونضال علي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٧ـ الألوسي، شهاب الدين محمود (ت١٢٧٠هـ)، تفسير روح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

١٨ـ الأندلسي، أبو عمر الداني (ت٤٤٤هـ)، البيان في عدّ آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٩٩٤م.

١٩ـ البحراني، هاشم (ت١١٠٩هـ)، تفسير البرهان، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ.

٢٠ـ البخاري، الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت ـ لبنان، ط٥، ١٤١٤هـ.

٢١ـ البغدادي، ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٠٠هـ.

٢٢ـ البنا، أحمد بن محمد (ت١١١٧هـ)، اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشرة، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٣ـ الجرجاني، الشريف (ت٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٤ـ الجرمي، إبراهيم، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق ـ سوريا، ط١، ٢٠٠١م.

٢٥ـ الجواري، أحمد عبد الستار، نحو القرآن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ـ العراق، ط١، ١٩٧٤م.

٢٦ـ الحجار، عدي جواد، الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء ـ العراق، ط١، ٢٠١٢م.

٢٧ـ الحسن، طلال، مراتب فهم القرآن، دار القارئ، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٥م.

٢٨ـ الحكيم، محمد تقي (ت١٤٢٣هـ)، الأصول العامة للفقه المقارن، المجمع العالمي لأهل البيت، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٩ـ الحلي، العلامة (ت ٧٢٦هـ)، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٠ـ الحويزي، عبد علي (ت١١١٢هـ)، تفسير نور الثقلين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ.

٣١ـ الخوئي، أبو القاسم (ت١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة احياء آثار الإمام الخوئي قدس سره، قم ـ إيران، دون طبعة، دون تاريخ.

٣٢ـ الذهبي، محمد حسين (ت١٩٧٧م)، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة ـ مصر، ط٢، ١٩٧٦م.

٣٣ـ الرازي، ابو عبد الله (ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ.

٣٤ـ الرازي، فخر الدين (ت٦٠٤هـ)، تفسير مفاتيح الغيب، دار الفكر، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٠١هـ.

٣٥ـ الرازي، فخر الدين (ت٦٠٤هـ)، المحصول في علم الأصول، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٨هـ.

٣٦ـ الربيعي، حسن، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، المكتبة القانونية، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٧ـ الرجبي، محمود، بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

٣٨ـ الرضائي، محمد علي، منطق تفسير القرآن، تعريب أحمد الأزرقي وهاشم أبو خمسين، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٦هـ.

٣٩ـ الرضائي، محمد علي، التفسير التمهيدي للقرآن الكريم، تعريب أحمد الأزرقي، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٥هـ.

٤٠ـ الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ـ مصر، ط٣، ١٣٦٢هـ.

٤١ـ الزركشي، بدر الدين (ت٧٩٤هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤١٤هـ.

٤٢ـ الزركشي، بدر الدين (ت ٧٩٤ هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الحديث، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٦ م.

٤٣ـ الزرندي، أبو الفضل، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٤ـ الزلمي، مصطفى (ت ٢٠١٦م)، وعبد الباقي البكري، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ـ العراق، ط١، ١٩٨٦م.

٤٥ـ الزهراني، نايف بن سعيد، الاستدلال في التفسير: دراسة في منهج ابن جرير الطبري، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط٢، ١٤٣٦هـ.

٤٦ـ الزيات، أحمد، المعجم الوسيط، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول ـ تركيا، ط٢، ١٩٧٢م.

٤٧ـ السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ.

٤٨ـ السبزواري، عبد الأعلىٰ(ت١٤١٤هـ)، مواهب الرحمن، دار التفسير، قم ـ إيران، ط٥، ١٤٣١هـ.

٤٩ـ السيوري، المقداد (ت٨٢٦هـ)، كنز العرفان، المكتبة المرتضوية، إيران، ط١، ١٣٩٩هـ.

٥٠ـ السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٣٩٤هـ.

٥١ـ السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ.

٥٢ـ الشاطبي، ابو اسحاق (ت٧٩٠هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ.

٥٣ـ الشايع، محمد بن عبد الرحمن، معجم مصطلحات علوم القرآن، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٢م.

٥٤ـ الشهيد الأول، محمد بن جمال الدين (ت٧٨٦هـ)، ذكرىٰ الشيعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٥ـ الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ.

٥٦ـ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤١٧هـ.

٥٧ـ الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، التعارف للمطبوعات بيروت – لبنان ،ط٢، ١٤٠١هـ.

٥٨ـ الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، التوحيد، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ.

٥٩ـ الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤٠٤هـ.

٦٠ـ الطبرسي، أبو علي (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ.

٦١ـ الطبرسي، أبو علي (٥٤٨هـ)، جوامع الجامع، مؤسسة التراث الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣١هـ.

٦٢ـ الطبري، ابن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٣ـ الطوسي، أبو جعفر (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، دون طبعة، دون تاريخ.

٦٤ـ العاملي، محمد بن الحسن الحر (ت١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ـ إيران، ط٢، ١٤١٤هـ.

٦٥ـ العتابي، ليث، الأدوات المعرفية، دار الولاء، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م.

٦٦ـ العسكري، الإمام الحسن، التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري، مؤسسة الإمام المهدي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٩هـ.

٦٧ـ العطار، داود، موجز علوم القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٩٩٥م.

٦٨ـ العك، خالد عبد الرحمن (ت١٤٢٠هـ)، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٦٩ـ العياشي، محمد بن مسعود (ت٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣١هـ.

٧٠ـ الغرناطي، أبو حيان (ت٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

٧١ـ الفتوني، ابو الحسن(ت١١٣٨هـ)، مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، تحقيق: لجنة من المحققين والعلماء والأخصائيين، الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ.

٧٢ـ الفراء، ابو زكريا (ت٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٢١هـ.

٧٣ـ القرطبي، شمس الدين (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م.

٧٤ـ القنوجي، صديق حسن خان (ت ١٢٤٨هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.

٧٥ـ القيسي، مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ.

٧٦ـ الكاشاني، الفيض (ت١٠٩١هـ)، تفسير الصافي، دار الكتب الإسلامية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ.

٧٧ـ الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، الكافي، منشورات الفجر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

٧٨ـ الكوراني، شهاب الدين (ت٨٩٣هـ)، غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، تحقيق: محمد مصطفىٰ كوكصو، جامعة صاقريا، تركيا، ط١، ١٤٢٨هـ.

٧٩ـ الماتريدي، ابو منصور(ت٣٣٣هـ)، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ.

٨٠ـ المازندراني، علي أكبر، دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط٣، ١٤٣٦هـ.

٨١ـ المامقاني، عبد الله (ت١٣٥١هـ)، مقباس الهداية في علم الدراية، تحقيق: محمد المامقاني، مطبعة نكارش، قم ـ إيران، ط٢، ١٣٩٣هـ.

٨٢ـ الماوردي، أبو الحسن (ت٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، دار المنهاج، ط١، ١٤٣٤هـ.

٨٣ـ المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، دار الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ.

٨٤ـ المخزومي، مهدي (ت ١٩٩٤م)، مدرسة الكوفة ونهجها في دراسة اللغة والنحو، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة ـ مصر، ط٢، ١٩٥٨م.

٨٥ـ المرتضى، الشريف (ت٤٣٦هـ)، رسالة المحكم والمتشابه، تحقيق: عبد الحسين الغريفي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد ـ إيران، ط٢، ١٤٢٨هـ.

٨٦ـ الميبدي، محمد فاكر، تطور حركة التفسير بين الاتجاهين الموضعي والموضوعي، (بحث)، موقع مجلة نصوص معاصرة.

٨٧ـ النيسابوري، الحاكم (ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١١هـ.

٨٨ـ الواحدي، أبو الحسن (ت٤٦٨هـ)، أسباب النزول، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ.

٨٩ـ باحوريث، تهاني بنت سالم، أثر دراسة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى: ١٤٢٨هـ.

٩٠ـ دكير، محمد تهامي، علم اجتماع المعرفة تاريخ وإشكاليات، ضمن كتاب سوسيولوجيا المعرفة، كتاب المنهاج، مركز الغدير، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م.

٩١ـ زاهد، عبد الأمير، قضايا لغوية قرآنية، العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٢، ٢٠١١م.

٩٢ـ زاهد، عبد الأمير، محاضرات في تفسير آيات الأحكام، العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

٩٣ـ طحان، ريمون، فنون التقعيد وعلوم الألسنية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط١، دون تاريخ.

٩٤ـ عويس، عبد الحليم، مصطلحات علوم القرآن، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٧م.

٩٥ـ محمود، المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر، الأردن ـ عمان، ط١، ٢٠٠٨م.

٩٦ـ مصطفوي، محمد، المبادئ العامة لدرس القرآن وتفسيره، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٢م.

٩٧ـ معرفة، محمد هادي، التفسير الأثري الجامع، منشورات ذوي القربى، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٩هـ.

٩٨ـ معرفة، محمد هادي، تلخيص التمهيد، مؤسسة التمهيد، قم ـ إيران، ط٣، ٢٠١٣م.

٩٩ـ مغنية، محمد جواد (ت١٤٠٠هـ)، التفسير الكاشف، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٠٠ـ مهر، حسين علوي، المدخل إلى تاريخ التفسير والمفسرين، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٥هـ.

١٠١ـ وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٨م.

الفهرس

أولاً: المقدمة:.....٣

ثانياً: القسم النظري:.....٨

١ـ تعريف التفسير التجزيئي: تفكيك العنوان وتوضيح المصطلحات:.....٨

٢ـ تقسيمات مهمة في علم التفسير: الأساليب والاتجاهات والمناهج التفسيرية:....١٦

٣ـ طبقات المفسرين: إطلالة عامة على طبقات المفسرين:.....١٩

٤ـ مصادر الاستمداد التفسيري:.....٢٦

٥ـ ثوابت مهمة في تفسير القرآن الكريم:.....٤٢

٦ـ تاريخ ونشأة أسلوب التفسير التجزيئي:.....٥٣

٧ـ مراحل التفسير التجزيئي: ٥٧

٩ـ ميزات التفسير التجزيئي وأسباب شيوعه وانتشاره:.....٥٩

١٠ـ آليات التفسير التجزيئي:.....٦٣

١١ـ طريقة التفسير الإجمالي وفق الأسلوب التجزيئي:.....٦٥

١٢ـ أسباب اختلاف المفسرين في تفسير القرآن الكريم:..... ٦٧

١٣ـ أمور لا بدّ من مراعاتها في التفسير:..... ٧٣

١٤ـ ملاحظات عامة على كتب التفسير:..... ٨٢

١٥ـ الأهداف من تأليف هذا الكتاب:..... ٨٥

١٦ـ خطوات أسلوب التفسير التجزيئي: خطوات تفسير السورة وآياتها بشكلٍ كامل: ٨٨

١٧ـ ملاحظات لا بدّ منها حول خطوات التفسير التجزيئي:..... ١٠٦

ثالثاً: القسم التطبيقي:..... ١٠٧

١ـ تفسير الاستعاذة:..... ١٠٧

٢ـ تفسير البسملة:..... ١٢٢

٣ـ تفسير سورة الفاتحة: ١٣٧
٤ـ تفسير سورة العلق: ١٥٦
٥ـ تفسير سورة القدر: ١٧٩
٦ـ تفسير سورة الإخلاص: ١٩٤
رابعاً: المصادر والمراجع: **٢٠٦**
خامساً: الفهرس: **٢١٥**